﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب

ناشرون



© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.

نشر إلكترونيا في صفر،١٤٣٣/ديسمبر، ٢٠١١.

يمنع منعا باتًا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

الإخراج الفني: فوزية الألمعي
تصميم الغلاف: أسماء الصياح
التدقيق اللغوي: آمل المطيري و د. محمد سعيد الملاح
تدقيق الآيات القرآنية: هنادي أحمد العنيس

محتـــويات الكتـــاب

محتـــويات الكتـــاب ٢
نبذة عن الكتاب ٦
مقدمة ٨
متى يرتقي المسلمون إلى مستوى مطالب البشرية؟ ٨
غاية الإسلام العظمى ١٣
إهمال أدوات الاعلام ١٧
التعامل مع الكون بشروط التسخير ٢٠
ضلالة فصل العلم عن الدين: ٢٤
رؤية الإسلام في التعامل مع الكوارث الطبيعية : ٣٠
الإسلام والعلم والتحولات التاريخية: ٣٨
منهج التدرج عبر التجريب أحدث النظم الاقتصادية: ٣٩
مصارف الزكاة ومسؤولية المجتمع المدني : ٤١
خطورة ادلجة عالمية الإسلام ٤٤
عالمية الإسلام والعولمة : ٤٦
التربية على عالمية الإسلام : ٤٧
عالمية الإسلام دعوة إلى السلم والتعايش : ٤٩
مسؤوليتنا عظيمة في عصر العولمة : ٥١
آثار رياح العولمة على شباب المسلمين : ٥٣
الاستقامة ما بين الركون والبغي في عصر العولمة : ٥٨
الترويج للإسلام العصري في عصر العولمة : ٥٩
مفهوم وصفات الوسطية في الإسلام ٦٢
منهج الوسطية : ٦٥

استقلالية المنهج الوسطي الإسلامي : ٦٩
الحاجة إلى مرجعية إسلامية عالمية في عصر العولمة ٧٤
منهج التجديد في الإسلام ٨٠
التجديد الفقهي وديناميكية واقع المسلمين : ٨٣
الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر : ٨٤
ردم الهوة بالخطاب الإسلامي المعتدل : ٨٥
ضرورة تغيير الخطاب الإسلامي في عصر العولمة : ٨٧
مضامين احتواء الخطاب الإسلامي : ٨٩
تفكيك القيود الاجتماعية بالوعي الديني والثقافي : ٩٠
درجة الفصل ما بين الشأن الديني والدنيوي : ٩٢
نماذج التحالف ما بين الديني والسياسي ومدى صمودها في وجه الثورات : ٩٤
الجدل حول مفهوم الحاكمية : ٩٧
لماذا اختل مفهوم الجماعة ؟ : ٩٩
الجدل الفقهي حول منصب ولاية المرأة العامة والكبرى : ١٠٣
إعادة ورد حقوق المرأة التي أعطاها إياها الإسلام لا تحريرها : ١٠٦
الإسلام الوحيد القادر على رعاية مؤتمرات حقوق المرأة : ١٠٧
حقوق المرأة بين الجاهلين بروح الإسلام وبين المتحاملين عليها : ١١٠
المساواة ما بين الجنسين في الحقوق وتمكين المرأة من وجهة نظر الدين الإسلامي:. ١١٣
الجدل حول مفهوم البدعة : ١١٨
نقد العقل في الإسلام : ١٢٠
نقد وتفكيك أسباب استمرار أزمة المسلمين: ١٢٢
موازنة الإسلام بين تقويض اليقين وتبديد الشك: ١٢٥
ماذا لو انتصرت العقلانية في العالمين العربي والإسلامي : ١٢٨
متى يساهم العرب والمسلمون في النهضة الحديثة ؟ : ١٣٠
ضبط الممارسات الدعوية : ١٣١

مابين الدعوة إلى الله والفتوى : ١٣٣
خطر مدرسة الرأي الواحد ١٣٥
التعصب آفة خطرة : ١٣٨
السلوك العنصري المتعصب : ١٣٩
التشدد تشويه لصورة الإسلام المضيئة : ١٤١
مواجهة الغلو على أساس أنه ظاهره مرضية وليست حتمية: ١٤٣
الإسلام واحدا ومتعددا: ١٤٥
السلفية منهج وليس مذهب ١٤٧
دعوة إلى تصحيح صورة ابن تيمية والسلفية عندا لإعلاميين ١٥٠
الإمام المجدد محوالتقليد:الوهاب.. ثورة على الجمود والتقليد : ١٥٥
المسلمون بين التقسيم وصراع الأدوار ١٥٨
كيف يتعايش المسلمون في الغرب : ١٥٩
الدين الإسلامي قادر على إدارة ورعاية التعددية : ١٦١
الدفاع عن الحرية من أسس الدين الإسلامي الحنيف : ١٦٢
مرحلة البناء والتركيب مقابل فلسفة التفكيك : ١٦٦
خطورة النزعات العنصرية على وحدة الأمة : ١٦٨
الرؤية الإسلامية للإنسانية : ١٧٠
التحرر من العبودية : ١٧٢
تغليب الحوار على الجهاد العالمي ١٧٤
تغيير صورة الإسلام المشوهة بالحوار مع الآخر : ١٧٥
جدوى مواصلة الحوار بين الأديان : ١٧٩
هل تتحقق فكرة من الحوار إلى التحالف ؟ : ١٨٠
أين قيمة الحوارات في الخطابات السجالية ؟ : ١٨٢
الأمن الفكري والاعتدال يحميان من التشدد المؤدي إلى التطرف والعنف ١٨٦
التطرف يستند إلى مفاهيم خاطئة : ١٨٧

الإستراتيجية الأمنية والفكرية في محاربة الإرهاب: ١٩٢
مواجه التشدد بالاعتدال والحوار : ١٩٤
الاعتدال والرفق وسطيه ترفض التطرف والعنف والتكفير : ١٩٦
الحدود الفاصلة مابين الرقابة الذاتية ورقابة السلطة : ٢٠١
دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قائمة على الرفق واللين وعدم التكفير : ٢٠٤
تقرير راند ودعم الاعتدال : ٢٠٦
من أجل أن نجنب الشباب الانخراط في العنف المسلح : ٢٠٧
قراءة في أسباب العنف وضرورة تجديد الخطاب الديني: ٢١٠
حكم قتال المارقين ومن قتل على أيديهم: ٢١٤
الصورة المستحدثة الباطلة باسم الجهاد ٢١٦
الغاية العظمى من الجهاد : ٢١٧

نبذة عن الكتاب

يركّز الكتاب على أن الدين الإسلامي دين يسر وسماحة يرفض التزمت والانغلاق الفكري، ويرفض فرض تعاليمه بالقوة على المجتمعات الأخرى لأنه دين إقناع يخاطب العقل {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل:١٢٥).

والعقبة التي تواجه الأمة الإسلامية هي الاعتقاد بأن هناك تفسيرا واحدا للإسلام وينبغي أن يسود هذا التفسير ويسيطر باعتبار أن هذا هو المفهوم هوالوحيد والصحيح للإسلام وما عداه من تفسيرات أخرى فهي خارجة عن مفهم الإسلام الصحيح.

بل أن الكثيرين لا يستطيعون حتى تخيل وجود تفاسير أخرى غير هذا التفسير الأحادي بسبب أن الدراسات العقلانية والتنويرية عن الإسلام لم يسمح لها في فترات سيطرة التفسير الأحادي بالانتشار. وقد يصل بهم توجيه تهمة التكفير بشكل مباشر أو غير مباشر إلى مخالفيهم بسبب أنهم يرفضون مجرد الاستماع الى رؤى التفسيرات الأخرى.

فأصبح الإسلام مختزلا في بعض الممنوعات والمحظورات ونسي أصحاب هذا الرأي الأوحد بأن الإسلام هو حضارة وثقافة وقيم روحية.

هذا الفهم الأحادي الذي سيطر فترة طويلة على الساحة لم يسمح بظهور تفسيرات أخرى بسبب أنه كان يتهمها بالعمالة والاستغراب والليبرالية إلى آخر التسميات التي يمكن أن تصل الى حد التهديد في بعض الأحيان.

هذه معضلة واجهتها المجتمعات المسلمة ولا تزال تواجهها وكانت سببًا في بث العديد من الفتن وتسببت في دخول الأمة الإسلامية في صراع دامٍ هو نتيجة رفض أي حداثة تقدمية يمكن أن تساهم في إخراج الأمة الإسلامية من محنتها نتيجة ما تعانيه من انحطاط فكري.

فغابت الأمة الإسلامية عن تقديم الخير للبشرية المحزونة والمكروبة وسمحت للامم المتقدمة أن تزيد من تعميق أزمات المسلمين وجعلتهم ميدان اختبار استنزفت قدراتهم وخيراتهم، فمتى يرتقي المسلمون إلى مطالب البشرية ويتبنون رؤى ومفاهيم دينهم الحنيف حتى تنقذهم من تأخرهم عن الأمم؟

مقدمة

متى يرتقي المسلمون إلى مستوى مطالب البشرية؟

ما الذي يجمع شعوب العالم؟ هناك تكتلات ومشاريع عالمية ليس للعرب والمسلمين فيها إلا دور هامشي وضعيف، بسبب أن بعض المسلمين يفهمون نصوص دينهم فهما قاصرًا ومغلوطا، في حين أن الإسلام يأمرهم بالإعداد على جميع المستويات لردع المتربصين بالمسلمين { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ..} الأنفال:٦٠ فمفهوم الإعداد في الآية الكريمة ليس مقتصرًا فقط على استيراد السلاح وحمله لمواجهة العدو عند اعتدائه، فقد فهم المسلمون الأوائل معنى الإعداد فهما مختلفا بمعنى الاهتمام بالتنمية الشاملة التي تستنهض كافة الجوانب لأن القوة العسكرية هي نتاج تطور شامل في مختلف الجوانب العلمية والصناعية والاقتصادية، والاهتمام بالتنمية هي استجابة لتحقيق سنة التنافس التي أوجدها الله بين البشر{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} الكهف:٧. أي أن الإنسان مطالب بالاستغلال الأمثل لموارد الأرض المتاحة له، ولا يمكن الاستغلال الأمثل لتلك الموارد إذا لم يتمكن الإنسان من إرساء قاعدة علمية قوية تمكنه من الاستغلال الأمثل.

وهناك فارق كبير جدًا بين حضارة المسلمين والحضارات الأخرى، إذ يدرك المسلمون أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض، وأن دوره يكمن في خدمة البشرية وتحقيق العدل والمساواة بين الشعوب تحقيقًا لقول الله سبحانه وتعالى{...وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ...}البقرة:٢٥١، ويدرك المسلمون أيضا أن قوة الإنسان العلمية والعسكرية مهما بلغ تفوقها وتقدمها فإنها محدودة بالنسبة إلى علم الله {...وَمَا أُوتِيتُم مِّن

الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}الإسراء:٨٥، وأن هذه القوة التي بناها الإنسان نتيجة تقدمه العلمي والتكنولوجي آيلة إلى زوال {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا}الكهف:٨.

لكن أن يظل دور المسلمين دورًا هامشيًا في جميع النواحي فهذا يعتبر تقصيرًا في المسؤلية التي فرضها الله على المسلمين في تبليغ رسالة الإسلام التي تكفلوا بحملها لأن الرسالة لا يمكن أن تصل الى البشرية والمسلمون في حالة ضعف، وهم لا يستطيعون حتى الدفاع عن مقدساتهم بل وأصبحوا لقمة سائغة وسهلة للمتربصين حصرتهم في ردة الفعل فقط كي ينشغلوا بالدفاع عن مقدساتهم بأساليب بسيطة بعيدة عن التخطيط المشترك، نتيجة أخذهم بمفاهيم جزئية ومغلوطة عن الإعداد، وإغفالهم الإعداد بمفهومه الشامل وفق خطط تنموية مدروسة وفي ظل وحدة الرأي والقيادة والابتعاد عن الاختلاف الذي أدى بهم الى الفرقة التي يعيشها المسلمون في الوقت الحاضر.

وهم يمثلون الآن أكثرية فقراء العالم وأقل الدول امتلاكا للتقنية وللقوى العسكرية، فهل يمكن أن ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ...} آل عمران:١١٠ فالخيرية هذه تتحقق بنوعية الإعداد من أجل بناء حضارة إسلامية لتحقيق الخيرية لنفسها لتتمكن من ممارسة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس من أجل الإستحواذ على البشرية مثلما تهدف إليه الدول الكبرى.

ولو أخذنا مثالا واحدا من التعرف على حال الأمة الإسلامية الكائن في مشروع الاتحاد المتوسطي فإن ما يجمع المسلمين بالأوربيين عبارة عن متناقضات شاسعة، فالمواطن في الدول الأسيوية والافريقية السبعة عشرة يحصل فيها على دخل معدله ألفي دولار في السنة، بينما يحصل الفرد في البلدان الأوربية السبع والعشرين على ما معدله ٤٥ ألف دولار سنويًا، والجنوب يبعث بالاف المهاجرين للشمال والشمال يطردهم ،لأن المسلمين لم يتمكنوا من

تحقيق تنمية الإعداد في بلدانهم، واستسلموا لخلافاتهم وللتناحر وللدعة وللتراخي والاستكانة بعكس الأوربيون الذين توحدوا وحققوا التنمية الشاملة لبلدانهم.

إذا غابت الأمة الإسلامية عن تقديم الخير للبشرية المحزونة والمكروبة التي تسببت الدول المتقدمة في تعميق أزماتها وجعلتها ميدان اختبار واستنزفت مواردها. فلا بد أن ترقى جهود المسلمين إلى مستوى مطالب البشرية بتبني رؤى ومفاهيم جديدة تنقذ المسلمين من تخلفهم.

ويشهد الوقت الحاضر انسحاباً للمسلمين من العالم ومعاناة أزمات متلاحقة، وفشلهم في خلق عناصر واتجاهات قادره على التأثير في توجه العالم.

ومنذ بداية القرن العشرين حينما حاول محمد عبده وزملاؤه الكرام استنهاض مشروع للنهضة كان يعيب على تلك المشاريع التقليد والفارق كبير بين مشروع النهضة الذي سقوم على التقليد وبين الحداثة الغربية.

فالحداثة الغربية التي نجحت في الغرب كانت منفصلة عن القيمة، لكننا نحن بسبب التقليد لم نتمكن حتى من الحوار مع الذات ولا مع الآخر وأن نجعل البعد المعرفي قائماً بذاته ليتسنى للمشروع الإسلامي من النهوض النوعي وحمل لواء التغيير.

ولازلنا نحن مشغولين في الاختلاف في المعنى ولم نتجاوزه وأصبح مدار مواجهات ساخنه بين مختلف التيارات. فإذا كانت "الأمة" تختلف في صحة النص النبوي لاعتبارات عديدة مثل الاعتداد بأحاديث الآحاد خصوصاً فيما يتعلق بقضايا الحدود واختلاف المقاييس التي تتناول بها صحة الأحاديث. فقد امتد الخلاف أيضاً إلى النص القرآني وأصبح المعنى وفق خلفيات واتجاه كل تيار مما أنتج صراعاً بين النقل والعقل منذ زمن العصر العباسي تحملنا تبعاته وانتقلت إلينا كعدوى لم نتجاوزها إلى ماهو أهم بل أن الكثير مما تناوله الفقهاء في الماضي لم تصبح له حاجة في الوقت الحاضر، وكان واقعاً لهم وماضياً لنا، ولم نتمكن نحن بعد من دراسة الواقع بعيداً عن بعد الماضي وفق الكتاب والسنة لبناء حضارة

إسلامية مستقلة ذات بعد واقعي تجديدي حداثي وفق الثوابت الإسلامية دون إلغاء أو إحداث قطيعة مع التراكم المعرفي والثقافي والتراثي.

فمعظم الدراسات الحديثة كانت تتحاشى كثيراً دراسة البعد الواقعي وهي إن كانت تتناوله فهي تتناوله ضمن معطيات وأدوات الماضي. والواقع مفرز رئيس للدلالة البعدية وهو ما اصطلح عليه علماء الإسلام بـ "النظر" أو بالمقاصد مثلما استند ابن رشد في كتابه "فصل المقال" على كثير من الآيات لإتيان حجية المقاييس البرهانية شرعاً وهو مايسميه بحجية الواقع المعتمدة على النظر والتجربة في فهـــم الظواهر الكونية والإنسانية {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُون}يونس:١٠١ وهو منهج علمي لا خلاف عليه فسبب أزمة مشروع النهضة الإسلامية هو عداء الواقع والقفز عليه وحصره ضمن أدوات الماضي.

وقد اختلط على الدارسين التفريق بين السنة ومتى يكون الحياد عنها بدعة في التوحيد والدين أي في الثوابت، وبين مسائل أخرى مطروحه للنقل والعقل بحسب ظروف كل عصر من العصور وهو مانسميه بالواقع أو بالمقاصد أو النظر أو في أمور مختلف حولها وهي أمور ظنية وليست قطعيه الدلالة. وهناك العديد من الأحاديث النبوية التي تحث على التمسك بروح السنة اقتداء بالسلف الصالح كما في الصحيحين فقد قال صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وأياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ضلالة {... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...}المائدة:٣ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب".

فلا مانع من الانتساب إلى السلف في التمسك بالسنة، {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} التوبة:١٠٠، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}الأنعام:١٥٣ أما في أمور الحياة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة "أنتم أعلم بأمور دنياكم". فأمور الحياة تختلف من عصر إلى عصر ومن زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان بحسب قدرات البشر وامكانياتهم الفكرية والبشرية. فلم يقيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة نستسن بها في أمور حياتنا على مر الأجيال، لأنه يعرف صلى الله عليه وسلم أن ذلك مخالف للسنن الكونية التي خلقها الله سبحانه وتعالى الكائنة في التنوع والاختلاف المؤدية إلى التعارف والتعاون والتكامل في إطار من التنافس العائد على البشرية بالنفع {...وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}المطففين:٢٦. فمعاداة الواقع بسبل مختلفة أعنفها الأرهاب المسلح لهو سبب من أسباب فشل وتأخر المشروع الإسلامي ليس في اللحاق بالمشروع الغربي وإنما في منافسته وتكوين شخصية مستقلة بمقوماته الذاتية لأن اللحاق هو تقليد والتقليد هو نوع من أنواع الجمود الذي يضعنا دوماً في اطار من تبعية الغير دون تقدم. فمن الضروري مصالحة جميع التيارات مع الواقع وتحجيم مساحات الصراع التي ورثناها.

فقد آن الآوان لنؤسس لفكر إسلامي واقعي يتلاءم مع متطلبات العصر ولايتعارض مع الثوابت الدينية.

ومما يدعو للعجب أن يدرك غير المسلمين أهمية ديننا ويغفل عنه المسلمون والبحث عن حلول لمشكلاتهم وإضافتها إلى نظمهم الوضعية. وديننا فيه من خصائص الشمول والتجديد والسعة والعالمية والمرونة ما يجعله صالحًا لكل زمان ومكان ولا قيود على حرية الفكر إلا قيد الإباحة، ورفض تبرير الوسيلة، ويحرص على طهارتها وطهارة الغاية ولا يمانع من الأخذ من الحضارات الأخرى من علومها وتجاربها الناجحة.

غاية الإسلام العظمى

للمسلم غايات عديدة تتحقق بحسب الاستطاعة، ولكن هناك غايات سامية أدركها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنته الفعلية والقولية والتقريرية ومن كتاب الله الحكيم، وأن أسمى غاية لدى المسلمين هي بناء حضارة الحق القادرة على تمكين شريعة النور من الانتشار في أصقاع المعمورة كي تصل إلى كل فرد لإقامة الحجة التي هي أمانة ورثها المسلمون عن النبوة وإيصالها دون إكراه أو عنف وبالوسائل السلمية وعبر التواصل الحضاري والتعايش بشتى صوره.

لكن الإشكالية أن هناك غبشًا في الرؤية لدى كثير من المسلمين حول تحقيق تلك الغايات بل لا يتيقنون من حقيقة وجهتهم وأن تلك الغاية لا تتحقق إلا بوضوح الرؤية التي هي جادة الطريق وطوق النجاة وهي الأمل الوحيد في خروج الأمة من محنتها واحتواء أزماتها وانهاء حالة التردد والحيرة بين الوجهات المتنوعة والمختلفة واستبدالها بوعي يرفض الإنبهار الأعمى بالآخر والأخذ بأسباب الحياة بقوة وعزم دون تردد لفتح الطريق أمام تفجير الطاقات وانطلاق مسيرتها بالتعاون والاستعانة بخبرات الآخر أيًا كان ذلك الآخر للمشاركة في صنع التقدم المعرفي العالمي فالوصول إلى الحضارة العالمية يأتي بعد صنع او الاشتراك في صنع تلك الحضارة العالمية.

لأن الحضارة الإسلامية ذات رسالة وهي استنقاذ البشرية من أنياب شريعة الغاب وما تحمله من أخطار الفساد والدمار بسبب ترك الساحة للعنصرية التي تروج للحروب والدمار واتجاهها نحو الصراع الحتمي والمزمن الذي يدمر الأرض وما عليها.

فالمسلمين مسؤوليتهم لا تقتصر على الدخول كطرف في هذا الصراع بل مسؤوليتهم هي الدعوة من أجل التعاون مع كل عنصر من عناصر الخير والسلام والأمن الإنساني في كل أرجاء الكرة الأرضية وتوجيهها نحو مجتمع عالمي تسوده شريعة النور والحق والعدل.

فالقوة عامل مشترك بين شريعة العدل وشريعة الغاب، وهي وسيلة ضرورية من أجل التدافع البشري ودفع الظلم والعدوان أي أن غايتها مختلفة وقوة مسخرة للحق والعدل لا للقهر والظلم. ودفع الظلم يحتاج إلى وضوح في الرؤية وإزالة الغبش وإلى صبر في انتظار نتائج الإصلاح والمرحلة، مع السعي نحو إقامة مجتمع انساني دولي يعتمد فلسفة السلام والأمن معتمدا قيم الحق والعدل التي هي مطلب إنساني أساسي في مواجهة الظلم والعدوان في كل ارجاء العالم تقود إلى وحدة إنسانية تشترك في دوائر متداخلة على أساس متبادل من البر والتضامن والتكافل تحل محل عنصرية القوميات والعرقيات التي جعلت من الأمم البشرية قطعان متصارعة.

فإن غبش الرؤية عند بعض المسلمين والضبابية في الإقدام فتح الساحة أمام المتعصبين الذين تمكنوا من إدخال المسلمين في صراع مخالف لغاية الإسلام مما أدى لإيقاف ايصال رسالة الإسلام إلى انحاء العالم .

فلابد من البحث عن نقطة توازن حضاري بتدافع سلمي بناء يحقق التوازن البناء العادل ويدفع عجلة التقدم البشري في توافق وتمازج وإنشاء مجتمع السلام والتعاون والرفاه الذي يقوم على مفاهيم الإنتماء والتراحم المشترك للإنسانية التي هي فلسفة الإسلام في بناء العلاقات بين الشعوب {... قَدْ جَاءَكُم مِّنَاللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }المائدة:١٥ {الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}ابراهيم:١ {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...}المؤمنون: ٧١ {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} الأحزاب:٧٢.

يجب أن يتحمل المسلمون تلك الأمانة ويتخيروا الوسائل الصحيحة في أداء تلك الأمانة التي تحملوها.

فمسؤوليتنا عظيمة في عصر العولمة. فالإسلام دين حضارة وقيم ومبادئ ولا يتعارض مع الديمقراطية والغرب وشعوب العالم بأسرها بل يتقاطع معها ويتصالح، لكن هناك الكثير من المسلمين يضعون سؤالا مهما وهو: كيف يمكن أن نصالح بين القيم الروحانية والأخلاقية العليا من جهة والقيم العلمية والفلسفية والإنسانية للحضارة الغربية من جهة أخرى؟

فالإسلام دين عالمي غير مقتصر على أمة من الأمم او شعب من الشعوب بل انه دين البشرية {ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}الأنبياء:١٠٧ لذلك لا يجوز لأي فئة أن تخطف رسالة الإسلام وتنسبها إليها بل هي رسالة عالمية ذات نزعة إنسانية وقوة مستنيرة ترفض الظلامية أيًا كان مصدرها.

فالإشكالية التي يقع فيها المسلمون هي القراءة الخاطئة لرسالة الإسلام التي أصبحت سائدة بين بعض الفئات من المسلمين والتي فرضت عليهم قيودا شديدة حالت دون تمكنهم من إعادة قراءة رسالة الإسلام مما أدى بهم إلى الانقلاب وممارسة التشدد والإصرار على تمسكهم بالقراءة التقليدية. وتتهم هذه الفئات كل من يدعو إلى تقديم قراءة جديدة بمسميات عديدة باعتبار قراءتها هي الوحيدة الصحيحة وكل ما عداها قراءت خارجة عن المنهج الإسلامي الصحيح إذ لا تعترف بتعدد القراءات. فأصبح الهوى مبتغا وحيدا وأصبح شح الأنفس ديدن كثير من الفئات الذي حذرنا منه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يؤدي إلى استباحة الدماء والحرمات ونكون قد أعطينا أعدائنا زمام القيادة المطلقة لتفتك بدولنا.

ويخطئ من يظن أن التحرر الداخلي -أي التخلص من القراءات الخاطئة للإسلام- أسهل من التحرر الخارجي -أي الاستعمار وأدواته الحديثة وأبرزها الهيمنة- بينما الأمر على

العكس من ذلك تمامًا، لأن عدم القدرة على التحرر الداخلي يدخلنا في صراع مع النفس والغير حتى يتحول الإسلام كدين إلى رهينة بعيدا عن رسالته الوضاءة المشرقة التي أتت رحمة للعالمين.

والتوجه نحو تجديد القراءة القديمة وتحديثها لتغيير الصورة الخاطئة والمشوهة عن الإسلام باتباع المنهج النبوي في التدرج بدلا من حرق المراحل حتى نصبح متصالحين مع أنفسنا أولا ثم مع الغير أسوة بالسلف الصالح كعمر بن الخطاب الذي صلى في الكنيسة عند زيارته للقدس ولم يجد في ذلك غضاضة ولم يعترض على المدخل المشترك للمسجد والكنيسة.

ففي عصر العولمة الآن فرص جيدة لنشر الدين الإسلامي وفق قراءات صحيحة غير مشوهة يمكن أن يدخل الإسلام في كل بيت مثلما تنبا الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الدين "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل و النهار و لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام و ذلا يذل به الكفر" (رواه ابن حبان في " صحيحه ١٦٣١ و ١٦٣٢) خصوصًا في زمن يبحث فيه الناس عن ملاذ روحي في الأديان في ظل ضغوط التكنولوجيا العابرة للحدود التي دخلت كل بيت وساهمت في انهيار البنى الاجتماعية والأسرية التقليدية. لذلك فالقراءات التقليدية غير قادرة في عصر العولمة التأثير على النزعة الالحادية التي هي ظاهرة ناجمة عن ردة فعل. فأصبحت مسؤوليتنا عظيمة في عصر العولمة لأن الحماسة الدينية في السياسة الدولية غير مجدية.

إهمال أدوات الاعلام

يفسر الكثيرون معنى الحرية تفسيراً خاطئاً ويخلطون بين نقل الخبر وتأييد الخبر، ويعتقد البعض أن الحرية في الغرب متفلتة، ويتمسكون بالرأي والرأي الآخر بدون ضوابط، لكن الحقيقة هي غير ذلك فتعريف حرية الرأي في الغرب هي الحرية التي تبدأ بحرية الفرد وتنتهي عندما تبدأ حرية الآخر. وإن كانت تختلف حرية الفرد في الغرب عن الحرية لدى المسلمين لأن الإسلام لا يسمح للفرد بالمجاهرة بما هو محرم في دينه وإلا أقيم عليه الحد، بينما الغرب العلماني لا يقيم وزناً لذلك ويعتبر المسألة حرية شخصية. لكن على العموم يتفق الطرفان في احترام الآخر واحترام خصوصياته ومعتقداته وعلى الأخص في الدين الإسلامي الذي نهى المسلمين نهياً صريحاً عن مس معتقدات غير المسلمين {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...}الأنعام: ١٠٨ وأوضح الإسلام أن هذا المس هو اعتداء ويؤدي إلى إثارة حفيظة غير المسلمين ويؤجج الصراع بين الأديان وهو مخالف لرسالة الإسلام التي أتى بها والتي تدعو إلى السلام والتعايش مع مختلف الأمم، ولم يكتفِ بذلك الإسلام بل وجّهنا إلى كيفية نقل الخبر زمن الفتن والمحن التي يحتار فيها الحليم قبل العامة ويختلط فيها الحق بالباطل ويكثر المتقولون بلا علم من خلال منابر الفضائيات التي كثر عددها في زماننا هذا. وجاء الإسلام وبيّن الطريق الإعلامي القويم للمسلمين وذلك بعرض واستقصاء تلك الأحداث والتفريق بين الصحيح والسقيم { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ...}النساء:٨٣ ففي زمن الفتن تكثر الإشاعات والإدعاءات فالمنهج الإسلامي هو في الرجوع أولاً إلى كتاب الله وسنته لتحييد تلك

الإشاعات وتفنيدها حتى لا تصاب الأمة الإسلامية بالوهن والضعف والاستسلام والتفكك. والنهي عن إسناد أمر هذه الأمة زمن الفتن إلى متحدثين تحت شعار الرأي والرأي الآخر بحجة تنمية ثقافة المجتمع والشفافية وبناء فكر الأمة. وتلك الحالة هي من المتناقضات التي فيها تطاول على حقوق الآخرين وتخدش حياءهم وحرماتهم والله يقول { لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ...}النساء:١٤٨ سواء كانوا حاكمين أو محكومين لأن الله سبحانه وتعالى أمر باختيار تولي أمر إعلام الأمة ممن يتوفر فيهم شرط الحرص على قول الحقيقة مع القدرة على استنباطها واستخراجها من ثنايا الأنباء المدسوسة والمتناقضة ولديهم الإلمام الكامل بواقع الحال ومتغيراته.

فالتميز بين القنوات لا يكون عبر بث الفوضى والإرباك وإثارة التفرقة الطائفية والحزبية والقومية والمذهبية بطرق غير مباشرة لا تعيها تلك المحطات، من أجل أن تحصل فقط على سبق إعلام ي متميز يزيد من ثروتها التجارية، غير مهتمة بالقيم والأخلاق من جهة، والعلم والمخترعات من جهة أخرى، بل تهتم بكل مايزيد من قدرتها التنافسية حتى ولو كان على حساب تفتيت المجتمعات وتأليب بعضها على بعض.

فإعلامنا الإسلامي إعلام متميز بقيمه ومبادئه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن كل مايثير النعرات خصوصاً من قبل الإعلام. فحينما رأى صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه وبيده صحيفة من صحف أهل الكتاب غضب وَقَالَ: "أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا ، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي". حديث صحيح رواه أحمد (٣٨٧/٣) عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في الإرواء.**(1589)**

فالإعلاميون بحاجة إلى أن يدرسوا مبادىء وقيم الإعلام الإسلامي فهو إعلام متميز يؤمن بالحرية التي تحترم حرية الآخر، وينبذ الحرية المتفلتة التي تنال من حقوق الآخرين، ويتحاشى النفاق السياسي والتملق، ويحرص على نقل الحقيقة التي لا تؤذى الآخرين وتساعد على إصلاح المجتمع وتصحيح الأفكار الخاطئة، ويلتزم بالحياد والشفافية. فهو إعلام مستقل غير تابع، منفتح على العالم، يستوعب كل المتناقضات ويتعامل معها بعقلانية. ورسالته السلام وإحقاق العدل وفضح الحملات الاستعمارية الظالمة التي تنتهك مقدسات المسلمين وتحتقر الجاليات المسلمة وتدنس مقدساتها، والتي جعلت من المسلم مشتبهًا به في كل مكان، وغيّبت حقيقة التعايش الغني الذي ساد في ظل الدين الإسلامي على مر العصور.

فالإعلام الإسلامي يتحمل مسؤولية صنع مستقبل آمن ومزدهر ليس فقط للعرب والمسلمين بل لكل شعوب العالم المضطهدة والفقيرة لأن الدين الإسلامي ناصرٌ لكل مستضعف ومظلوم.

فنحن نحتاج إلى الإعلام المؤثر قبل وسائل الإعلام وإن كانت هي مهمة، فالإعلام الصارخ له صوت مسموع ولكنه غير مجدٍ والإعلام المقنع هو صوت خفيض ولكنه مؤثر {... قَدْ جَاءَكُم مِّنَاللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }المائدة:١٥ { فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }النحل:٨٢ .

كما أننا بحاجة إلى مخاطبة العالم بوسائله حتى نستطيع اقناعه بسماحة ديننا وعدالة رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

التعامل مع الكون بشروط التسخير

إن محاولات المزج مابين نتائج العلوم الحديثة وآيات الإعجاز العلمي في القرآن من دون ممارسة الكشف والملاحظة والتجربة وإعمال العقل هو جري غير منقطع للمواءمة مابين العلم والدين. وقد تتجاوز تلك المواءمة إلى ديانات أخرى أو تتعداها إلى الصراعات الثقافية والروحية الجديدة مثلما حدث مع طائفة الرائيليين نسبة إلى رائيل مؤسسة الحركة الدينية التي تبشر بأن الحياة على الأرض أساسها كائنات من الفضاء الخارجي وأحد اعتقاداتها أن الاستنتساح يفتح أبواب الخلود أمام الإنسانية وهي التي تدعم مجالات الاستنساخ لتجسد أفكارها وتعتبر الدكتورة الفرنسية بواسواليه التي قامت بعملية استنساخ مثيرة في يناير ٢٠٠٣ هي أحد أعضاء تلك الطائفة.

فالقرآن نزل من أجل تشريع العقائد والأحكام ويجب ألا يكون الإعجاز العلمي في القرآن أو في السنة نتيجة شعورنا بالعجز العلمي أو رد فعل نتيجة القهر العلمي الغربي.

وهناك قول للشاطبي الأندلسي الذي توفي عام ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨م في هذا الخصوص يقول "كثير من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافو إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين". فالقرآن نص مقدس يقاس به ولا يقاس عليه { انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...}يونس: ١٠١ { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ }الذاريات:٢١. ورغم العجز أمام آيات الله فقد حثنا الله على الاستمرار في الكشف بحسب قدراتنا عبر العصور بأعمال العقل من خلال الملاحظة والتجربة بخلاف الإعجاز العلمي في القرآن الذي هو تشريع حكيم { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }فصلت: ٤٢ فالقرآن يخضع للتدبر والتفكر الذي يقود إلى الإيمان بالخالق متحدياً غير المؤمنين باعجازه { وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }الحج : ٥١.

لذلك علينا ألا نجعل القرآن الكريم في مرمى المقارنة والتكذيب والهجوم من غير المسلمين لأن تراكم النمو العلمي واكتشافاته في تطور مطرد خلال العصور.

فآيات الإعجاز العلمي تحض الإنسان مؤمنهم وكافرهم على الاستمرار في الكشف العلمي وأعمال العقل للوصول إلى الحقائق العلمية التي لن تصل مهما تقدمت تلك العلوم إلى تمام علم الله إلى قيام الساعة ليشعر بانكساره أمام عظمة آيات الله. فإذا كان الإنسان بقدراته العلمية المتقدمة لم يصل إلا إلى القمر وهو كوكب تابع فقط للأرض فحتى الآن لم يستطيع الإنسان الوصول إلى أي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية، فتراكم الاكتشافات العلمية الزمنية والتجهيزية لم تمكنه حتى الآن من الوصول إلى أقرب الكواكب منه مثل الزهرة والمشتري. فالأقمار الصناعية التي يمكن أن تصل إلى الزهرة سوف تحترق لارتفاع درجات الحرارة العالية لقربه من الشمس وهذا ماجعل الإنسان يحاول الوصول إلى المشتري البعيد عن الشمس والمنخفض الحرارة بمركبات غير مأهولة بالانسان. فالمحاولات متواصلة { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...}يونس:١٠١ وليس هناك نهاية لاكتشافات الإنسان لأن السموات والأرض واسعة، فحتى الآن لم يتمكن الإنسان من التعرف إلا على معلومات ضئيلة جداً عن الكون والخلق. وإذا كان الله سبحانه وتعاليقد ذكر لنا مدة خلق السموات والأرض في القرآن فإنه في نفس الوقت حثنا على أن نبحث عن كيفية بداية هذا الخلق { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...}العنكبوت: ٢٠ فهناك بعض الآيات عن بداية نشأة الكون {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}فصلت: ١١ فالبداية تدل على أن السموات والأرض كانتا غازًا قبل تشكلهما وانفصالهما، ولكن على الإنسان أن يُعمل عقله ويكمل مسيرة معرفة بداية هذا الكون وتشكله، فنظريات بداية خلق وتشكل الأرض كثيرة وكلها نظريات غربية لأن الكشف والتقدم العلمي عند المسلمين توقف. وربما اقتربت نظرية فجنر -نظرية زحزحة القارات- من القرآن الكريم { وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ }الانشقاق:٣. { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ...}الرعد :٣ ولكن

لا مجال أن نواءم بينها وبين آيات الإعجاز. فحكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يستمر الإنسان في التفكير والتدبر مستغلاً تراكم الاكتشافات العلمية ولا مانع من أن تكون آيات الإعجاز العلمي في القرآن إضاءات له. والله سبحانه وتعالى جعل ما على الأرض كله من أجل الإنسان { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً }الكهف: ٧ لإعمار الأرض أخذًا بسنن الله المسخرة لنا لنحقق خلافه الله في الأرض {... فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ }المطففين: ٢٦ { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...}العنكبوت: ٦٩. فالمسعى العلمي في كشف مخلوقات الله مسعى فرضه الله من أجل أن يتنافس الخلق لتتحقق الغايات التي من أجلها خلق الله الإنسان في الأرض خليفة له، بعدما أوضح له طريقي الخير والشر والهدى والضلال بواسطة الرسل وخيّره بينهما، وكلا يجازيه بحسب جهده وعمله وإيمانه في الدنيا والآخرة { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا }فاطر: ٣٩{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنّ رَبّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنّهُ لَغَفُورٌ رّحِيمٌ }الأنعام: ١٦٥. فإذا كانت آيات الإعجاز ليست للمواءمة بينها وبين الاكتشافات العلمية وإنما هي تشريع إعجازي في هذا الكتاب الذي هو خاتم الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم من أجل أن يكون قادراً على الإجابة على جميع أسئلة العصور إلى يوم القيامة وهذه هي أكبر معجزة في هذا الكتاب ليصبح حجة على جميع البشر والخلق إنسهم وجنهم.

وأساس هذا الإعجاز هو أن النص القرآني يحث الناس على أن يعملوا الحكمة والعقل لفهم المبادىء وتطوير الأحكام بما يراعي ظروف الزمان والمكان{ أَفَلا يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }محمد:٢٤ . فمعجزة القرآن لا تنتهي بزمان وقوعها مثل حال المعجزات الأخرى التي حدثنا عنها القرآن الكريم { وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاّ أَن كَذّبَ بِهَا الأَوّلُونَ }الاسراء: ٥٩ وهذا ماجعل مترجم معاني القرآن آربري يقول في مقدمته "إني شكور لتلك الروح التي أوحت هذا الشعر الفريد". فمعجزة القرآن هي حفظه في نص واحد

مع اختلاف كافة نصوص الكتب المقدسة الأخرى معجزة مستمرة إلى يوم القيامة. هذه هي المعجزة الحقيقية الخالدة للقرآن التي جذبت لب غير المسلمين إليه متحديةً كل من يقف في طريقها مهما كانت تلك التحديات والمكائد {... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }الانفال: ٣٠.

إذا فنحن لا نحتاج إلى المواءمة اللصيقة مابين العلم والدين خصوصاً وأن آيات الإعجاز فوق قدرات البشر { وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ }الذاريات: ٤٧ فالسعة ظاهرة إعجازية لايمكن للبشر متابعة ذلك الاتساع بنجومه الكثيفة ذات الأحجام الهائلة التى لاتحصى وهي عبارة عن ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحيب فالكشف العلمي ضمن قدرات البشر.

فآيات الإعجاز العلمي في القرآن هي إشارة في الأصل إلى آيات الله العديدة التي لا تعد ولا تحصى وهي هتاف بالبشر ليفروا إلى الله موحدين متجردين { فِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ }الذاريات : ٥١ .

لذلك فإن الإكتشافات العلمية يجب أن تستمر ضمن أفق العبادة أو أفق العبودية وفي هذه الاكتشافات التي لا يمكن أن يشغل الإنسان نفسه ببلوغ الغايات فقط وإنما أيضاً تحقيقاً لمعنى العبادة في الكشف ضمن حدود وقدرات البشر وفيما عدا ذلك فهي من خصوصيات الخالق المعجزة للبشر والخارجة عن قدراتهم وطاقاتهم المحدودة { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...}فصلت: ٥٣ .

وفي زلزال تسونامي وقف من يملكون مفاتح العلم البشري يرقبون وهم عاجزون ولم يتحركوا إلا بعد ٧٢ ساعة من حدوث الزلزال وهي رسالة إلى المغرورين بعلمهم وقوتهم ألا يركنوا إلى قوت علمهم {...حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}يونس : ٢٤ .

فالكون مسخر للانسان ضمن إطار العلم الصحيح بسنن الكون وقوانينه وطاقاته ومفاتحه فمن تعامل مع الكون بشروط التسخير تقدم وإن كان غير مؤمن، ومن أخل بشروط التعامل مع الكون تخلف وإن كان مسلما. فمباشرة العلم الحقيقي بسنن الكون هي استجابة لمنهج الإسلام.

نخلص إلى أن ربط آيات الإعجاز العلمي في القرآن بالنظريات العلمية هو إعطاءها وإنزال سمة اليقينية عليها رغم أن معيارها هو النجاعة لا اليقين وسمتها القابلية للتنفيذ لا الصدق فهي تحتمل التحول والتغيير بنظريات أخرى لا الثبات والاستقرار.

فتأويل آيات الإعجاز العلمي آيات الاعتبار والتفكير في القرآن باختزالها في النظريات العلمية المعاصرة يجعل من تلك النظريات في مصاف اليقينيات المطلقة التي هي مناقضة لمنهج آيات الإعجاز العلمي في القرآن التي تنهى عن وضع نهاية وحد لتلك المكتشافات في حالة الارتقاء بها إلى درجة اليقينيات والتي هي في الأصل ظنيات مهما وصلت درجتها ومكانتها.

ضلالة فصل العلم عن الدين:

إن الدين هو الذي يصون العلم من الإنحراف الفكري والضلال الإيماني لأن الحكمة الأساسية من خلق الإنسان هي عبادة الله وحده لا شريك له.

والغرب يعتبر قيام العلم بتفسير الطبيعة من خلال أسباب طبيعية لا غير ولا يعترف بإدخال تفسيرات دينية على العلم لأنه يعتبرها مقيدة لتطورات العلوم وتضع حداً له.

ويريد الغرب مقاربة النظريات المتعارضة مع الدين بعقل منفتح ودراستها بعناية وبحس نقدي دون تدخل من الدين. ولكن هل يستطيع ذلك العقل؟ ولقد فطر الله العقل على الإيمان. ولكن لابد من صيانة هذا العقل خصوصاً في أمور الغيبية بواسطة المخلوقات الحسية مثلما توصل سيدنا إبراهيم عليه السلام بفطرته العقلية التي فطرها الله سبحانه

وتعاليفي الوصول إلى خالق هذا الكون المبدع لأن الله سبحانه وتعاليلم يخلق الإنسان هملاً بل وجهه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}الانعام: ٧٥. فتوصل إبراهيم عليه السلام إلى خالق هذا الكون عن طريق ملكوت السموات والأرض {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٧٩)}الأنعام. فالعلاقة بين الخالق والمخلوق تقوم حقاً على الامتثال ، والوجود الطبيعي مسلم لله كرها.

وقد درست مارغريت إيفانز وهي عالمة نفس من جامعة ميشغان، العقائد الدينية لدى الأطفال ولاحظت ميلاً إلى الإيمان بالخلق. وتقول مارغريت ايفانز: "نميل إلى رؤية العالم مستقراً وذا هدف محدد". وقد قالت لها إحدى الأمهات لا أدري بما عساني أؤمن. أريد أن يذهب طفلي إلى الجنة فحسب.

فالطالب في المدارس الأمريكية مثلاً خصوصاً المنحدر من أصول دينية يجد هناك تناقضاً بين مايدرسة في المدرسة ومايتلقاه في الكنيسة، ففي الكنيسة تعلم منذ طفولته بأن خلق الله الكامل بلغ منتهاه في اليوم السادس عندما خُلق الإنسان على صورته ومثاله { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }التين: ٤ . لكن يفاجأ الطالب بتعلمه داخل المدرسة أن الجنس البشري تطور على مر ملايين السنين من سلسلة من الأسلاف ينحدرون من سلالة متواصلة تعود إلى بداية الحياة تقودها عملية الانتخاب الطبيعي عن طريق الصدفة الذاتية. {فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ...}المائدة : ٣١ { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ...}البقرة : ٣١

وكثير من الأمريكيين يفضلون عدم تقويض أولادهم لهذا التناقض ففي يناير عام ٢٠٠٥م صوت أغلبية أعضاء مجلس مدارس دوفر على ضرورة إعلام الطلاب بوجود بدائل لنظرية داروين وهناك الكثير من الكتابات التي تحاول تفويض نظرية داروين مثل كتاب **Icons of Evolution** "رموز نظرية النشوء" من تأليف جوناناان ويلز يحلل فيه أشهر الأمثلة الموجودة في الكتب الدراسية عن نظرية دارون مثل طريقة اعتماد الفراشات الليلية متغيرة الألوان نقشاً ملوناً جديداً للتمويه.

كما إن اعتبار الانتماء الطبيعي القائل أن كل تعقيدات وإبداعية الحياة تطورت من خلال سلسلة من التحولات الصغيرة العشوائية هي صدفة، وأن التغيرات هي التي تساعد الكائنات الحية على البقاء في بيئتها، مثل مختلف المناقير التي لاحظها داروين لدى طيور ألاباغوس متوارثة على الأرجح.

وقد عانى الكثير من الناس التبعات الفلسفية لهذه النظرية. ويضرب العلماء أمثلة تقليدية للتدليل على فشل نظرية النشوء لدارون بالعين التي يبدو أنها تعتمد على كل أجزائها المتشبعة التي تعمل معاً. فكيف يمكن إذن أن تكون قد نشأت من سلسة من الخطوات المنفصلة؟ ويرد علماء الأحياء المختصون بالنشوء على ذلك القول أن أي بقعة بدائية حساسة للضوء قادرة على البقاء، وقد حاولوا أن يثبتوا كيف أن سلسلة من التحسينات الصغيرة يمكن أن تؤدي في النهاية إلى تكوين العضو بكامله وهناك حديث رواه الامام مالك عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم فيقول لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته". فتبدل خلايا الدم والعضلات بخلايا أخرى جديدة لم تعرف إلا بالاستعانة بالميكروسكوب العلمي في القرن التاسع عشر.

وقد نشر عام ١٩٩٦ كتاب **Darwin's Black Box** "صندوق داروين الأسود" لمايكل بيهي عالم الكيمياء الحيوية ونقل هذه المناقشة إلى مستوى الخلايا مستعينا بأمثلة كردة فعل جهاز المناعة وأطلق عليها "التعقيد المتعذر تبسيطه". من هنا ظهرت نظرية جديدة مقابل نظرية النشوء الطبيعي لدارون اسمها "نظرية التصميم الذكي" في كتاب **Darwin-on Trial** "داروين على المحك" لفيليب جونسون استاذ الحقوق بكلية بيركلي في مواجهة نظرية دارون وتقويضها التي ظهرت قبل ١٥٠ سنة ويسعى الكتاب لينقض اثنين من أهم مبادىء نظرية النشوء أولهما التحدر العالمي المشترك أي فكرة أن جميع الكائنات تعود إلى الأشكال البدائية نفسها التي نشأت قبل بلايين السنين من مواد غير حية. وثانيهما إبطال مفهوم الانتقاء الطبيعي القائل أن كل تعقيدات الحياة تطورت من خلال سلسلة من التحولات الصغيرة العشوائية المتوارثة على الأرجح .

وتقترح نظرية التصميم الذكي بديلاً مغرياً وهو أن عالمنا يعكس تصميماً ذكياً واعياً وعاقلاً، وأن هوية المصمم أو كيفية دخوله إلى الخلية للقيام بعمله مجهولة، وهل يخلق أجناسا جديدة بشكل مباشر أو يتلاعب بالحمض النووي للكائنات؟ وتعتبر النظرية أن تنوع الحياة لغز قد لا يتوصل الإنسان أبداً إلى إيجاد حل له.

ويعتبرون أن الفاعل هو الله سبحانه وتعاليولذلك يرفضون اعتباره نموذجاً تغييريا، ولا نظرية قائمة على ادعاءات قابلة للاختبار. وقد صدر قرار عن الجمعية الأمريكية لتطور العلم عام ٢٠٠٢ بأن نظرية التصميم الذكي مفهوم فلسفي لاهوتي مثير للاهتمام. لكن ليس مفهوماً يجب تعلمه في صفوف العلوم ويعتبرونها نظرية خلاف حول الداروينية فقط.

وهناك تصريح ليوجيني سكوت المديرة العامة للمركز القومي للتربية العلمية تقول: "فلا غموض بشأن مايؤمن به مؤيدو نظرية التصميم الذكي من أنها طريقة أخرى للقول أن هذا عمل الله وليس تغييريا ولا نظرية قائمة على إدعاءات قابلة للاختبار".

وقد وقع نحو ٣٥٠ عالماً على وثيقة بعنوان "الشقاق العلمي حول الداروينية" وجملتها الأساسية نحن مشككون في قدرة التحولات العشوائية والإنتقاء الطبيعي على تفسير تعقيد الحياة لأن نظرية النشوء تثير في الأصل أسئلة وجودية ملحدة. وقد كتب عالم الأحياء البريطاني ريتشارد دوكنز أن نظرية داروين "أتاحت للمرء أن يكون مفكراً ملحداً". ولكن الصراع بين الدين والعلوم وبالأخص نظرية أصل الأجناس لتشارلز داروين والتعديل الأول والتوفيق بينهما لا يزال مستمراً. وقد أضاف مجلس المدارس في ضواحي مقاطعة كوب بولاية جورجيا ملصقات إلى كتب علم الأحياء الجديدة يحذر فيها الطلاب من أن "النشوء مجرد نظرية وليست واقعاً ويجب مقارنتها بعقل منفتح ودراستها بعناية وبحس نقدي"، والمقصود من هذا الملصق تصحيح المعلومات المتحيزة وغير الدقيقة في الكتب المدرسية. لكن الخوف من عودة تسلط الدين والكنيسة جعل آباء آخرين يلجؤون إلى القضاء للمطالبة بنزع تلك الملصقات وفي ١٣ يناير ٢٠٠٥ وبعد محاكمة دامت ثلاثة أيام حكم القاضي الفيدرالي كلارنيس كوير لمصلحة الآباء وأمر بنزع الملصقات. وصرح القاضي أن سبب وجود الملصق يهدف إلى نقل رسالة داعمة للدين ولمعهد أبحاث الخلق الذي يقع قرب سان دييغو إذ تسود نظرية خلق الأرض في السنوات ١٢,٠٠٠ الماضية في متحف المعهد الذي يلاءم ملاحظاته في العلوم مع نظرية مشتقة بالكامل من سفر التكوين.

فتحولت مسألة فصل العلم عن الدين أو التوفيق بينهما إلى معركة ثقافية بجانب قضايا أخرى مهمة مثل الأجهاض وزواج المثليين جنسياً.

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمّنِ اتّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ...}القصص: ٥٠

{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ...}الجاثية : ٢٣.

{... وَلا تَتّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً ...}المائدة: ٧٧.

وندعو الله أن لا تنتقل عدوى فصل العلم واستقلاله عن الدين إلينا لكي لا نضل كما ضلوا أو نتخذ من أهواءنا آلهة كما اتخذوا من أهوائهم آلهة.

فالعلم مفردات، وإخضاع مفردات تتجاوز مقدرات العقل للعقل مضلة، وإخضاع المفردات الروحية للصور المادية مضلة، لأن العقل بوصلة هادية في عالم الشهادة توصل إلى الإيمان بعالم الغيب {مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ}الكهف:٥١ ولكن الله لم يترك الإنسان بلا هداية وطريق واضح {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}طه:٥٠ وهذا الهدى من اتبعه فلا يضل ولا يشقى {.. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}البقرة:٣٨

ولكن لهذا الهدى اختبار وامتحان لمن يصمد بإيمانه في سبيل خالقه ومولاه {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}العنكبوت:٢ فاستقلالية العلم وفصله عن الدين هو بعيد عن الهداية والتوجية الرباني {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}الحديد:٢٨ فلا نجاح لهذا العلم بدون إيمان وبدون استعانة الإنسان بالله سبحانه وتعالى وبكتبه إذ أن مصدر هذا العلم الذي يطلبه الإنسان هو من عند الله ولن يصل إلا ما يصبو إليه إلا بمشيئته {...وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء...} البقرة:٢٢٥

فلابد من الوصل مابين عالَم الغيب وعالَم الشهادة لأن الفصل بينهما يضل به الإنسان ويضعه في متاهه فكرية {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...}الشورى: ١٣ فالايمان وحدةٌ واحدة لا يتجزأ ولا يمكن فصل عالم الشهادة عن عالم الغيب، لأن هذا هو خلق الله ويجب أن تكون النظرة إليه كلية وليست جزئية فيعتريها النقص المؤدي إلى الضلال. والعدمية هي ترف للشعوب الغنية التي حققت كل شيء. بمعنى أن الطبقات المترفة من المجتمع في العالم الغربي هي التي تتبنى تلك الأفكار، فهي بسبب الترف والشبع والوصول إلى ذروة التطور، فلم تعرف ماذا تفعل بنفسها أو كيف ترفه عن نفسها فقامت تجرب كل أنواع الشذوذ، بينما يشكل الإيمان ضرورة قصوى للمجتمعات الفقيرة في حياتها.

رؤية الإسلام في التعامل مع الكوارث الطبيعية :

في يوم ٢٦ ديسمبر من عام ٢٠٠٤ م في أعياد الميلاد حدث زلزال قرب جزيرة سومطرة في قاع المحيط وحرك المياه بموج كالجبال وابتلع اليابسة ومعها أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة. وهذه الأرض وضعها الله سبحانه وتعالى للانسان { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ }الرحمن: ١٠. { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}الاسراء: ٧٠. ولكن هل شكر الإنسان الله سبحانه وتعالى على مارزقه من الطيبات؟

فإن ما جرى هو حدث كوني ضخم في مهد الإنسانية وفي مسرحه الاقتصادي والاجتماعي. فهل يمكن أن تتزعزع ثقتنا بكوكبنا الأرضي بهذا الزلزال أو بهذه الزلازل التي تحدث أم هي استثناء وسنة من السنن الكونية واستمرار في تشكيل الأرض الذي لم ينته تشكلها بعد حتى الآن؟

- ألم تحدث زلازل أضخم وأكبر من هذا الزلزال من قبل وهل أثرت على حركة الأرض وعلى استقرارها؟
- أيهما أكثر خطراً على الكون: الزلازل والبراكين أم عبث الإنسان وإفساده للبيئة الكونية التي تصطدم بالسنن التشريعية والكونية التي وضعها الله سبحانه وتعالى للانسان وأَمَرَه بالحفاظ عليها؟
- هل يمكن اعتبار الزلازل عقابًا من الله للبشر واعتبار ذلك تفسيرًا اسطوريًا من فقهاء الظلام الذين فقدوا عقولهم لترسيخ القدرية العمياء؟
- أم هي عبر وعظة لكل مستكبر ومفسد في الأرض؟

- وإذا كانت تلك الزلازل عقاباً من الله للبشر وعظة وعبرة لكل مستكبر ومفسد في الأرض فلماذا لا تفرق بين مؤمن وكافر ولا بين صغير وكبير.

ومع هول هذه الكوارث يسود شعور جماعي بالعجز الإنساني ويفقد العقل البشري اتزانه عند مشاهدة ضخامة هذه الكوارث وهولها، وتزداد الحالة الروحانية عودة إلى الله وخوفاً منه وطمعاً برحمته {... دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }العنكبوت: ٦٥ {... فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً }الاسراء: ٦٧.

فعلى هامش كارثة تسونامي برزت كتابات فيها بعض الجدل المعرفي والديني المتناقض وامتدت إلى السخرية المتبادلة بين الفريقين إلى أنها أصبحت عرضة لاجتهادات عشوائية وخلل فقهي في إدراك السنن الربانية والكونية معتبرين أن التنوير في العالم الإسلامي واجه إخفاقات كبرى ولم يستطيع إقامة جذور حقيقية للعقلانية مما سبب الاخفاق الحضاري الذي نعيشه، وأن الواقع العربي الإسلامي لم ينتقل بعد إلى مرحلة العلم الحديث ومقومات التفكير العلمي، ويعتبرون أن مهمة العلم الحديث هو فقط تعليل الظواهر وتحديد علة كل حدث حتى أنهم جعلوا من العقل العربي الإسلامي أسير لكثير من الأوهام، بل امتدت سخريتهم حتى إلى الإعجاز العلمي بأنه يدور في فضاء وعظي يعزز الدروشه الفكرية ويخل بأصول علمية فقهية في فهم التعامل مع الوحي.

والمفروض أن يصبح العلماء أكثر تواضعاً وإيمانا من غيرهم إزاء تعقيدات الكون وفهم قوانينه، وأن يتخلوا عن الحتمية بصورتها التقليدية التي تكرس الإلحاد، وتعتبر ماحدث غضب من الطبيعة وتقلل من قيمة الوحي. رغم أن التفسير الإعجازي لا يتعارض مع فهم تعقيدات الكون بل يدعمها ويسندها وهو المنطلق الرئيس لكل أساس علمي.

التفسير العلمي لظاهرة الحركات الأرضية:

عبر ملاييين السنين يتعرض كوكبنا هذا لرجات بالغة الشدة. حيث أن القشرة الأرضية مكونة من صفائح تاكتونية سمكها خمسين ميلا وهي عائمة على سطح الصهارة أو الماجما المكونة للب الأرض. وزلزال تسونامي حدث نتيجة الحركة الارتدادية لصفيحة بورما التي كانت تنزلق تحت الصفيحة الهندية عبر زمن طويل ويقدر العلماء قوة تفريغ الطاقة الذي خصل بنحو قوة أربعين ألف قنبلة نووية بقوة قنبلة هيروشيما مما نتج عنه تحرك بعض الجزر من مكانها أو غرقها من شدة الزلزال.

وهناك عاملان يؤثران في تحرك الجزر عن مكانها أو إغراقها. الأول: الحركة الناتجة عن الفالق الذي يسبب الزلزال نفسه وتزداد الطاقة بشكل هندسي . فالطاقة التي تخرج عند قوة خمس درجات تزداد إلى ٣٠ ضعفاً عند قوة ست درجات تزداد إلى ٩٠٠ ضعف في طاقة تتولد عن قوة سبع درجات وهكذا. وفي مثل زلزال سومطرة الذي بلغت قوته ٨,٩ درجة على مقياس ريختر فإن تحرك الفالق نفسه يكون ضخماً جداً يصل عرضه إلى كيلومترات عديدة.

أما العامل الثاني فيتمثل في الهزة الزلزالية التي تؤثر على الجزيرة كظاهرة طبيعية فيحدث هدم في قاع الجزيرة مما يؤدي إلى غطسها في المياه وتلاشيها واختفائها نتيجة انهيارها من قوة الهزة بجانب أن اجتماع العاملين الأول والثاني يؤدي إلى تحريك الجزر عن أماكنها بشكل ملموس.

ويحدث التسونامي (موجه المد العالي) عندما يكون حجم الزلزال ضخماً وتكون الإزاحة ضخمة في قاع البحر وهذه الإزاحة إما أن تكون أفقية أو رأسية على الفالق. فإذا كانت رأسية فإن الأرض ستتحرك نتيجته جزءٌ إلى الأعلى وجزءٌ آخر نحو الأسفل في امتداد يصل إلى مسافة ثمانمائة كيلو متر مما يؤدي بالفعل إلى تحريك كمية ضخمة جداً من المياه وهي التي تؤدي إلى حدوث الأمواج كالجبال والتي وصل ارتفاعها إلى ثلاثين متراء ولكن لو كانت الازاحة أفقية فان كمية المياه التي ستتحرك ستكون ضعيفة.

ويقول أنزوبوش مدير المعهد الوطني الايطالي للجيوفيزياء أن قوة زلزال اندونيسا عام ٢٠٠٤م حدث نادر جداً يعود إلى تراكم هائل للطاقة تحت قشرة الأرض وهو أعنف من الزلزال الذي ضرب تشيلي عام ١٩٦٠م وتجاوزت قوته تسع درجات.

وعندما تبلغ الطاقة المتجمعة والتغير مستوى خطيراً يحدث انكساراً وتكون شدة الزلزال بقدر ماسكون الانكسار قوياً.

فالانكسار الذي حدث في عرض البحر تسبب في ارتفاع هائل في موج البحر انتقل بسريعة بطول موجه ١٦٠ كيلو مترا وسرعتها تصل إلى ٨٠٠ كيلو متراً في الساعة لكن تصل بسرعة الموجه في المياه الضحلة إلى ٤٨ كلم/ساعة وارتفاعاتها تتجاوز الـ ٣٠ متراً ووقع الزلزال في الساعة ٧,٥٩ صباحاً قبالة ساحل إقليم اتشبه بجزيرة سومطره في شمال اندونيسيا وانتقل فيما يبدو شمالاً إلى جزر اندامان بالمحيط الهندي ، وأوضحت جولي مارتينيز خبيرة الطبيعة الأرضية ببرنامج مخاطر الزلازل التابع للهيئة الأميركية للمسح الجيولوجي بولاية كولورادو أن صدعاً وقع في مساحة شاسعة من أراضي جزر أندمان وانه مع تحرك الأرض وتصادم صفائحها بعضها بعضاً ، فان الأرض تتصدع في منطقة أخرى أي وقوع زلازل أخرى غير الزلزال الرئيسي متلاحقة بامتداد الصدع نتيجة شدة هذا الزلزال لأن الصدع مساحته أكبر.

واندونيسيا تتكون من أكثر من سبعة عشر ألف جزيرة معرضه للزلازل بسبب موقعها على حافات الصفائح الأرضية المكونة لما يسمى بحلقة النار المحيطة بحوض المحيط الهادي.

وتشكل الأرض في طوره لم ينته بعد فالبحر الأحمر جزء من الفالق الجيولوجي العظيم الذي يعرف بالوادي المتصدع الكبير الذي يمتد على طول شرق القارة الأفريقية ويمتد شمالاً حتى سورية ماراً بالبحر الأحمر وخليج العقبة والمملكة الأردنية الهاشمية وهو المسئول عن تحرك الصفائح التكتونيه القارية في قاع البحر الأحمر والتي تتسبب في تمدد

البحر الأحمر شرقاً وغرباً بما مقداره ٤ سم في العام الواحد أي أن البحر الأحمر في نظر الجيولوجيين بعد مليوني سنة سيتحول إلى محيط بحجم المحيط الأطلسي إذ اقدر للكون أن يعيش هذه الفترة القادمة .

ولكن ماذا يقول الإعجاز العلمي عن تلك الظاهرة ؟

فإذا كانت الأرض ليست كتلة متجانسة مثل الصخرة أو مفرغة فالأرض قشرة بتخانة ٤٨ كم يأت تحتها طبقة المعطف الخارجي بسماكة ٣٢٠ كم إما القلب فمكون من طبقة كثيفة من الحديد والنيكل المصهورين بدرجة حرارة ٦٠٠٠ درجة مئوية تدور بسرعة مخيفة وهذه الطبقة المصهورة هي قلب الأرض تسمى السيالة تدور باتجاه واحد تتدفق من القطب الجنوبي للكرة الأرضية إلى الشمال .

والأرض خلقت منذ بلايين السنين لم يختل نظامها المرسوم المنضبط {...ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} الأنعام : ٩٦ وهي مستقرة {...وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ... } لقمان : ١٠ ومتوازية {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} الحجر : ١٩ .

فلا خوف إذا على الأرض من حدوث الزلازل والبراكين من الانفراط والاندثار فكوكبنا ترعاه يد الخالق سبحانه وتعالى {إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا ...} فاطر : ٤١ .

وما يحدث هو تصدع "وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ" الطارق: ١٢ ولكن ماذا نطلق على هذه الظاهرة ؟ هذه الظاهرة هي أحدى الظواهر الكونية ففي الصحيحين عن ابن عباس قال "خسفت الشمس فبعد ما صلى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال " أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله " .

وما ينطبق على الخسوف والكسوف فهو ينطبق على الزلازل والبراكين وغيرها من الكوارث فهي آيات من آيات الله سبحانه وتعالى ينبغي ذكر الله ودعاؤه جل ثناؤه عند حدوثها . والسؤال الآخر هو هل هذه الآيات هي عقاب من الله للبشر ؟ فالجواب في كتاب الله سبحانه وتعالى { أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا...} الإسراء : ٦٨ .

كما حدث زلزال تسانومي في البحر بجوار أو في جانب جزيرة سومطره { قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ...} الأنعام : ٦٣ . { أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا } الإسراء : ٦٩ أي الريح من البحر يغرقكم كما حدث في موج المد العالي الناتج عن زلزال تسانومي . {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} الروم : ٤١. {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} النحل : ٤٥

{...وَ مِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا...} العنكبوت : ٤٠ .

ابعد هذه الآيات التي توضح أنها إنذار من الله سبحانه وتعالى للبشر بسبب كفرهم أو فسادهم سواء أكانوا كفاراً أو مؤمنين ظالمين لأنفسهم من أجل اتعاظهم ورجوعهم إلى الله وتذكرهم بقوة الله التي هي فوق قوة كل البشر وقد نبهنا الله سبحانه وتعال إلى عاقبة الظالمين {قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } النمل : ٦٩ وقوم شعيب أخذتهم الرجفة { فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }الأعراف : ٩١ .

وحينما زلزلت المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم سنة خمس من الهجرة قال صلى الله عليه وسلم " يستعتبكم ربكم فاعتبوه " وزلزلت زمن عمر بن الخطاب

سنة ٢٠ من الهجرة فقال : ياأهل المدنية مااسرع ما أحدثتم ، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم . خشي أن تصيبه العقوبة معهم لأنها شاملة تصيب الصالح والمفسد. والصالح إذا لم يتمكن الإصلاح يخرج من القرية الظالم أهلها لكي لاتشمله العقوبة .

وفي حديث رواه أبو داود " لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً " لان إقامة الحدود تمنع حدوث المعاصي وتعاطي المحرمات فهي سبب في حدوث البركات من السماء والأرض فبتنفيذ الشريعة وإقامة العدل تكثر البركات والخيرات فنحن في زمن فقد العدل وطغى الفساد وتعطلت إقامة حدود الله وثبت في الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب .

ولكن ماهي عاقبة المؤمنين الصالحين والأطفال ؟ وقد ثبت في الصحيح أن جيشاً يغزو الكعبة في آخر الزمان فيخسف بأوله وآخره فسألت السيدة عائشة رضي الله عنها الرسول صلى الله عليه وسلم أيخسف بمن ليس منهم قال نعم ولكن يبعثوا على نياتهم بالله سبحانه وتعالى لايظلم مثقال ذرة كما خشي عمر على نفسه وهدد أهل المدينة بالخروج منها إذا عادت الزلزلة نتيجة معاصيهم فالعقوبة تشمل الجميع ولكن يبعث كل بحسب عمله بل أن صاحب الغريق والهدم والحريق شهداء إذا كانوا من المؤمنين .

وروي ابن داود بإسناد حسن عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " الريح من روح الله تعالى تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا لله خيرها واستعيذوا بالله من شرها " .

أما من يقول أن هناك افتراضات تشير إلى احتمال حدوث تغيير في محور الأرض فهذا غير صحيح لأن الأرض تدور حول نفسها في سياق حركة مضبوطة معقدة ومتذبذبة لاتنحصر ضمن نقطة واحدة بل في نطاق مدى يبلغ عشرات الأمتار بل وحتى مئات الأمتار فالصحيح أن تلك المليمترات لاتشكل أي تأثير يذكر على محور الأرض .

بل أن الله سبحانه وتعالى هو الذي طلب من الإنسان الحفاظ على كيان هذه الأرض { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } الرحمن : ٩.

وهو أفساد من حيث أنه يهدم البنيان الذي بناه الله فالخوف من عبث الإنسان بكوكبه نتيجة السلوك السيئ الذي تسبب في اختلال نظم الكون الناتج عن النفايات النووية في جوف الأرض وارتفاع معدلات التلوث الناتج من الاستخدام السيئ لموارد الأرض فالعبث الحقيقي هو الخطر الذي يهدد مسكن الإنسان ومسرحه من أجل التنقل والكسب والذي أوصانا الله بأن لا نفسد فيه { وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا... }الأعراف : ٥٦.

وإذا كانت هذه الزلازل الضخمة آية وعقاباً من الله للبشر فلماذا لاتكون هذه الزلزلة عظة وتذكير لكل ظالم ومتكبر ومتجبر ومفسد في الأرض في أن يعود عن غيه وظلمه وتجبره سواء أكان فرداً أو جماعة أو أمة ؟ { ... أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ...}فاطر : ٣٧ .

ولماذا لا تكاستجمام..بره للعالم أجمع أو لعالم السياحة خاصة وان هذه المنطقة المنكوبة كغيرها من العديد من المناطق في العالم تعتمد في دخلها على السياحة بشكل رئيسي ولكن أية سياحة ؟ هل هي سياحة استجمام . أم أنها سياحة الشواطئ والنوادي والمراقص لإقامة الملذات فقد وجد مارك بيليز مدير المركز البريطاني للصحة العامة في جامعة جون مور في ليفربول ركز في دراسته على انتشار ثقافة عطلة الربيع باعتبارها عاملاً رئيسياً في ارتفاع الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي عالمياً . فالأسعار الأرخص لتذاكر الطائرات وتنامي السياحة تجتذبان أعداد متزايدة من البالغين الصغار إلى أماكن إقامة الحفلات من كانكون إلى كوده ساموي ومن خلال استجوابه الذين حضروا تلك الحفلات وجد أن الجنس يمارس في النوادي على أرض الرقص بشكل مفتوح لأناس التقوا لأول مرة هذه هي السياحة السائدة في أغلب تلك المناطق .

الإسلام والعلم والتحولات التاريخية:

خصصت مجلة (نيتشر) وهي من اعرق المجلات العلمية على مستوى العالم موضوعا (ثروة النفط وفقر العلم) وربطت المجلة فقر العلم بالإسلام وتناولت في مقالاتها طبيعة العلاقة بين الإسلام والعلم والتحولات التاريخية التي طرأت على هذه العلاقة وهذا العدد هو الرابع لشهر نوفمبر ٢٠٠٧ .

فالمجلة لم تستطع أن تفرق بين الإسلام كدين وبين المسلمين الذين يدينون بهذا الدين، فالإشكالية التي وقعت فيها هو ربط تخلف المسلمين وفقرهم علميا بالدين الإسلامي وجعلت من الدين الإسلامي سبب رئيسي في تخلف المسلمين.

لكن التحولات التاريخية تفند وتضحد هذا الاتهام الظالم الذي الصق بالإسلام . فالحضارة الإسلامية زاخرة بالعلماء والتقدم العلمي منذ صدر الإسلام وحتى العصر العباسي والعصور الوسطى في شتى العلوم في الطب والفلك والكيمياء والرياضيات والفنون وعلم الاجتماع .

والإشكالية الأخرى التي وقعت فيها المجلة ربط الفقر العلمي إلى تولي سلطة إسلامية في بعض الأقطار الإسلامية لأنها لم تكن مقتنعة بحرية التفكير وتمارس القمع ضد المثقفين وتحولت إعمال الحسبة التي تقوم بها إلى عنف مباشر موجه ضد خصومها.

أي أن المجلة ركزت على الحالة الإسلامية والسلوك داخل أطرها الحركية فضلا عن المجتمع من حولها بل وعملت لقاءات مع إسلاميين تراهم منفتحين لتعزيز فرضيتها على الأقل أن الإسلاميين هم السبب الرئيسي في تخلف المسلمين بسبب سلوكهم .

أي أنها اختزلت فقر المسلمين علميا في الإسلاميين وتتهمهم بأنهم نصوصيون مؤكدة أن التفكير الحر والعقل النقدي ليس من أولويتهم .

وتجاهلت أن الإسلام يعترف بالجهد البشري والاكتشافات ويدعو إليها {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} الذاريات : ٢١ {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ... } العنكبوت : ٢٠والآيات كثيرة التي تدعو إلى الإيمان عن طريق العقل ولو رجعت المجلة إلى الإسلاميين ومن أبرزهم القرضاوي الذي يكرهه الغرب يؤكد في كتابه (الحركات الإسلامية والتحديات المعاصرة) بان على الإسلاميين مطالبون بالتعلم من الأخطاء ، وتقديم تطمينات حقيقية بشان التفكير الحر والعقل النقدي بما في ذلك حرية البحث العلمي ورعاية المجتمع الأكاديمي بل يذهب القرضاوي إلى ابعد من ذلك ويطالب الدولة بحماية حتى المختلفين مع مشروع الدولة فكريا وسياسيا.

فاللوم لا يقع فقط على الحكومات ولا على الجماعات الإسلامية بل هي اكبر من ذلك يشترك فيها الجميع والدين براء من تقصير المسلمين.

لكن يحسب للمجلة إيضاحها بان الثروة النفطية في العالم العربي ساهمت في تكريس تجاهل أن العلم ضرورة ملحة وشرطا للتنمية ، وكرس هذا التجاهل الحاجة للعلم ما دام المال يشتري التقنية ، والمفارقة التي تراها المجلة أن الاكتشافات العلمية حتى في ميدان النفط عماد الاقتصاد الخليجي تستورده من الخارج لأكثر من نصف قرن يسري هذا على تقنية التنقيب والحفر والتكرير بل حتى التسويق، و تتكرر المشكلة نفسها في تحلية المياه .كما أرجات المجلة السبب في الفقر العلمي إلى تجاهل القيادات والتدخل السلبي في الحياة الأكاديمية وفي مراكز الأبحاث حارمة إياها من الشفافية في اختيار أنظمتها وقياداتها، وان كان هو أمر مبالغ فيه كثيرا، والمشكلة هي اكبر من ذلك هي تخلف جماعي يتحمل المسؤولية الجميع بسبب غياب مؤسسات مدنية فاعلة .

إذا التخلف العلمي وانتشار الفقر في العالم العربي والإسلامي سببه اجتماعي وليس ديني.

منهج التدرج عبر التجريب أحدث النظم الاقتصادية:

جرب العالم انظمة شمولية وأصولية على مدى تاريخه ،ولم يجني منها إلا الدمار والصراعات والحروب .وأصبح العالم يعاني اليوم نتيجة تلك الأنظمة الشمولية الفقر والمرض والتخلف، وأحدثها اليوم موجة ارتفاع أسعار الغذاء التي تزيد من بقعة الفقر بعدما كان الاقتصاديون يبشرون بالقضاء التام على الفقر بعد عقد أو عقدين من الآن.

لكن يتساءل المرء أين مكمن الخطأ ؟ فقد اهتم الاقتصاديون في الماضي بقضايا أصولية شمولية مثل اعتدادهم بأصولية السوق، وبالأصولية المؤسسية وإيمانهم الكامل بقوى السوق ودائما ما كانوا يرددون (اتركوا السوق تقوم بعملها) لذلك فهي تؤكد على مزايا مطلقة للتحرير الاقتصادي والتخصيص والأسواق الحرة .

لكن بعدما عانى العالم من أزمات اقتصادية ولم يجد الحلالتوصيات،، في النظم الاقتصادية التقليدية ، لجا البنك الدولي قبل عامين ونصف إلى تكوين لجنة واسعة الصلاحيات لدراسة النمو الاقتصادي للبحث عن أسباب فشل تطبيق النظم الرأسمالية أو أنظمة الأسواق الحرة في الدول النامية والبحث عن بدائل لتلك الأنظمة التقليدية التي فشل تطبيقها في الدول النامية ، فاتصلت بمايكل سبنس الحائز على جائزة نوبل ،وعلى هذا الأساس نشأت لجنة سبنس الخاصة بالنمو والتنمية وأصدرت تقريرها في أيار (مايو) ٢٠٠٨ .

نقطة التحول في التقرير حولت سياسات التنمية ليس بسبب التوصيات ، ولكن بسبب ما امتنع عن الخوض فيه . فقد تجاهل التأكيدات على مزايا التحرر المطلقة والأسواق الحرة والتخصيص ، أي تجاهل التوصيات الثابتة القديمة التي أتت بها النظريات الاقتصادية التي لم تتنبه إلى الفوارق بين البيئات الاقتصادية المختلفة ، وأكد التقرير على الأسلوب التجريبي التدريجي وهو منهج إسلامي لم يتبعه المسلمون في تعاملاتهم الاقتصادية واكتفوا بتطبيق

النظم الشمولية التقليدية وهو احد الأسباب الرئيسية في فشل معالجة الكثير من القضايا الاقتصادية التي زادت تأزما .

فمنهج التدرج والتجريب قائم على التشخيص وهو منهج مخالف لمنهج الرأسمالية والسوق الحرة القائم على الافتراضات الذي يخرج بمواصفات ثابتة بينما منهج التدرج والتجريب يركز على المعوقات والقيود الاقتصادية الأضخم حجما بدلا من اعتماد أسلوب الإصلاح الشامل فهو يؤكد على التجريب والمبادرات التي تستهدف مجالات محددة أو محدودة للتوصل إلى حلول محلية .

أي انه لا يثق في العلاجات الشاملة، بل يبحث بدلا عن ذلك بالإبداعات التخطيطية التي تنجح في الدوران حول التعقيدات الاقتصادية والسياسات المحلية. وقد نجحت الصين في تبني هذا النموذج منذ عام ١٩٧٩ وحققت أعظم النجاحات التي شهدها العالم وقلصت من حجم الفقر.

فنجاح تقرير مثل هذا يرجع إلى تجنب الحلول السطحية التي تتميز بها النظم الاقتصادية التقليدية وأكد التقرير أن كل دولة عليها أن تبتكر مجموعة من العلاجات التي تناسبها وان الدولة هي الوحيدة القادرة على تقدير وصفات علاجية مناسبة لمشكلاتها.

مصارف الزكاة ومسؤولية المجتمع المدني :

الزكاة هي احد أركان الإسلام تأتي في الترتيب بعد إقامة الصلاة ، وهي أداة أساسية في نظام الدولة الإسلامية من اجل ضمان استمرارها ، لذلك كلف ولي الأمر بجباية الزكاة وحددت مصارفها كي لا تترك لاجتهادات متعددة على مر العصور أو لقرارات اقتصادية وظروف اجتماعية وفق أهواء شخصية .

ومصارف الزكاة كما هو معروف ثمانية تتوزع بين مجالات عدة منها المجالات الاجتماعية تشمل (الفقراء والمساكين وابن السبيل) ومجالات النشاط العسكري (في سبيل الله) وتشمل أيضا النشاط الائتماني (الغارمين) ومجالات نشر الرسالة المحمدية (والمؤلفة قلوبهم).

السؤال الذي لابد من طرحه هنا بعد استعراض مجالات مصارف الزكاة هل إخراج الزكاة حققت الأهداف التي من اجلها فرضت الزكاة ؟ خاصة في ظل عشوائية وضبابية أداء هذا الركن وما نلاحظه في الشهر الكريم من تزاحم السائلين على أبواب ومحلات التجار والأغنياء، وهل هؤلاء تنطبق عليهم مجالات مصارف الزكاة هذا إذا كانت الأموال التي تعطى لهم من أموال الزكاة ؟.

لان المتزاحمين مختلطين فيهم السائل القوي الذي نبه الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا السلوك المنحرف إذ قال (لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا (من يسال الناس أموالهم تكثرا ، فإنما يسال جمرا ، فليستقل أو ليستكثر) .

فالزكاة في الأصل فرضت من اجل تحريك عجلة النمو الاقتصادي وهي حرب على البطالة والتسول على حساب المستحقين اجتماعيا المتعففين عن مهانة ذل السؤال والتي هي عونا للمسنين والعاجزين والأرامل والأيتام والمصابين بإمراض مزمنة فهؤلاء لا يستطيعون الذهاب لامتهان كرامتهم لان الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم { وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} الذاريات : ١٩ فإذا كان للسائل حق من أموال الأغنياء إذا لم يكون من الفئات الثمانية فان العطاء يكون له بعد إخراج الزكاة أو لاتكون من الأموال المخصصة للزكاة لان الإسلام حدد مصارف الزكاة ، ومسؤولية المجتمع المدني إيصال حق المحرومين والذين لا يسالون الناس تكثرا فلابد أن تصل أموال الزكاة إلى فئة المحرومين ضمن عمل مؤسسي منظم ولا يمكن أن يتم ذلك إلا عبر وسائل

منضبطة تتولاها جمعية مراكز الإحياء بعد تقسيم المدن إلى إحياء صغيرة مستعينة بالإحصاءات السكانية وعمد الحارات وأئمة المساجد ووجهاء الإحياء لحصر المحتاجين حصرا دقيقا لمعالجة مشكلة الفقر إلى جانب ما تقوم به الدولة من مؤسسات الضمان الاجتماعي والتي لا تستطيع حصر الفقراء حصرا شاملا بدلا من ذهاب الأموال إلى المتجمهرين والشحاذين الذين امتهنوا تلك الظاهرة السلبية وحرموا المستحقين المتعففين والمساكين الذين لا يسالون الناس إلحافا .

إذا فالمسؤولية هي ليست مسؤولية الدولة فقط بل أيضا تشارك مؤسسات المجتمع المدني في حصر تلك الفئات وإيصال الأموال إليهم بشكل مؤسسي بدلا من الجهود العشوائية الوقتية لان العمل المؤسسي يستعين بالخرائط والصور الجوية واستخدام التقنيات الحديثة بكفاءة عالية تختصر الوقت وتصل إلى المستحقين بأسرع وقت وهنا نستطيع أن نعالج مشكلة الفقر معالجة جذرية ضمن تكافل اجتماعي مسئول .

خطورة ادلجة عالمية الإسلام

مصطلح عالمية الإسلام سابق لمصطلح العولمة، وتختلف مفاهيمهما، ومصطلح العولمة (التكامل) مشتق من مفاهيم عالمية الإسلام ، ومفاهيم عالمية الإسلام تعني الرحمة { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} الأنبياء: ١٠٧ وهذه الرحمة لا يمكن ادلجتها من قبل أشخاص أو جماعات مهما كانت صفتها ومكانتها ، وتنتشر عالمية الإسلام عبر وسائل سلمية وعبر قوى كامنة قد لا يدركها أو لا تستطيع أي قوى مهما أتيت من قوة أن تمنع انتشار عالمية الإسلام وقد برهنت الأزمة المالية العالمية الأخيرة قوى عالمية الإسلام وبدا العالم يبحث عن منقذات للازمة العالمية من مبادئ الصيرفة الإسلامية التي استطاعت أن تصمد إمام الأزمة المالية رغم محدودية أدواتها وضئال موجود لأنها ترتكز في الأساس على المبادئ والأخلاق وتركز على العدالة بين المجتمعات والإفراد لان الإسلام يرفض ويحارب كل من يستغل الناس .

لهذا فان ادلجة عالمية الإسلام تلغي مضامينها وتلغي معناها الواسع وتحولها إلى معنى ضيق حتى ولو كانت تلك المضامين صادرة عن جماعات إسلامية تجعلها ترفض الدولة القومية وتسعى لهدمها على اعتبار أنها تتعارض مع عالمية الإسلام لأنها نتاج اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم العالمين العربي والإسلامي ما جعلها تعادي حكومات الدول القومية وجعلت من الدول العربية والإسلامية مسرحا وساحة مواجهة ضد دول الاستكبار العالمي وهو مصطلح تستعمله بعض الجماعات الإسلامية خالفت بذلك منهج الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة مرتين حينما كان المسلمون مستضعفون وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لم يتوقف أذى كفار قريش بل زاد وكل الغزوات التي دارت رحاها كانت حول المدينة ولم تكن حول مكة وحينما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أداء العمرة منعته قريش وابرم معها صلحا غير منصف وكان مجحفا

وغير متكافئ رغم أن المسلمين كانوا يمتلكون القوة والمنعة فتضجر كثير من الصحابة من هذا الصلح غير المتكافئ لكن أشارت أم سلم زوجة النبي صلى الله عليه وسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم المبادرة بمبادرة إلى الحلق وذبح هديه ليتبه بقية الصحابة المتضجرين من هذا الصلح وأدرك الصحابة فيما بعد حكمة هذا الصلح حينما منعت قريش كل من يسلم الدخول إلى المدينة فتجمعت عصابة مؤمنة وقفت حائلا أمام تجارة قريش إلى الشام وتمنت قريش أن تسقط هذا الشرط .

وبعدما قويت الدولة الإسلامية كان هم الرسول صلى الله عليه وسلم نشر الدعوة الإسلامية بالحسنى وبدون إكراه وليس مثلما يروج الغرب بان الإسلام انتشر بقوة السيف بل أن هذا الفكر يتبناه حتى بعض المسلمين ويصرون عليه مستدلين بقول الله سبحانه وتعالى { ... قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَالْكُفَّارِ... } التوبة :١٢٣ وهذه الآية نزلت في سورة التوبة التي نزلت عام تسع من الهجرة بعد فتح مكة بعام لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بالنبذ إلى المشركين بعهدهم ، وأباح للمشركين الضرب في الأرض ، والذهاب إلى حيث يريدون وأمهلهم أربعة اشهر ومن يبقى يقتلون حيث يوجدون وابتداء هذا الأجل من يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الأخر من سنة عشر {... وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ... } التوبة : ٢ أي اعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز ، ولكن لمصلحة من يتوب لان الرسول صلى الله عليه وسلم أراد بعد فتح مكة تطهيرها من الشرك وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع مسلم وكافر بالبيت الحرام بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم اجل فاجله إلى مدته ، ومن يكن له اجل فاجله أربعة اشهر .

والجهاد ليس انتقاما من الكفار بينما هو دفاع عن النفس {... فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ} البقرة :١٩١ { لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ...} الممتحنة : ٨ { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ...} البقرة : ١٩٠

عالمية الإسلام والعولمة :

عالمية الإسلام سبقت العولمة بشمولها واتساعها واعترافها بالتنوع والتعدد إثراء من اجل الوصول إلى المشتركات وحفظ الحقوق والتعايش ونبذ الخلاف وترك حكمه إلى الله { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللّهِ...} . الشورى : ١٠

فالعولمة نتاج تطور جهد بشري تحمل صفة الايجابية والسلبية وان كانت هي لا تزال مفتوحة على تعدد التأويلات والتسويغات بدلا من حصرها في منظومة فكرية مغلقة وجامدة .

ومهما يكن فان العولمة انبثقت وتنامت في محيط الاقتصاد الليبرالي الغربي وهي بذلك تعد نسقا جديدا لا يمكن إغفال طابعها الإيديولوجي ويغلفها الشكل التكنولوجي والاقتصادي ، وتحمل طابعا أساسيا وهو التوسع الهيمني كمحدد أساسي لها. وإزاء ظاهرة العولمة اقترحت إطراف فكرية من النخبة العالمية ممثلة في منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) وثيقة انطلقت عام ٢٠٠٥ بمثابة موقف وسط بين دعاة عولمة بلا حدود وبين دول معرضة للاكتساح واعتبار العولمة بتبنيها مبادئ السوق قد خلقت ظاهرة انعدام المساواة وأدت إلى زيادة اختلال التوازن بين الأغنياء والفقراء وهذه النخبة تدعو إلى تقاسم شعور الانتماء المشترك في أن معا وان جميع المجتمعات مدعوة إلى التوفيق بين المطلب المزدوج للوحدة والتنوع .

فعالمية الإسلام تدعو إلى التنوع كإثراء تراكمي يضاف إلى ما سبق من اجل الانفتاح المنصف والمتوازن مع حفاظها على وحدة المجتمع إلا نساني { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} هود : ١١٩ أي

خلقهم على الحق ولا يمكن أن يستمر الاختلاف إلا إذا استخدم البغي واتبع الهوى { ...وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم...} البقرة : ٢١٣ { ... وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ...} البقرة: ٢١٣ .

هذه هي عالمية الإسلام التي تحافظ على التنوع كإثراء وتدعيم للحق والحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع بشروط ثلاث أولها إتباع الحق المنزل والاحتكام إليه وثانيها الابتعاد عن إتباع الهوى وثالثها الحذر من ممارسة سلوكيات البغي والتعدي على الآخرين تلك هي صفات عالمية الإسلام التي تختلف عن العولمة المؤدلجة .

التربية على عالمية الإسلام :

من المحاور الأساسية التي نوقشت في الملتقى العربي للتربية والتعليم الذي تنظمه (مؤسسة الفكر العربي) محور (تجارب وقضايا التربية على العالمية) خصوصاً بعد بروز عصر العولمة فبدأ تعليمنا يعاني من التوتر بين العالمي والمحلي . فلم يتمكن تعليمنا من تجاوز تلك المرحلة أدخلتنا مرحلة التخوف من أن يصبح الطالب مواطناً من مواطني دول العالم يحكمه عقل عالمي يزداد كل يوم قوة.

رغم أن الدين الإسلامي يربي المسلم على العالمية ويجعله ينظر إلى البشرية على أنها شعوب متآلفة غير متصارعة { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...} الحجرات : ١٣ فهي دعوة واضحة إلى العالمية والاندماج عبر انفتاح وتأقلم مع معطياته المتجددة ، لكن ما واجهته التربية العربية هو الخوف الدائم من فقدان الهوية والخوف من ذوبان الخصوصية ، بل ويطالب الكثيرون ضرورة الحفاظ والدفاع عن تلك الهوية حتى لا تتلاشى تلك الخصوصية .

ولم يدرك هؤلاء أن عالمية الإسلام تمتلك قوة حيوية كامنة وتمتلك قدره على احتواء هويات أخرى عالمية مع اعترافها في نفس الوقت بالتنوع والتعدد لما يتمتع به الإسلام من قيم وتسامح فطرية يستوعبها العقل البشري الواعي المدرك لحقائق الأمور .

فالخوف مثلاً من الحرية المنفلتة عبر عالمية العولمة يمكن مواجهتها بالتربية الإسلامية التي توجه الشاب المسلم إلى ضبط غرائزه ورفض كل مايدعوا إلى الرذيلة والحياة البهيمية لتصونه من الانحراف . وكذا الخوف مثلاً من الجنس الأمن الذي يدعو إلى تأمين الإنسان من الإصابة من الأمراض الجنسية مثل الايدز ففي الإسلام توجهات توعي الجنس البشري من مخاطر محاربة الجنس الأمن وانعكاسات آثاره على بنية الأسرة التي هي نواة المجتمع التي ينتج عنه أطفال غير شرعيين بحقوق أقل من حقوق الأبناء الشرعيين مما يجعلهم أسرى الضياع والاكتئابات النفسية التي تؤدي إلى الانتحار أو يصبحوا حاقدين على المجتمع بأسره نتيجة ضياعهم فيمتهنون الجريمة انتقاماً من المجتمع .

فالمسلمون يملكون حصوناً منيعة تحميهم من الخوف على ذوبان خصوصياتهم أو ضياع هوياتهم ويستطيعون مواجهة فرض نموذج إباحي قسري عبر العولمة بالتربية القيمية التي تدعو إليها عالمية الإسلام والتي تجد القبول والتأييد من العقل الواعي المدرك لمخاطر الإباحية التي تفتك بالأفراد وتدمر المجتمعات وتجعله فريسة الأوبئة والأمراض .

ولا نخشى على ضياع هويتنا إلا في حالة أن نغلب القيود الاجتماعية على القيود الشرعية حينما يرجح جانب التمسك بالنصوص الظاهرية على جانب مقاصد روح الإسلام. عندها سنشعر بالحاجة إلى الدفاع عن الهوية والخوف من تلاشي خصوصياتنا فنحن بحاجة إلى تقديم تربية لطلابنا بأسلوب متوازن يحمل في ثنايا طروحاته القيم الروحية كباني ومنقذ للبشرية بدلاً من براثن الانحلال الخلقي . فالدعوة القيمة هي عالمية قبل أن تكون محلية وهي دعوة لا تتعارض مع انتماء الإنسان لوطنه والتي تحثه على الحفاظ على مكتسباته بكل السبل الممكنة . فهو دين يوازن بين عالمية الدعوة واحترام الخصوصيات المحلية بل ويصونها لإرساء قاعدة التعايش السلمي بين الشعوب وقبول التنوع والتعدد ضمن قاعدة

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} القرة : ٢٥٦ وهي بذلك تسقط الدعوات الداعية إلى صراع الحضارات أو إلى صراع الأديان أو إلى نحو ذلك والتي يجب أن يقابلها جبهة عالمية موحدة تقف في وجه استبداد هيمنة القوى الظالمة التي تعتدي على الشعوب الضعيفة من أجل إحقاق العدل وإرجاع الحقوق المغتصبة لأصحابها لكي ينعم العالم بالسلام والحرية .

عالمية الإسلام دعوة إلى السلم والتعايش :

تدعو عالمية الإسلام إلى الاعتراف بالآخر اعتراف تعايش من أجل الاندماج داخل المجتمعات وهي ضد الدعوى إلى االبشر.قوقعة وتؤمن بإتاحة الفرصة وفتح المجال للجميع من أجل المشاركة وهي دعوة مضادة للخطابات المتشددة وبالتي تتردد من الجانبين سواء من جانب المسلمين أو من جانب غير المسلمين . فخطابات المتشددين من المسلمين أو الليبراليين لا تخدم التعايش والاندماج بل هي دعوة إلى الصدام والعدوان وإلى افتعال الفتنة وإثارة النعرات العنصرية والطائفية والمذهبية وهي التي ساندت إلى ظهور نظريات صدام وصراع الحضارات على مر التاريخ .

بينما عالمية الإسلام تقطع الطريق على كل من يدعو إلى هذا الصدام أو إلى هذا الصراع الذي لا يخدم أحداً من البشر .

لأن عالمية الإسلام تتصف بالسماحة وتسمه بإنسانية البشرية جمعاء وتدعو إلى تعزيزها بين البشر من خلال مشتركات عديدة من أجل التعاون والتكامل فالدعوة إلى الانعزال والتقوقع من الغلو في الدين حذر منها الإسلام سواء أكانت من المسلمين أو من غيرهم { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ...} المائدة : ٧٧ وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال " هلك المتنطعون كررها ثلاث مرات ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ينصف غير المسلمين وبمتحد صفاتهم الحميدة فقال " ولدت في زمن الملك

العادل " يقصد كسرى ملك الفرس الذي كان يدين بالوثنية في ذلك الوقت فلم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من إعطائه حقه في الدنيا كما امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم الروم فقال: " أنفعهم لمسكين " لذلك وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء : ١٠٧ .

فالدعوة إلى التعايش والاندماج سمة من سمات عالمية الإسلامي التي تقطع الطريق على خطابات التطرف التي دائماً ما يرددها كثير من المتطرفين من المسلمين وغير المسلمين.

فعالمية الإسلام ليست فقط دعوة إلى التعايش بل مسئولة عن معالجة الاحتقانات التي ينصب شباكها الغلاة والمتنطعون في الدين من جميع الديانات.

وسبقت عالمية الإسلام الديانات الأخرى في التأقلم مع كل ما هو حديث في حين وقفت الكنيسة عهوداً طويلة ضد العقل والعلم والتقدم والحقوق الفردية وقيم السوق.

والآن نفس الغرب المتقدم يسعى إلى قطيعة خطيرة ومتنامية بين الغرب والإسلام خصوصاً بعد تزايد الأحزاب اليمينية المتطرفة التي تستند إلى القيم الدينية في برامجها السياسية والمجتمع مستغلة القوى المناهضة للديمقراطية والعولمة في العالم الإسلامي الذي ارتفع صوتها وتزايد نفوذها .

فعالمية الإسلام لن تترك تلك التيارات المتعصبة هي التي تقود في المدى المنظور الفتنة الدينية داخل العالم الإسلامي نفسه السائدة في الوقت الحاضر مابينه والغرب .

إن الإسلام المشوه الذي قدمه البعض ليس هو الإسلام السمح إسلام التعايش والمحبة الذي أتى به سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ورحبت به أمم العالم قاطبة لأنها عرفت أنه دين لا يدعو إلى التشنج والاعتداء { ... وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنّ اللهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ } البقرة : ١٩٠ ودين تعايش مع البشرية قاطبة { يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...} الحجرات : ١٣ ودين يدعو إلى الله بالحسنى { وَلا

تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ...}العنكبوت : ٤٦ وقفينا مع الجميع بكلمة واحدة في الأصل { ... تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مّن دُونِ اللّهِ... } آل عمران : ٦٤ وإذا رفضوا الاستجابة فتكون النتيجة هي { ... فَإِنْ تَوَلّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ } آل عمران : ٦٤ دون محاربتهم وإكراههم على الدخول في دين الإسلام إيماناً بقاعدة { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ...} البقرة : ٢٥٦ فالمهمة في عالمية الإسلام ليست إنهاء الآخر بل هي إنقاذه من الصلاة وإدخاله الجنة بالهداية لا بالإكراه ولذلك دائماً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مرشد أصحابه وأمته " إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين " وكذلك في قول آخر " بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا " فعالمية الإسلام أول ما تدعو إليه نشر الأمن والطمأنينة لكافة البشرية لأن الإسلام دين قيادة وأوسع من آفاق المقصرين عن فهمه وهو فوق المنتسبين إليه حتى ولو أصر الرعاع والغلاة على تقديم صور مشوهة استغلها أعداء الإسلام لإيقاف المد الإسلامي لأنه دين فطره إذا ما وصل بصورته الحقيقية ما أسرع نمو الإسلام وتمدده . فعلى الدعاة إلى الله تصحيح صورة الإسلام أولاً قبل الدعوة إليه وان نعيد الأمن والطمأنينة لهم حتى في السفر في الطائرات حتى لا يستعيدوا في أذهانهم ما قرأوه وسمعوه عن مفجري الطائرات في ١١ سبتمبر.

مسؤوليتنا عظيمة في عصر العولمة :

الإسلام دين حضارة وقيم ومبادئ لا يتعارض مع الديمقراطية والغرب وشعوب العالم بأسرها بل يتقاطع معها ويتصالح ، لكن هناك الكثير من المسلمين يضعون سؤالا مهما

وهو كيف يمكن أن نصالح بين القيم الروحانية والأخلاقية العليا من جهة والقيم العلمية والفلسفية والإنسانية للحضارة الغربية من جهة أخرى ؟

فالإسلام دين عالمي غير مقتصر على امة من الأمم أو شعب من الشعوب بل انه دين البشرية { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء : ١٠٧ لذلك لا يجوز لأي فئة أن تخطف رسالة الإسلام وتنسبها إليها بل هي رسالة عالمية وذات نزعة إنسانية وقوة مستنيرة ترفض الظلامية أيا كان مصدره .

فالإشكالية التي يقع فيها المسلمون هي القراءة الخاطئة لرسالة الإسلام التي أصبحت سائدة بين بعض الفئات من المسلمين فرضت عليهم قيود شديدة حالت دون إعادة قراءة رسالة الإسلام مما أدى بها إلى الانقلاب وممارسة التشدد والإصرار على تمسكها بالقراءة التقليدية وتتهم كل من يدعو إلى تقديم قراءة جديدة بمسميات عديدة باعتبار قراءتها الوحيدة الصحيحة وكل ما عداها قراءات خارجة عن المنهج الإسلامي الصحيح إذ لا تعترف بتعدد القراءات . فأصبح الهوى مبتغى وحيدا وأصبح شح الأنفس ديدن كثير من الفئات الذي حذرنا منه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يؤدي إلى استباحة الدماء والحرمات نكون قد أعطينا أعدائنا زمام القيادة المطلقة تفتك بدولنا .

يخطئ من يظن أن التحرر الداخلي (أي التخلص من القراءات الخاطئة للإسلام) أسهل من التحرر الخارجي (أي الاستعمار وأدواته الحديثة أبرزها الهيمنة) بينما على العكس من ذلك تماما لان عدم القدرة على التحرر الداخلي يدخلنا في صراع مع النفس والغير حتى يتحول الإسلام كدين إلى رهينة بعيدا عن رسالته الوضاءة المشرقة التي أتت رحمة للعالمين .

والتوجه نحو تجديد القراءة القديمة وتحديثها لتغيير الصورة الخاطئة والمشوه عن الإسلام يجب أن تتبع المنهج النبوي في التدرج بدلا من خرق المراحل حتى نصبح متصالحين مع أنفسنا أولا ثم مع الغير أسوة بالسلف الصالح كعمر بن الخطاب الذي صلى في الكنيسة

عند زيارته للقدس ولم يجد في ذلك غضاضة ولم يعترض على المدخل المشترك للمسجد والكنيسة .

ففي عصر العولمة الآن فرصا جيدة لنشر الدين الإسلامي وفق قراءات صحيحة غير مشوهة يمكن أن يدخل الإسلام في كل بيت مثلما تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الدين خصوصا في زمن يبحث فيه الناس عن ملاذ روحي في الأديان في ظل ضغوط التكنولوجيا العابرة للحدود التي دخلت كل بيت وساهمت في في انهيار البنى الاجتماعية والأسرية التقليدية لذلك فالقراءات التقليدية غير قادرة في عصر العولمة التأثير على النزعة الإلحادية التي هي ظاهرة ناجمة عن ردة فعل . فأصبحت مسؤوليتنا عظيمة في عصر العولمة لان الحماسة الدينية في السياسة الدولية غير مجدية .

آثار رياح العولمة على شباب المسلمين :

علمانية الغرب هي ترك أمور الدين لضمائر الأفراد . ولكن عام ١٩٩٢م يعتبر عام فاصل في تاريخ الغرب حينما دعا رئيس المفوضية الأوربية آنذاك جاك ديلور ، إلى إيجاد روح لأوربا وبسبب تلك العبارة بعد أكثر من عقد من الزمن على إفصاح دعوة جاك ديلور شملت معركة حول بث روحي في أوربا هزت أركان المفوضية الأوربية حينما أعلن المرشح لمنصب وزير العدل الكاثوليكي روكوبا بتغليوني على أن المثلية الجنسية خطيئة وان الأمهات غير المتزوجات سيئات وان كان الرئيس برلسكوني وصفها بأنها تفوح بالأصولية أن لم تكن بالظلامية قبل توقيع دستور أوربا الموحد أثارت لغطاً وجدلاً واسعاً.

السبب في ذلك أن الإباحية الجنسية قادت إلى أزمة صحية عالمية جديدة فأصبح التبليغ سنوياً عن ٣٤٠ مليون حالة جديدة من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي بزيادة ٤٠ في المائة منذ عام ١٩٩٠م طبقاً لمنظمة الصحة العالمية.

وأكثر من نصف تلك الحالات الجديدة تحدث بين صغار الرجال والنساء تحت سن الـ ٢٥ بينما كان قبل عقد من الزمن يقتصر المرض على بائعات الهوى والرجال المثليين ومتعاطي المخدرات بالحقن الوريدي أما اليوم فان الفئة الأكثر تعرضاً هم تحت سن الـ ٢٥ حسب تقارير البنك الدولي الجديد لعام ٢٠٠٤م .

وللعولمة أبعاد متعددة وليست مقتصرة على البعد الاقتصادي بل تتعداه إلى البعد الاجتماعي والثقافي أيضاً سواء أكان ذلك ايجابياً أو سلبياً .

ففي الصين مثلاً في نهاية الثمانينات كان ١٥ بالمائة فقط من الصينيين قد انخرطوا في ممارسة الجنس قبل الزواج ، أما اليوم فقد فعل مايقدر بـ ٧٠ في المائة منهم ذلك .

والعالم الإسلامي ليس بمنأى عن ذلك الدخن بل أن تلك الأمم تحاول أن تصدره إلينا تحت حجج كثيرة مثل الإصلاح وحقوق المرأة والطفل والسكان وهي السبب في تكثيف توجيه وبث مواد إعلامية عبر مختلف شبكات الاتصال تدعو إلى التحرر وإقامة العلاقات المحرمة من خلال مشاهدة برامج إباحية تدغدغ مشاعر الشباب الجنسية وقد سبق أن حاولت تلك الدول من خلال تحرير المرأة عبر مؤتمرات عقدت تحت رعاية الأمم المتحدة حول المرأة والطفل والسكان طرحت أفكاراً تعارض ماورد في الدين الإسلامي وبقية الأديان مثل إباحة الإجهاض وزواج الشواذ تزامن مع اتجاه دولي كانت وراءه بعض القوى العولمية لنقل القيم الغربية إلينا فعقد مؤتمراً في مصر عام ١٩٩٤م ومؤتمر المرأة في بكين عام ١٩٩٥م وعقدت مؤتمرات لاحقه بعد ذلك لمراجعة ماتم تنفيذه وما لم ينفذ لكن واجهت تلك المؤتمرات بالرفض الشديد من جميع الدول الإسلامية بكل مكوناتها وتصنيفاتها الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية . لكن هذه المرة لجأت إلى تكثيف توجيه تلك المواد الإعلامية الإباحية عبر الفضائيات والانترنت . ولكن ماذا أعددنا نحن لتلك الهجمات الشرسة التي لا تفرق ؟ وهل ننتظر أن نصل إلى ماوصلت إليه الصين ودول شرق أوربا ؟ وهل أجرينا دراسات مستفيضة في جامعاتنا عن الآثار الناتجة عن مشاهدة أبنائنا تلك المشاهد الإباحية لكل فئة عمرية من الجنسين ووضعنا الحلول اللازمة لمواجهة ذلك الوباء ؟

لايزال الحرج الاجتماعي إضافة إلى العادات والتقاليد تسيطر علينا وعائقاً أمام توعية الأباء والمعلمين والإعلام لأبناء المجتمع وخصوصاً من هم تحت سن الـ ٢٥ .

فالتربية الإسلامية الواعية هي الحل الوحيد لأننا لانستطيع أن نغلق الأبواب على أبنائنا ونكتفي بتوجيه العبارات التشنجية فقط كأننا نعيش في قرن الصحابة أو الآباء والأجداد ونغض الطرف ونستهين بالأمر .

يجب أن نعرض لأبنائنا في المدارس الآثار الناتجة عن ممارسة الجنس من غير زواج بطرق تربوية دينية لحالات حقيقية مريضه بالايدز والزهري والسيلان والفطريات المتدثرة وزيادة معدلات الحمل الناتجة عن تلك العلاقات والتي ثمرتها أطفال أبرياء لا ذنب لهم يعانون أمراضاً نفسية وانعزالية خطيرة تجعل منهم أناس حاقدين على المجتمع وذات أثر تدميري على تماسك وخلخلة الأسرة المسلمة التي هي اللبنة الأساسية في تماسك المجتمع .

١. ونوضح لهم أن من أجل ذلك حرم الإسلام تلك العلاقات التى هي خارج إطارها الشرعي وأمر بضبطها وألا يكون الإنسان بهيمياً حينما يأسره المزاج في إقامة علاقات محرمة تفضى إلى تكوين مجتمع معقد غير سوي { وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً } الإسراء : ٣٢ ، { الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } النور : ٣ .

وأولاً وقبل كل شيء يجب أن نرسخ لهم الثقافة الجنسية ضمن حياء سوى وفهم هادئ وموائمة بين العلم والدين من خلال تفسير آيات الأعجاز العلمي والمتمثلة في معجزة الخلق والإبداع مثل {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ } الزمر : ٦، { يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق : ٧]، { ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ} [السجدة : ٨]، "أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ" المرسلات : ٢٠،{... فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً ...} [الأعراف : ١٨٩]، ضمن ثقافة تحصينية، { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ..} . [التحريم : ١٢]، { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ...} [النور : ٣٠]، |{ ... يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ...} [الأحزاب : ٥٩]،

أي غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالحجاب والاستشعار بجلال الله والمهابة منه . ولابد من ربط علامات البلوغ بالطهارة وترقيتها إلى العفة والخوف من الله ثم بعد ذلك ربطها بالعقوبة ومن بعد العقوبة العفو من الله للمذنبين والأصل في هذا الجنس هو الحفاظ على الجنس البشري { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...} [الحجرات : ١٣]

وإقامة الأسرة عن طريق الزواج الشرعي الذي أكد عليه الإسلام { وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور : ٣٢]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم " رواه أبو داود والنسائي . والثقافة الجنسية هي تربية دينية تبدأ منذ صغر الطفل إلى أن يبلغ العشر سنين يفرق بينهما في المضاجع ويتعلم كيفية الاستئذان ثم تأتي مرحلة البلوغ التي يتعلم فيها عن طريق آيات الأعجاز العلمي بالإفصاح عن علامات البلوغ ثم تلي ذلك مرحلة المراهقة التي هي مرحلة تالية من مراحل النمو.

وعلى الأبوين متابعة أبنائهما متابعة لصيقة أبوية وأسرية وتوجيههم الوجهة الصحيحة بشكل متتابع ومستمر وتيسير أمور زواجهم استجابة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه أن لم تزوجوه تكن فتنه في الأرض وفساد عظيم ".

والتقليل من نفقات الزواج الباهظة ما أمكن وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أكثرهن بركة أقلهن مؤنه " .

وضرورة فتح باب الاجتهاد لتيسيير أمور الزواج الشرعي بما يتناسب مع المتغيرات الاقتصادية والثقافية والتخلص من العادات الاجتماعية التي تتعارض مع روح الإسلام وتقف عائقاً أمام تيسير سبل الزواج الشرعي للحفاظ على تماسك الأسرة التي هي اللبنة الرئيسية في قوة تماسك المجتمع وان نحذر من المؤامرات التي تحاك وتصدر إلينا عبر رياح العولمة باسم الإصلاحات الديمقراطية لهدم قيمنا الموروثة والخصوصيات الإسلامية لئلا نترك أبناءنا في حيرة من أمرهم بين نقيضين وآراء متعارضة غامضة بين الآباء والمجتمع وبين وسائل الإعلام والانترنت التي تعج بالمواد الإباحية وتعرض معلومات خاطئة بقدر ما تعرضه من معلومات صحيحة مما تؤدي إلى إرباكهم وتجعلهم غير قادرين على اتخاذ القرار المناسب ونحو اتخاذ القرارات اللامسؤولة تسهم في نهاية المطاف إلى كارثة وطوفان جارف لانستطيع إيقافه فلندرك أنفسنا منذ البداية قبل أن تغرق السفينة .

فانعدام وجود مناعة ثقافية هي التي توجد عولمة المشاكل وأزمات الهويات لذلك لبد من تحديد الرموز الثقافية المتمثلة أكثر مايمكن في اللغة والعلم والمعرفة وفي القيم الثقافية والأعراف والخصوصيات من أجل الحفاظ عليها وبها تحققت سيادة الجنس البشري على الكائنات الأخرى وبالتعبير القرآني الخلافة في الأرض {... أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } الأنبياء : ١٠٥

فبقيمة الفكر كعنصر من عناصر الرموز الثقافية فإنه يكتب له الخلود ويعزز المناعة الثقافية التي تقف في وجه رياح العولمة التي تهب على شبابنا خصوصاً حينما يرتبط الفكر بالقرآن وباللغة فيزداد صموداً وثباتاً بل هو عامل شحن يجعلهم أيضاً يدافعون عن هويتهم ودينهم ووطنهم وتصبح طاقة مارده أمام كل تيار عدائي لايمكن التصدي لمقاومتهم .

فالمناعة الثقافية لشبابنا لن يصاب بفقدان الهوية أو الانسلاخ أو الاستلاب وحينما نكسب رهان الهوية الثقافية سنتمكن من الانتقال إلى القدرات الأخرى بشكل مؤسس ومبنى على أساسيات أهمها العلم والثقافة حتى يخرج من مثالب التخلف بأنواعه المتعددة ونصبح مؤهلون كغيرنا من المجتمعات .

الاستقامة ما بين الركون والبغي في عصر العولمة :

نحن امة نقرأ ويبدو أننا لا نتدبر فكتاب الله العزيز بين ظهرانينا نقرأه صباح مساء فكما أننا لا نتدبره فنحن لا نعمل به أيضا حتى أصبحنا في حالة يوشك أن تتداعى علينا الأمم، بل تداعت علينا فعلا ، وأصبحنا من الأمم الضالة التائه لا يحدوها إلا أمل عودة صدى الرصيد التاريخي المشرف الذي سطره لنا سلفنا و الذي لم نتمكن من تسطير مثله حتى الآن { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } محمد : ٢٤ {...خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ... } البقرة :٦٣ رغم تحذير ربنا للأمة الإسلامية من الركون والاستسلام لأعداء الأمة وعدم الاستكانة والاستهانة بهم لأنهم على الدوام في حالة استعداد وتربص بالمسلمين خاصة في حالة ضعفهم وتفريطهم { لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ... } الحشر :١٤ لكي نعد العدة ونكون على أهبة الاستعداد حتى لا نباغت { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ... } الأنفال :٦٠ وفي حالة تفريط الأمة في الاستعداد واليقظة لا يبيح لها الإسلام أن تبرر لنفسها البغي والعدوان كما لجأت إليه بعض الجماعات . فالمنهج الإسلامي الاستقامة على أمر الله المتمثل في العودة إلى الاستعداد والأخذ بأسباب القوة التي امرنا بها الله وهي حالة ما بين الركون والغفلة وبين البغي والعدوان { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } هود :١١٢ فكما أن البغي مخالف لأمر الله فكذلك لا يجوز الركون إلى الذين ظلموا في حالة الشعور بالغلبة والضعف {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ...} هود :١١٣ فالمقصود بالآية كما جاء في قول ابن عباس هو الركون إلى الشرك أو الرضي بإعمالهم الشركية ، لكن التعارف والتعامل معهم هي من حكم الله الإلهية . وإذا أردنا أن نستقيم على أمر الله فوجوب الأخذ بأسباب القوة والاستعداد واليقظة على الدوام بحسب الاستطاعة لنتمكن من ردع أو مواجهة عدو لا يقاتلنا إلا في قرى محصنة ومن وراء

جدر كخط بارليف المنيع الذي عبرته القوات المصرية في أكتوبر عام ١٩٧٣ ومن خلف الجدار العازل الذي تبنيه إسرائيل حاليا وغيرها من التحصينات الأخرى كاستيلائها على الجولان عام ١٩٦٧ أو بإنشاء تحصينات بشرية كجيش لحد في جنوب لبنان سابقا أو بإبرام اتفاقيات مثل اتفاقية كامب ديفيد أو بامتلاك أنواع الأسلحة المتطورة والفتاكة .

فنحن أمة بين التفريط في الاستقامة وعدم الاستعداد واليقظة جعلنا لقمة سائغة لعدونا وفريسة سهلة لما نحن فيه من ركون واستسلام والتي بسببها فقدنا المبادرة والريادة والندية وأصبحنا عالة على المجتمعات المتقدمة نستورد منهم كل ماهو أساسي في حياتنا العامة من طائرات عسكرية ومدنية وأسلحة متطورة وبقية مستلزمات الحياة التي امتدت حتى إلى الصناعات الغذائية كذلك ٠ وبين حالة الإفراط والبغي والطغيان والاعتداء وردة الفعل التي تتبناها حركات فردية انشقت عن الأمة تتغذى بأيدلوجيات وتنضيرات أحادية تقدسها وتؤمن بها مخالفة لطبيعة الحياة وصيرورة أمة والتاريخ فاقدة للبصيرة ٠

وعلى كلا الطرفين ضرورة العودة إلى الاستقامة والأخذ بأسباب القوة ضمن إطار جماعي موحد تتحمل مسؤوليته الأمة لا الإفراد كما في قول الله سبحانه وتعالى { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ... } عمران : ١٠٤ فأوكل الله المسؤولية إلى الأمة وليس إلى الإفراد بأن يكونون من خيارهم ويمثلونها ويتحملون مسؤوليتها لأن الأمة لاتجتمع على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار وان الذئب لايأكل إلا من الغنم القاصية٠

الترويج للإسلام العصري في عصر العولمة :

بعد فشل الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد وانهيار المشروع الأمريكي في أفغانستان والعراق بدأت تتجه أمريكا إلى خلق فوضى خلاقة في المنطقة . فالغرب

بمؤسساته ودوائر صنع القرار فيه قد اختاروا لشعوب المنطقة النموذج التركي العلماني بديلا للنموذج الإسلامي المتبع حاليا وبصورة متباينة في دول المنطقة .

ولكن النموذج التركي نموذج مختلف تماما عن البلاد العربية . فالحالة في تركيا هي في الأصل علمانية منذ الثلاثينيات القرن الماضي وتم وقف بناء المساجد وإغلاقها وكذلك إغلاق التعليم الديني وتم إجبار النساء على خلع الحجاب وتقوم المؤسسة العسكرية بطرد كل من يصلي أو تلبس زوجته الحجاب كما تم منع الأذان باللغة العربية واستبداله باللغة الفارسية أو الفرنسية أو التركية وتم إلغاء فريضة الصوم ومنع الملتحين من تولي الوظائف وتم إلغاء الميراث وتمت المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث ، لكن حزب العدالة والتنمية يحاول تدريجيا نقل البلاد من الحالة العلمانية إلى الحالة الإسلامية بدعم من الريف المتدين ويستمد قوته من طبقة الشباب المتعلم والمتدين وتعتمد المؤسسة الأمريكية على كتاب (ناتان شارانسكي) عن الفوضى الخلاقة وتطبيق ما جاء فيه خاصة مفهوم الفوضى الخلاقة لإحداث الغيير في المنطقة وأيضا ما جاء فيه بان الإسلام دين الإرهاب .

فمؤتمر فلوريدا ٣ – ٥ مارس ٢٠٠٧ بداية لاستمرار فاعليته في مناطق أخرى ، وتتواصل دعوات الكثيرين من الكتاب أمثال فؤاد عجمي من جامعة جونز هوبكنز وروبرت ساتلوف المدير التنفيذي في مؤسسة الشرق الأدنى لفرض العلمانية بهدف تحقيق الهيمنة للغرب والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط .

وبهدف ضرب الهوية الإسلامية بدأت منذ فترة ترويج عدة أجندات مثل تحديث الخطاب الديني ومراجعة التعليم الديني مع مراجعة شاملة للمناهج الدراسية مع حملات ضارية تحت مسميات حقوق الإنسان أو الاستبداد والديكتاتورية.

فالمؤتمر أصلا له صلة بأجندات استخباريه عالمية وعنوان المؤتمر (قمة الإسلام العلماني) والإسلام دين بينما العلمانية إيديولوجيا ليس هما نديان لبعضهما وهو مؤتمر متناقض .

ويهدف المؤتمر إلى إعادة تفسير القران الكريم ونقده ومبادئ وتعاليم الإسلام تحت مسمى (الإسلام العصري) بهدف تدشين حركات فكرية مناهضة تحت مسمى (صحوة الإسلام) في البلاد الإسلامية ويضم المؤتمر أشخاص هم أعداء للإسلام مثل نوس دروش وهي أمريكية من اصل مصري ومسلمة اعتنقت المسيحية تروج للاحتلال الإسرائيلي وتستشهد بآيات على معاداة الإسلام والمسلمين لليهود وتتهم الإسلام بالتخلف والرجعية وكذلك إرشاد منجي وهي أمريكية من اصل إيراني تهاجم الإسلام كدين ونشرت كتاب بعنوان (الخلل في الإسلام) تحت اسم الاجتهاد لمحاربة الجهاد .

فالمسميات كثرت مثل الإسلام العلماني، الإسلام المعتدل، والإسلام الليبرالي، والإسلام الديمقراطي. فهي مسميات جميعها من ابتكار الإدارة الأمريكية منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كوسيلة للتعامل مع ظاهرة الصحوة الإسلامية بما يسمونها بالأصولية الإسلامية ويطلق عليها أحيانا بالإسلام السياسي أو الإسلام المتطرف أو الإرهاب الإسلامي فهي مفرزات التفكير الأمريكي الذي يعتمد على منهج التجربة والخطأ وهو منهج التفكير الذي يحكم القرارات السياسية والعسكرية الخاطئة في البيت الأبيض .

فالبيت الأبيض يخرج من تخبط إلى تخبط أخر وللإسلام رجاله وأهله يحمونه ويرفضون كل ما يعارض أصول الدين بعد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر : ٩ { ... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} الأنفال : ٣٠ {... وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ.. } البقرة : ١٩٣ فمن يستطيع إن يحارب دين الله .

مفهوم وصفات الوسطية في الإسلام

مفهوم الوسطية كان أحد نقاط الخلاف في الجلسة الأولى من اجتماعات وزراء خارجية الدول الإسلامية قبل انعقاد جلسات منظمة المؤتمر الإسلامي الاستثنائي في مكة ١٤٢٦/١١/٥ وتناول الخلاف أو التصحيح من (الوسطية في الإسلام) إلى (وسطية الإسلام) بل إن الله سبحانه وتعالى جعل أمة الإسلام أمة وسطا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } البقرة : ١٤٣ والوسط هنا الخيار والأجود والعدل .

ومكة هي قبلة المسلمين وقبلة إبراهيم عليه السلام التي جعلها الله مركز الأرض وهي مركز بين السموات السبع والأرضيين السبع وقد روى مجاهد عن الرسول صلى الله عليه وسلم " إن الحرم حرم مناء بين السموات السبع والأرضية السبع " ولفظ مناء أي الاستقامة والاتجاه مع كل من السموات السبع والأرضيين السبع أي أنها مركز بينهما وعلى استقامة مراكزها . وفي حديث آخر (بيت في السماء السابعة على حيال الكعبة تماماً حتى لو خر لخر فوقها " والبيت هو البيت المعمور والوسطية تأتي بالعدل والشهود على الناس في الدنيا والآخرة فعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل " .

والوسطية تأتي بمعنى التوسط في الموقع فعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى في أهل الكتاب (إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدنا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الأمام آمين " .

ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته عن الشذوذ والخروج عن الوسطية التي امتازت بها أمة الإسلام حتى عند الالتزام بهذا الدين ففي الحديث " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق " ومن صفات الوسطية النهي عن الغلو في الدين مثل أهل الكتاب ومن سبقنا { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلّا الْحَقّ ...} النساء: ١٧١ أو الترهبن والانقطاع في العبادة { وَرَهْبَانِيّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقّ رِعَايَتِهَا } الحديد : ٢٧ .

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته إلى الالتزام بالطريق المستقيم وهو طريق وسط بين اليمين والشمال عندما قال افترقت اليهود إلى أحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقه وستفترق أمتي هذه إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ما أنا عليه وأصحابي ثم خط خطا مستقيما قال وماعداها من خطوط فان على رأس كل طريق شيطان ثم تلى قول الله سبحانه وتعالى قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . }يوسف : ١٠٨ أي أن الركيزة في الدعوة إلى الله هي شهادة إلا اله إلا الله وان محمد رسول الله وتتصف أمة الوسطية باليسر لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما وتتصف أيضاً بالرحمة { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء : ١٠٧ .

ومن صفاتها الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن وبالحسنى وبالحكمة والموعظة الحسنة { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ... } النحل : ١٢٥ .

ومن صفاتها عدم إكراه الآخر على الدخول في هذا الدين دون قناعه { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... }البقرة : ٢٥٦ .

وحينما يفشل الحوار مع غير المسلمين نهي أن يجبر أحد الأخر على الدخول في دين الآخر وترك كل واحد لدينه { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون : ٦ أي كل فريق يؤمن بدينه دون مضايقته أو النيل مما يؤمن به .

كما تتصف الوسطية بالرشد { قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ...} البقرة : ٢٥٦ وكل صفه حسنه تتصف بها الوسطية من قيم وأخلاق ومكارم حسنه { ... ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } الروم : ٣٠ والقيم هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه { إهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } الفاتحة : ٦ { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً ...} الأنعام : ١٦١ ومن الوسطية أن نتعامل مع الآخر من منطلق الإنسانية والمحبة إذا لم يقاتلوننا { لا يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ...} الممتحنة : ٨ بل أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نبرهم وامرنا أيضاً أن نعدل حتى مع عدونا {... وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ... } المائدة : ٨وبالجنوح للسلم عند جنوح العدو إليه { وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ...}الأنفال : ٦١ بل نهانا عن الاعتداء { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا... }البقرة : ١٩٠ والمقاتلة تكون فقط لمن يقاتلوننا وهذا يدحض اتهام الفتوحات الإسلامية بأنها قامت على نشر الإسلام بالسيف وهو تشويه متعمد وقع فيه كثير من المسلمين وهذه الآية تفسر الآية التالية {... قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَالْكُفَّارِ... } التوبة : ١٢٣ أي في حالة اعتدائهم وإذا لم يعتدوا فنهى عن الاعتداء عليهم { تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ...} البقرة : ٢٢٩ .

فوسطية أمة الإسلام هي واقعه بين الغلو والجفاء في الدين أي بين الإفراط والتفريط والإفراط هو المبالغة والخروج عن الحد المسموح مثلما نهى الإسلام عن التبتل والانقطاع

عن الدنيا من اجل العبادة والتفريط أو الجفاء هو ارتكاب حرمات الله لان الله سبحانه وتعالى قال للرسول صلى الله عليه وسلم { خذ الكتاب بقوة } ووسطية الإسلام غير الوسطية التي يطلبها الغرب { وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء ...}النساء : ٨٩ فضابط الوسطية هما الكتاب والسنة والتي تجمع بين القوة والرحمة والعدل والإحسان .

منهج الوسطية :

كثر الحديث عن الوسطية في الإسلام وكل متحدث يدعي الوسطية ويجيرها لصالحه. ولكن ماهية الوسطية التي أتى بها الإسلام ؟ .

فالوسطية في الحسابات الحسية واضحة وجلية فإذا امسك بأحد الطرفين مال الأخر ، وإذا امسك بالوسط اعتدل الطرفان ، ولكن كيف نسقط ذلك المفهوم على المعنويات ، وبكل بساطة أوضح لنا الإسلام حدود الوسطية التي هي حالة بين التفريط والإفراط كقاعدة عامة يبنى عليها .

والوسطية ليست مفهوما بل هي منهج تسير عليه الأمة نجدها في قول الله تعالى{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً...} البقرة : ١٤٣، فالوسطية في الأمور العقدية هي التسليم والإيمان{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} البقرة : ٣ { ... يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } البقرة : ٤ .

فالمنهج الوسطي في الأمور العقدية والغيبية مطالب المسلم أن يؤمن بها إيمانا يقينيا وراسخا بالتبليغ ، والمنهج الوسطي في بقية الجوانب الظنية الدلالة تتدخل عوامل عديدة في تحديد المنهج الوسطي وفق الظروف والأحوال ، لذلك فهو يركز على المعاصر والحكمة والمنفعة واستخدام العقل وغيرها مما يستوجب التوفيق بين الالتزام بقطعيات هذا الدين

ومستجدات كل عصر باستخدام ما أمكن من وسائل كالاجتهاد القائم على القياس والإجماع وغيرهما .

فالمنهج الوسطي يؤمن بان أهل الشهادة هي امة واحدة ، وهناك قطعيات يؤمنون بها جميعا ويختلفون فيما عداها اختلاف اجتهادي له ما يبرره ، بينما في الاختلاف الاجتهادي القائم على سوء الفهم ينبغي أن يعذر الجميع بعضهم خصوصا في نوع الخلاف الذي يصعب تجاوزه لان الإسلام يعترف بالتعددية الدينية وان كان لا يؤمن بها { لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الممتحنة : ٨ .

فالإسلام يوجب الالتزام بالعهود مهما اختلفت العقائد. فالرسول صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة الكفر والإيمان فيهن سواء من عاهدته أوفى بعهده مؤمنا كان أو كافرا واجبنا التسامح والتعايش مع الملل الأخرى على أساس المعاملة بالمثل ، كما أن علينا التعاون مع الدول الملتزمة بالعدالة والسلام على عكس المعتدين الذين يجب التصدي لهم { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} الحج : ٣٩.

فالمنهج الوسطي يدعو إلى التحرر من التقليد ومن الاستلاب ومن الهيمنة الأجنبية وكذلك من الإحكام الاستبدادية.

إذا فالمنهج الوسطي منهج استراتيجي وليس شعارا ناشئ عن الشعور بالذنب أو النقص أو منهج تكتيكي (مرحلي) بل هو منهج أصيل يرفع شعار مقاومة المعتدي والتصدي له بكل السبل الممكنة .

المنتدى العالمي للوسطية :

اختير الصادق المهدي رئيس وزراء السودان السابق رئيسا للمنتدى العالمي للوسطية يضم نخبة من علماء الأمة كي يتبنى مواقف وسطية بين التشدد والتغريب ونشر الفكر المعتدل في

مختلف القضايا التي يتعاطى معها المنتدى مقره دولة عمان مع إمكانية فتح فروع في مختلف الدول الإسلامية .

وناطقه الرسمي منتصر الزيات لكن هناك اتهامات موجهة لهذا المنتدى على انه حليف الحكومات من اجل التصدي للمتشددين .

لاشك أن الوسطية تتصدى ليس فقط للتشدد والغلو بل أيضا للاستبداد والتغريب ومحاولة مسخ الهوية الإسلامية والوطنية.

والحقيقة أن الوسطية الإسلامية ليست وسطية حسابية بل هي إتباع للحق وهذا الحق ليس يمينيا ولا يساريا بل يتتبع العدل كما في قول الله سبحانه وتعالى { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ { 1 } الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {2 } وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} المطففين : ٣ والحق يدعوا كذلك إلى الإحسان والعفو{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الأعراف : ١٩٩ لكن هذا الحق امتدح من انتصر على البغي{ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ} الشورى : ٣٩ فالوسطية هي السير على منهج الإسلام { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} . المشركين : ١٠٨ وركيزة هذه الوسطية هو التوحيد وعدم الإشراك بالله { وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ...} النساء : ٣٦ مع التركيز في هذه الوسطية على حسن العمل لا على كثرته { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...} الملك : ٢ وإحسان هذا العمل يقتضي التفقه في هذا الدين وترك الأمور المصيرية لولاة الأمر وعلماء الأمة القادرين على التعامل مع تلك القضايا { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلّا قَلِيلاً .... } النساء : ١٣٩ لذلك فقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من الاغترار بكثرة إعمال البعض رغم أن صلاتهم أفضل من صلاتنا وقراءتهم للقران أفضل من قراءتنا ولكنهم يمرقون من

الدين كما يمرق السهم من الرمية أي رغم تدينهم ولكنهم بعيدون عن المنهج الإسلامي الصحيح الذي رسمه لنا الإسلام بسبب غلوهم وتشددهم في الدين { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ... } المائدة : ٧٧ وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة من الغلو وكان دائما يردد إياكم والغلو .

فمنتدى الوسطية العالمي بحاجة إلى دعمه شعوبيا وحكومات مع ضرورة توحيد جهود العلماء بمختلف المذاهب والتيارات الفكرية والعلمية لمناقشة قضايا الأمة ومواجهة التحديات التي تسهم في تفكك جسد الأمة الواحدة .

ويعتبر المستشرقون أن الفارابي المعلم الثاني بعد أرسطو انتقل فكره إلى ابن سينا وابن باجة منذ أكثر من الف عام مضت زمن العباسيين وزمن سيف الدولة الحمداني الذي كان يعج بلاطه بالشعراء والمفكرين وتلك الفترة تعتبر فترة مضطربة سياسيا وعقائديا ، وكانت هناك مذاهب واتجاهات عديدة متصارعة مما جعل الناس يقلقون على مسألة الإيمان ويتساءلون أين هي الحقيقة ؟ وأي مذهب هو الأصح ؟ .

فكان للفارابي محاولات في ربط الإيمان بالعقل وجعل منه الحكم الرئيسي بين الفرق والمذاهب الإسلامية المتصارعة بجانب العقل الذي وجه إلى إعمال الحكمة والفلسفة بصفتها طريقا موصلا إلى الحقيقة .

ولم يتردد الفارابي في دراسة الفلسفة اليونانية باعتبارها نظام مكتمل ومتماسك واخذ الفلسفة اليونانية بكليتها وهو مقتنع بوحدتها وأهميتها.وكيف أن المجتمع متعدد المواهب والإمكانات والطبائع ما يجعله بحاجة إلى سلطات حكيمة توجههم بشكل صحيح لكي تجعلهم متكاملين لا متصارعين .

والفارابي يرى أن الحكيم أو الفيلسوف أو المثقف كما يسمى اليوم أو التنويريين كما يسمى في أوربا لابد من نزولهم إلى ساحة المجتمع ومعمعة الحياة بدلا من انعزالهم في أبراج عاجية بعيدة كل البعد عن هموم المجتمع ومشكلاته.

والتأزم الذي يعيش فيه المسلمون اليوم في التجاذب بين تيارين نقيضين تيار الفكر الإسلامي المتشدد الذي يبالغ في التمسك بالمواقف الماضية ويعيش حالة قطيعة مع ما انتجته الحداثة الحاضرة من فكر ، وبين تيار حداثي يعيش حالة قطيعة مع الماضي ولا يعترف إلا بالحداثة وما عدا ذلك ينكره ويجهله وفضلت ما قاله العقل قبل الحداثة وما بعده حتى لو تعارض مع نص قطعي مع إغفال العقل الإسلامي في عصور الاجتهاد .

فالأزمة هي فكرية بين التيارين وسياسية بين الجماعات الإسلامية المتشددة من جهة والدول من جهة أخرى، فالتيارات الإسلامية المتشددة ألبست حركتها السياسية لباس الدين لاكتساب المشروعية. فكيف نصل إلى الحقيقة وموقف الطرفين هو السائد والمسيطر على الساحة ؟ وهو نتيجة غياب اوتواري صوت الحكمة والوسطية .

استقلالية المنهج الوسطي الإسلامي :

(منهج وسطي ليس خاليا المضمون ولا بالمبهم بل هو منهج واضح وحل عملي لكثير من مشكلاتنا العصرية)

نحن نمر في عصر استعدت علينا الأمم مما نحن فيه من تبديد للطاقات والجهود واستجلبت لنا النقم واكتوينا بدائها وأصبحنا في فوضى نكيل التهم لبعضنا البعض وننساق إلى مايريده أعداؤنا أو نتكلم بألسنتهم وعقولهم دون أن ندرك.

ما أحوجنا اليوم إلى تقديم الحكمة والبصيرة والتبصر بدلا من الانغلاق وغلق الأبواب كلما فتحت، أو نقدم الحساب على العفو و الإساءة على الإحسان و الرفض على القبول و سوء الظن على حسنه و التجريح على النقد.

فمنهج الوسطية واضح وضوح الشمس لا لبس فيه ويلتبس على من لايعرفه اوعلى من ضل واتبع هواه أو غرر به لجهله اولصغر سنه . فالوسطية هي صيرورة امة وهي امة

الإسلام كما وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم { ...و كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...} البقرة :١٤٣وقد أوضح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المنهج الوسطي حينما خط خطا وحوله خطوطا ذات اليمين وذات الشمال وقال صلى الله عليه وسلم عن الخط المستقيم الذي خطه لناو قال أن هذا هو سبيلي ثم تلا قول الله تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } يوسف :١٠٨ وقال صلى الله عليه وسلم إما بقية السبل فان على كل سبيل منها شيطان .فكل من ادعى الوسطية وهوليس كذلك فينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى { الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } الكهف :١٠٤ .

فمنهج الوسطية قائم على الدعوة بالبصيرة والحجة الواضحة بالبرهان العقلي والشرعي فالمنهج الوسطي لايقبل تفجيرات نيويورك وان تعاطف معها بعض المسلمين نتيجة ما يرونه من الممارسات الإسرائيلية والسياسات الأمريكية ،ولكن المنهج الإسلامي الوسطي يرفض الاعتداء أو ظلم الآخرين الأبرياء بلا جريرة اقترفتها أيديهم ، ولا يقبل قتل الرهائن بجريرة سياسات دولهم بل يحض على رعاية الأسير الحربي وإكرامه وينهى عن المساس بالمستأمنين .

نحن بحاجة إلى أن ندعم رواد منهج الوسطية بدلا من التشكيك فيهم لأنه منهج امة بكاملها ، فالشطط الفكري والثقافي والديني غلو يغذي كل منها الأخر وسبب له.

والمنهج الوسطي ليس خاليا المضمون ولا هو بالمبهم بل هو منهج إسلامي واضح وحلا عمليا لكثير من مشكلاتنا العصرية.فالمنهج الوسطي مثلا في الإنفاق كما هو موضح في الآية الكريمة { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً} الإسراء : ٢٩ فذم الله سبحانه وتعالى الشطط عن الوسط سواء أكان تقتيرا أو تبذيرا وعلى منوال هذه الآية يسير المنهج الوسطي في جميع أمور الحياة الدينية

والدنيوية. فالشطط عن خط الوسط سواء أكان يمينيا أو يساريا فهما نقيصتين ينبذهما الإسلام.

- والوسطية مبنية على إقرار تعدد الاجتهادات في المسائل الظنية وقد اختلف الصحابة والتابعين في مسائل ظنيه كثيرة وتعددت فيها أقوالهم واجتهاداتهم ولم يصادر احد منهم حق الاجتهاد من الطرف الأخر { ...وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...} الأنبياء :٧٩ {...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... } المائدة :٤٨ .

١. ولكن الاختلاف في اليقينيات يعد عذابا ومحنة { وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ...} هود :١١٩ وحذرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الاختلاف في اليقينيات أيضا فقال (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب) رواه مسلم واحمد

- وعند الاختلاف في الكتاب وجهنا الله سبحانه وتعالى في قوله {... فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } النساء :٥٩

ولكي لا نضل نهانا أن نتبع الهوى فتعمى بصائرنا ونكون في مؤخرة الأمم { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا} الفرقان :٤٣ { وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} [النحل : ١١٦] { ... قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُون } يونس :٥٩

- واهم ميزة يتميز بها المنهج الوسطي هو اليسر فعن محجن بن الادرع رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها

العسر)رواه ابن حبان ، وقال صلى الله عليه وسلم (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)رواه الترمذي

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه مالا يعطي على العنف) رواه ابن ماجه وابن حبان .
- وهذه الوسطية تأمر بالعدل وعدم ظلم الآخرين وان كنا نبغضهم لظلمهم لنا { وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} المائدة:٨
- وتتصف الوسطية كذلك بالعالمية وقبول الأخر { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ , } الأنبياء : ١٠٩ وهم ليسوا سواء حتى ينظر إليهم نظرة واحدة.
- كما أن المنهج الوسطي يقبل عذر الأمة في وقت الأزمات والفتن وعند اختلاف القلوب فأمرؤ ونفسه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} المائدة ١٠٥
- ومن وسطية هذه الأمة أنها شاهدة على الناس وهذه الشهادة لابد أن تكون شهادة عدل واعتدال. والمعتدل هو من لا يملك الحقيقة المطلقة ويقبل بنسبية الحقيقة الاجتماعية وغير أحادي التفكير ويقبل بالتعددية، ولا يرى ما يطرحه من أفكار ورؤى بأنها مقدسة ويحترم آراء الآخرين ومن ثم فهو لا يملك الوصاية عليهم.

وعلى أساس هذا المنهج نقيم أنفسنا به لا عليه والرموز الإسلامية والجماعات والتيارات ليست كلها معصومة من الخطأ ، وليست هي مصادر تشريعية نستقي منها شريعتنا فهي مجتهدة فان أصابت فلها اجرين وان أخطأت فلها اجر ونلتمس لهم العذر لا اختلاف ظروفهم المحيطة بهم عن ظروفنا ويمكن أن نحاورهم ونتفق معهم أو نختلف ضمن دائرة الإجلال والتقدير والاحترام لما قدموه للأمة من ارث نضيف إليه بما يتناسب وظروفنا الحالية كما أضافوا هم دون النيل منهم أو التجريح بهم ٠

وكما قال هويدي في رده على الحمد (بأنه من الخطأ المنهجي والمنطقي محاكمة أي قيمة فكرية بالممارسات التي تنسب إليها وإذا كان هناك من أساء إلى الرؤية الوسطية أو ابتذلها. يجب محاكمته بمعايير الوسطية، وليس محاسبة الوسطية ذاتها فالقاعدة أن القيمة تحاكم الفعل وليس العكس) فالمنهج الإسلامي الوسطي بريء من كل الممارسات التي تمارس باسمه فهو منهج إسلامي وسطي مستقل معتدل في التفكير والعمل والسلوك الفردي والجماعي.

فلتكن غايتنا الإصلاح والعودة بالأمة الإسلامية إلى الطريق الصحيح، وان الطريق صعب وطويل ولتكن العزة بالحق وبقوة الدين.

الحاجة إلى مرجعية إسلامية عالمية في عصر العولمة

غياب تشكيل مرجعية إسلامية ادخل العالم الإسلامي في أزمة ومرحلة فراغ استغلتها جماعات متشددة ومتطرفة لصالحها شوهت صورة الإسلام السمحة السائدة خلال العصور الماضية والتي بسببها اتسعت رقعة الإسلام .

فأصبحت الحاجة ماسة لتشكيل مرجعية تجمع تحت سقفها جميع التيارات والمذاهب الإسلامية من جميع إنحاء العالم الإسلامي تجتمع بشكل دوري في مكان محدد مستقل تتصدى للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ، لكي لا تترك الساحة للجماعات التي تتخطف الإسلام وتصدر فتاوى تلهب حماس الشباب المتلئ غضبا نتيجة لما يشاهدونه من مجازر وقصف وتدمير لبلاد المسلمين على شاشات التلفزة والقنوات الفضائية والانترنت وغيرها من وسائل الإعلام المنتشرة في عصر العولمة .

فالفتاوى الموجودة في ساحة الانترنت بمفاهيم ضيقة ومحددة يضفي عليها الجمود والتشدد بسبب غياب فتاوي مشتركة صادرة عن مرجعية إسلامية .

وخصوصا في هذه الظروف فان العالم الإسلامي بحاجة إلى جمع شمل الأمة الإسلامية ولو بواسطة علمائه الإجلاء تعوض الأمة الإسلامية عن فقدان الوحدة الجغرافية.

فالرجوع إلى العلماء واجب خصوصا عند الاختلاف {... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...} النساء : ٥٩ وهؤلاء العلماء امتدحهم الله في كتابه الكريم وسماهم بالراسخين في العلم الذين هم ادري بنصوص هذا الدين

وتفسيره وخشيتهم من الله { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ } آل عمران : ٧ { لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} النساء : ١٦٢ ويعتبر هؤلاء العلماء ورثة الأنبياء { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ} النساء : ٨٣ { وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ} العنكبوت : ٤٣ { إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } فاطر : ٢٨ .

ونهى الإسلام إلى ترك أمر الفتوى لمن ليس أهلا لها { فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ} آل عمران : ٦٦ {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام : ١١٩ ، فالإسلام مصدر الهدى والنور ولا يؤخذ إلا من مراجعه الأصلية من العلماء الراسخين في العلم { وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأعراف : ٥٢ .

فبسبب غياب تشكيل مرجعية إسلامية مستقلة ، أصبحت الساحة عرضة لصراعات عديدة أفرزت توجهات متعددة نتج عنها أزمات أصابت الأمة بالتفرق والتنازع . فالمرجعية الإسلامية تعتبر صمام أمان خصوصا في معالجة القضايا الإستراتيجية التي تمس امن الأمة الإسلامية المؤدي إلى اجتماع كلمتها ، وعدم ترك الساحة لأقلام تتسبب في إثارة مشاعر الأمم واستثارتهم واستفزازهم ، وقد حرص الإسلام أمته من تلك الاستفزازات ففي قوله تعالى{ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام : ١٠٨ فالحجة علينا ابلغ من الحجة عليهم .

كما يجب أن ينظر إلى فتاوي العلماء بأنها اجتهاد بشري غير معصومة ولا مقدسة ، لان العلماء بشر يصيبون ويخطئون ، ولكن طاعتهم واجبة لكي لاتتفرق الكلمة { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام : ١٥٩ { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل عمران : ١٠٥{ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } الشورى : ١٤، { ... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ...} الشورى ١٣.

فالاتهامات الموجهة للمسلمين وللدين الإسلامي هي نتيجة غياب المرجعية الدينية عند المسلمين ، نتج عنها تعدد في الرؤى الرئيسية والاجتهادات نتيجة اختلاف مشاربها وهي غير صالحة لزمن العولمة والاتصالات . فالأمة الإسلامية بحاجة إلى من يوحد كلمتها أكثر من أي وقت مضى ليخلصها من الحيرة والتردد ويقطع الطريق

على المأجورين في احتلال ساحة العلماء وتضليل العامة وجعل هذا الدين جوهر المشكلة وسبب الإرهاب وانه ذو خصائص داخلية متناقضة بل وصلت التهم إلى الخطاب الإسلامي نفسه بأنه يتسم بالخداع والانتهازية والتبرير خاصة في مسائل حقوق الإنسان والمرأة ، بل أصبح مثقفوا الأمة الإسلامية في حالة دفاع عن الإسلام انشغلوا عن قضاياه الأصلية وفي تراجعهم نحو نشر مبادئ دينهم الحنيف .

فالمرجعية الإسلامية هي القوة القادرة على مواجهة تلك التحديات ، والقادرة على تأسيس تعددية فكرية ناضجة من اجل القضاء على وجهة النظر الواحدة التي ابتلي بها العالم الإسلامي التي كانت سببا في التفرق (إن بين يدي الساعة لاياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل) رواه البخاري ، ولذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنه ولم يصب الإسلام بأكثر من جهل المنتسبين إليه من غير فقه فيه ، ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو يصف الخوارج كما في كتاب استتابة المرتدين من صحيح البخاري (إن هؤلاء عمدوا إلى آيات نزلت في الكفار فطبقوها على المسلمين ، وفي رواية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في صحيح البخاري أيضا قال أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (سيخرج قوم في آخر الزمان إحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم) ج ، ٦٩٣٠ ، وجاء في حديث أبي بكر لحديث علي رضي الله عنهما في وصف الخوارج ، وقد أوردها ابن حجر في شرح الحديث قال (فيأتيهم الشيطان من قبل دينهم) .

هذا ما نجده على الشبكة العالمية لأناس مجهولين غير معرفين لا بعلم ولا دين يفتون بغير علم لإثارة الشباب المحبط والمتحمس في الدفاع عن دينه. لذلك يجب أن تحتل فتاوي العلماء المشتركة مكان تلك الفتاوى المبسترة والمسيسة ، وان يحل الوضوح محل الغموض ، وان تعيد الثقة في العلماء التي هي هم مشترك بين الإسلاميين الذي يتهم علماء بلدانهم بعلماء السلطة تحولوا إلى فتاوي الانترنت مكمن الخطورة .

الدين الإسلامي مرجعية وليس قومية :

هناك الكثير من الجدل فيمن يربط ما بين القومية العربية والقومية الإسلامية رغم أن الفارق كبير جدا ما بين الاثنين فالدين الإسلامي مرجعية دينية وليس قومية لأنه دين عالمي وليس محلي أو فئوي {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء : ١٠٧ ولم يكن الدين الإسلامي مرتبط بالعرب فقط ولكنه نزل بلغة العرب والنبي عربي فارتبط هذا الدين باللغة العربية والعرب وهذا لا يجعل الدين الإسلامي يتصف بالقومية .

وهناك دولة إسلامية وليس دولة دينية إذا كان عدد المسلمين في الدولة هم الغالبية العظمى ،بينما لفظ الدولة الدينية يختلف عن الدولة الإسلامية تماما ، لان لفظ الدولة الدينية لفظ كهنوتي ،أي أن هناك واسطة ما بين الله والناس وينقض هذا الاعتقاد قول الله سبحانه وتعالى للملائكة {... نِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...} البقرة : ٣٠ ومن هنا أتى مسمى دولة الخلافة ، ولكن هذا لا يعني مسمى الدولة الدينية وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...} البقرة: ١٨٦ .

لذلك فان هذا الكهنوت يتعارض مع توحيد الله سبحانه وتعالى لان الدين الإسلامي يرفض أن يكون هناك أوصياء على البشر أو رقباء على ضمائرهم وحتى لا يحتكر احد من البشر الحقيقة باعتبار أن الحقيقة نسبية وباب مفتوح خصوصا للتجارب العلمية التي لن تتوقف

إلا بقيام الساعة ،ولذلك عزز هذا التوجه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما رأى أن تلقيح النخل ليس ضروريا فاخذ الصحابة برأيه صلى الله عليه وسلم ، ولكن حينما لم يثمر النخل فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، انتم اعلموا بشؤون دنياكم) هذا درس عظيم علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته إلى يوم القيامة .

لذلك تختلف الحقيقة بحسب مفاهيم البشر ومستويات التعلم الذي وصلوا إليه ،لهذا يعترف الدين الإسلامي بتعددية المفاهيم وبتعددية الآراء ، ما سمح إلى وجود مذاهب عديدة في هذا الدين واتسع نطاق الاجتهاد وفق قاعدة ليس لأحد الحق مهما رسخت قدمه في العلم ، وكان علماء الإسلام الكبار يعتبرون أنفسهم مجرد مجتهدين وقد يكون الحق مع مجتهدين آخرين .

بينما نجد مشكلة بعض الجماعات الإسلامية على مر العصور السابقة وحتى اليوم ترفض مثل تلك التعددية ، وتحاول فرض رؤيتها الأحادية ، وإنها الوحيدة التي تعتبر نفسها تمثل الدين وان الآخرين مارقين عن الدين أو لا يمثلونه مما يتسبب هذا في احتكار الدين وفي التصادم مع الآراء الأخرى المعارضة لها وتدخل في صراع يصل إلى التنافر والاقتتال .

ويترك الدين الإسلامي الفرد بان يكون هو الرقيب على سلوكه بشرط إلا ينتهك حرية الآخرين أو يثير مشاعرهم ، ويرفض الدين الإسلامي بان يكون ما بين العبد وربه أي واسطة ، وهذا لا يتعارض مع مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولتكن منكم امة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) .

فمصطلحات الدولة المدنية والعقد الاجتماعي والعقد السياسي مصطلحات ليبرالية حديثة وهي مصطلحات لا تتعارض مع مفاهيم السياسة الشرعية في المرجعية الإسلامية التي هي

في الأصل اجتهادية وليست من ثوابت الدين الإسلامي وبذلك هي قابلة لاستيعاب مفاهيم جديدة تصب في صالح علاقة الفرد بالسلطة .

ومن أكثر المصطلحات التي تطورت مع المسيرة الإنسانية مصطلح العقد الاجتماعي الذي استخدم خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر باستخدامات مختلفة ،وقد كانت هذه الفترة من أخصب مراحل تطور الفلسفة السياسية على مر العصور ،وكان من ابرز فلاسفة تطوير هذا المصطلح كانط الفيلسوف الألماني وكذلك روسو الفيلسوف الفرنسي ولوك الفيلسوف البريطاني والتي مثلت نماذج ثلاثة لاستخدامات مفهوم العقد الاجتماعي لتنظيم العلاقة ما بين إفراد المجتمع من جهة وما بين الحكم من جهة ثانية وهو قابل للتطور اليوم لتشكيل فكرا جديدا يتماشى مع الثورات العربية الحديثة ، خصوصا بعدما هيمنة الجماعات الإسلامية على الحكم .

منهج التجديد في الإسلام

تتردد عبارات في عصرنا الحاضر مثل تجديد ، تغيير ، تحديث ، وغيرها من عبارات أخرى لكن هل التجديد والتغيير والتحديث هو مطلق بلا قيود أم أن هناك محددات وضوابط ومرجعيات تتحكم في هذا التجديد ؟ .

ولو ضربنا مثلا للمذاهب الإسلامية الأربعة المشهورة لوجدنا أن أئمة المذاهب الأربعة انعقد إجماعهم على الأصول الكبرى للإسلام ، فهناك ظاهرة إجماع على الأصول العقدية القطعية ، لكن لن نجد هناك ظاهرة الإجماع على كل شئ من الجزئيات بل اختلفوا في معظم الفروع اختلافا واسعا وكان يرى هؤلاء العلماء والفقهاء أن الاختلاف في الجزئيات والفروع رحمة للمسلمين ، لذلك نجد كتب الفت في هذا المجال مثال كتاب لأبو عبد الله بن عبد الرحمن الشافعي في القرن الثامن الهجري تحت عنوان (رحمة الأمة في اختلاف الأئمة) وجعل الله الخير في الشخص الذي يجتهد في هذا الدين (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين) .

وامتازت أراء المذاهب بالتنوع والرحابة والسماحة والخصوبة وشجاعة الاستقلال بالرأي، فأين نحن من هذا المنهج الذي سار عليه السلف ؟ أننا بأمس الحاجة اليوم إلى هذا المنهج لأنه منهج لا يتوقف عند حد ما دامت الحياة مستمرة تظهر على أثرها مستجدات ومتغيرات لم تكن موجودة في العهود السابقة وهذا ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه (أن الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مئة عام من يجدد لها دينها) أي أن

الرسول صلى الله عليه وسلم تنبأ بالمستجدات وعلى ذلك يذم الجمود والتحجر والاستمرار في تقليد من سبقونا في الجزئيات التي لا تتناسب مع أوضاعنا وظروفنا ومتطلباتنا بل يصبح التقليد معيب ومذموم إذا كان في المتغيرات التي هي بحاجة إلى اجتهادات جديدة تتناسب والظروف المحيطة بالإنسان والرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه ينهى عن إلغاء حرية الفكر وحق النظر والاجتهاد باعتبار أن التجديد سنة نبوية مؤكدة لا يحق لأي شخص أو جهة مهما كانت مكانتها أو درجتها أن تجمد أو توقف هذه السنة .

والجمود الذي حصل للمسلمين وأصبحوا بسببه وكأنهم في غرف الإنعاش ينتظرون معجزات وكرامات تنقذهم ونسوا أن الله سبحانه وتعالى خلق سننا في هذا الكون يجب الأخذ بها { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... } العنكبوت : ٦٩ سواء السعي الجاد نحو الحصول على الدرجات العلى في الدنيا أو في الآخرة { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ...} البقرة : ٢٠١ هذه صفات المؤمنين بان يوازنوا بين سعيهم للدارين وليس فقط لدار واحدة ويقرأون قول الله سبحانه وتعالى {... وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى...} الأنعام : ٣٢ ويهملون بقية النصوص التي تدعو إلى الموازنة بين الدارين باعتبار أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض وان كانت أهداف وغاية المسلم هي مخالفة لأهداف وغايات غير المسلم، إذا الجمود الذي حصل للمسلمين هو بسبب تعطيل الاجتهاد حتى أصبح التقليد سنة وسمة بارزة لدى المسلمين مورست حتى مع الثورة العلمية فأصبح المسلمون فقط مستهلكين جعلتهم تابعين ليست لهم ريادة أو مشاركة في القوة العلمية العالمية وفقدوا مكانتهم التي من خلالها يستطيعوا نشر دينهم بل أصبحوا مستضعفين في الأرض ،لان المسلمين لم يفهموا معنى تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من إتباع غير المسلمين (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو الفذة بالفذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وهذا الإتباع يأتي عندما يتعطل الاجتهاد ويعتاد المسلمون على التقليد فيكون تقليد الغير سهل أيضا لان

التقليد أصبح سنة عند المسلمين والتقليد هو تبعية يغيب فيها التمحيص والتدقيق والتفكير والإبداع والاختراع والإنتاج .

فالتبعية العمياء حتى ولو كانت في الدين فإنها تجعل الفرد أشبه بالقطيع الذي لا يفكر في مدى صحة ما يقوم به فيصبح تبعا للغير يوجهونه الوجهة التي يريدونها وهي احد أسباب شحن الإرهاب بالأفكار الخاطئة نتيجة التبعية والثقة العمياء في كل ما يتلقاه الفرد ، والخيرية لا تنطبق على الأمة المقلدة التابعة والغير واعية والمدركة لمصيرها وحقوقها وهذا لا يمكنها من تبليغ رسالة الإسلام (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) لأننا لا يمكن أن نمارس هذه الخيرية ونحن مقلدون معطلون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم التجديد كوقود يجدد همم الأمة الإسلامية على مدى العصور كي لا تبقى في ثوب الجمود والركود والرتابة بل يطالب الإسلام بان تكون أمته امة ديناميكية متحررة من كل القيود التي تكبلها وتمنعها من أن تكون امة ذات مكانة وريادة والتقليد لا يمكن أن يجد مثل هذه الأمة .

فالتقليد إذا مخالف لمنهج الإسلام إذ يقول ابن تيمية رحمه الله (وما أقوال بعض الأئمة كالفقهاء الأربعة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا إجماعا باتفاق المسلمين ، بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم إنهم نهوا الناس عن تقليدهم وأمروا إذا رأوا قولا في الكتاب والسنة اقوي من قولهم أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم) .

وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه (إذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا انه مذهبي).

ولا يوجد عصر مثل عصرنا الحاضر أحوج إلى التجديد لكثرة القضايا والمشكلات والحاجات والاختراعات الجديدة لان الرسول صلى الله عليه وسلم طالب أمته بالا يكونوا إمعة في اخذ الأمور بل طالبهم صلى الله عليه وسلم بان يوطنوا أنفسهم ويتيقنوا من حقيقتها ودرجتها وصحتها وموافقتها لسنن الحياة والغايات الحقيقية التي من اجلها

خلقهم الله كي يحذروا من أن يكونوا امة منقادة تصبح كالقطعان تسلم مصائرها للغير تتحكم بها ما تشاء وتصبح امة غائبة عن الريادة والمشاركة وتكتفي بردات الفعل التي لا تزيد الأمة الإسلامية إلا غثاء وتبعية .

التجديد الفقهي وديناميكية واقع المسلمين :

يبدو انه حان الوقت إلى تقديم الحلول الشرعية للإشكالات المطروحة اليوم في زمن تتسارع المتغيرات في عصر العولمة ولم يوافقها تجديد يتماشى مع تلك التغيرات خصوصا وان تلك الحلول تتعلق بأمور تعبدية شعائرية وليست متعلقة بأمور تنظيمية محضة .

ولابد للفقهاء المحجمين عن التجديد وإيجاد حلول تعالج المشكلات المطروحة في عصرنا الحاضر التي لم تكن متواجدة في السابق مما ينتج عنها ماسي بسبب تمسكهم على ضرورة الالتزام بالحكم المشهور السائد حتى وان كانت من المسائل المختلف حولها.

هذه رؤية قاصرة وتؤدي إلى خلل خطير في المنهج التأويلي واليات قراءة النص وتنزيله على الواقع . خاصة وفي زماننا هذا نحتاج إلى اجتهادات فقهية تتعلق بالمسائل الاقتصادية المستجدة والتي لا تزال الجانب الأضعف في التجديد حتى الآن ، وان كانت هناك تجديدات لاجتهادات فردية محدودة ومبعثرة خاصة وان المسلم المعاصر حريص على التمسك بعقيدته ودينه ورغبته في الاندماج في عصره وواقعه المعاش من دون انفصام بين الدين والعصرنة .

فاستحقاقات هذا الموقف الاجتهادي التجديدي يتطلب جهدا تأويليا ومنهجا يتجاوز الأساليب التقليدية المتبعة إلى أساليب حديثة تستثمر إلية أصولية معطلة بدلا من الاكتفاء فقط بتخريج الأحاديث وترجيحها رغم أهميتها التي لم يبخل فقهاؤنا الأقدمون بجهدهم في خدمة وصيانة هذا الجانب الذي أراحنا عبء تلك الجهود .

يجب أن نتخلى عن الطبقة الرافضة للتجديد والمتمسكة بالموروث الفقهي فقط.

فنحن بحاجة إلى استثمار ثراء وتنوع الموروث الفقهي وفق معطيات اللحظة الراهنة من دون الخروج عن البنية الأصولية والمذهبية القائمة. والاستفادة من مرونة وخصوبة الفقه الذي قننها العلماء الأقدمون لتوفير حلول ناجعة لمشاكل المسلمين وعدم الاكتفاء بفقه الأولويات أو فقه الواقع والمعتمد على الإبعاد المقاصدية في الدين والميل للترخيص والتيسير بل لابد أن نكون أكثر نظرا وبعدا لتجاوز النسق الفقهي الأصولي والعمل على وضع فلسفة جديدة للفقه تعتمد على أساليب تأويلية معاصرة واليات منهجية مستوحاة من العلوم الإنسانية الحديثة تتقيد بمرجعية أصولية حتى نتمكن من تقليص المسافة المتزايدة بين حركية التجديد الفقهي وديناميكية واقع المسلمين المتغير تتواءم مع إمكانيات ديننا الحنيف للتجدد وقدرة علمائنا على ذلك .

الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر :

نظمت رابطة العالم الإسلامي مؤتمر هذه السنة تحت عنوان (الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر) بعدما أدركت أهمية الخطاب الإسلامي كي يستجيب لمتطلبات المرحلة ويتفاعل معها.

ولابد أن ينطلق الخطاب الإسلامي من الآية الكريمة { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...} البقرة : ٢٥٦ كي لا يدخل مع العالم في خصومة لأنه مخالف لآيات التعارف والتعايش في القران الكريم مع بني البشر بل أن هذا الدين أتى رحمة للبشرية كافة { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} الأنبياء : ١٠٧ .

فالخطاب الإسلامي مطلوب منه المساهمة في الحضارة الإنسانية وبناء الجسور مع بقية الحضارات الأخرى لخير البشرية { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ} المائدة : ٢ فالتعاون على الخير مع كافة البشر دون استثناء والوقوف ضد العدوان حتى وان كان صادر من مسلم .

فالحياة على الأرض مشترك إنساني من اجل التنافس في إسعاد ونفع البشرية { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} الكهف : ٧ .

نحن نحتاج إلى ترشيد الخطاب الديني وتقنينه وضبطه بل نحتاج إلى خطاب رصين في عصر العولمة ، وعندما ننتقد الخطاب الإسلامي يجب إلا ننكر أثره الكبير في توعية الناس ووعظهم وتجلية الإحكام الشرعية وصيانة الهوية، لكن هذا لا يعني براءة الخطاب الديني من العيوب والقصور خصوصا بعدما خرج الخطاب من المحلية إلى العالمية، فأصبح بحاجة إلى إعادة النظر خصوصا في فيما يتعلق بالمخالف من اجل التأليف والتآخي والتراحم وإحسان الظن حتى يتجاوز الخطاب مرحلة انحصار الهم في فئة قليلة من الناس إلى كافة الفئات بل يشمل حتى الفئات من خارج المجتمع الإسلامي أي خطاب يتماشى مع عالمية الإسلام ويتواءم مع عصر العولمة وعصر الفضائيات .

فالحاجة العالمية باتت ماسة إلى إعادة النظر في هذا الخطاب وتجديده من موقع العقل لا من موقع النص فقط أي لابد أن يخاطب العقل كي يتجاوز المسلمون فكر الجمود لتعريف العالم بالإسلام الحقيقي وتغيير الصورة المشوهة التي شوهها المتطرفون من أعداء الإسلام والجهلة من بعض المسلمين بخطاب تقليدي يركزون فيه على أولويات غير حقيقية جعلت المسلم وغيره في حيرة وتيه دائمين لأنهم لم يدركوا أن الغاية من التشريع في الخطاب الإسلامي تيسير حياة الناس . فالخطاب الإسلامي بحاجة إلى إعادة ترتيب الأولويات وفق التدرج والاعتراف بواقع الأمة للوقوف عندها بدلا من القفز عليها .

ردم الهوة بالخطاب الإسلامي المعتدل :

لماذا يخشى العسكر العلمانيون حزب العدالة والتنمية في تركيا ؟ وهل صحيح انه متجه نحو ثورة إسلامية بطيئة ؟ أو انه يتجه نحو الاتجاه المحافظ لتكوين حزب ديمقراطي إسلامي اقرب إلى الأحزاب المسيحية الديمقراطية في أوربا ؟ ومن أين يستمد حزب العدالة والتنمية قوته ؟ فمؤسسة الحكم العلمانية أقلية وهي في نفس الوقت الحاضر مؤسسة عسكرية تحتفظ بدور دستوري في الدفاع عن الدولة العلمانية ورغم الريف المتدين إلا إن قوة حزب العدالة والتنمية يستمدها من الطبقة المتوسطة التركية المتنامية المتعلمة المتدينة والتي تعارض الصفوة العلمانية ولم تستطع الدول الأوربية تصدير العلمانية التركية إلى الدول العربية بل حتى في تركيا صعد حزب العدالة والتنمية ورغم إثباته كحزب ديني وسطي معتدل يؤمن حقا بالتعددية على أمل أن يصبح نموذجا له صدى في العالم العربي .

لكن لا يزال الشك مسيطر على العلمانيين الأوربيين تركيا. توجد جماعة إسلامية معتدلة وهي كلها توجه المشاعر الدينية المحافظة في قنوات ديمقراطية بل أن بعض الأوربيين يعتقدون أن الإسلاميين المعتدلين مخلوق أسطوري بسبب أن الإسلام نفسه دين ثيوقراطي رغم أن المسلمين في اندونيسيا وفي بنجلاديش والمغرب وتركيا يحاولون تأكيد ذلك .

فالشكوك والمبالغة نفسها التي تسيطر على الوضع في تركيا . فالعسكر العلمانيين يحاولون محاكاة أوربا وإبعاد تركيا عن التقاليد الإسلامية وتصوراته ورؤاه، ولكن الوعي الإسلامي في تزايد وانتشار. والشباب التركي قد وعى كل هذا أو اختط طريقه بأصالة صوب الإسلام وبدأ يدعم حزب العدالة والتنمية وجعله يفوز للمرة الثانية بأغلبية ساحقة ، وهنا مكمن الخطر الذي يخشاه العلمانيون وان محاولاتهم التغريبية القمعية التي أرادت انسلاخ تركيا من جذورها الدينية والثقافية قد فشلت لكن في المقابل تمكن حزب العدالة والتنمية من تأسيس خطاب سياسي يستوعب بسلاسة الرؤية العلمانية يستند للإسلام كمرجعية حضارية وقيميه دون أن يبني عليه شرعية سياسية وهذا ما يتخوف منه العلمانيين أن يأتي يوم ويصبح للدين شرعية سياسية هذا ما دعى توركت اوزال الزعيم الساسي الذي

ترأس تركيا من عام ١٩٨٩ – ١٩٩٣ يقول (لقد آن لتركيا أن تخرج من حربها المقدسة من اجل فرض العلمانية على المجتمع مع ما تقتضيه هذه المصالحة من تضحيات هي عن الاستقرار السياسي والسلم الأهلي) .

فالمؤسسة العسكرية العلمانية لم تعد قادرة على التدخل المباشر ضد الشرعية الديمقراطية لأسباب داخلية ودولية في مقدمتها الموقف الأوربي الضاغط تجاه أي انقلاب مثلما حدث عدة مرات سابقة في الأعوام ١٩٦٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٨٠ ،١٩٩٨ وفي نفس الوقت يحاول حزب العدالة والتنمية بقيادة اردوغان استمالة الحزب العلماني بسياساته الاجتماعية وتجربته الناجحة في إدارة الشؤون البلدية للعديد من كبريات المدن وعلى رأسها اسطنبول وردم الهوة بين المؤسستين بالخطاب الإسلامي المعتدل .

ضرورة تغيير الخطاب الإسلامي في عصر العولمة :

الخطاب الإسلامي يجب أن يكون بين الغلو وبين التنكر لماضي الأمة الإسلامية لان الدين الإسلامي في أساسه دين الرفق في القول والعمل يراعى مصالح الأمة ويتخطى الذاتية والحزبية والإقليمية ويغلب مصالح الدول على مصالح الأفراد وضروريات الدولة عن ضرورات الفرد.

الخطاب الإسلامي يجب أن يبتعد عن التشكيك في الآخرين ويرفض الانزواء والقوقعة أو أن يظل أسير أطر لم تعد تتناسب مع متطلبات العصر.

فالخطاب الإسلامي متجدد لان التجديد سنه من سنن الحياة من أجل ترسيخ قيم الإسلام القائمة على الرحمة والسلام وحماية السلام من خلال الحوار مع الآخرين الذي هو منطلق قوة وليس ضعفاً.

فالعالم أصبح قرية كونية صغيرة فما يقال في مكان يصل إلى أطراف العالم كله في نفس اللحظة وما يقال للمسلم غير مايقال للمسلم الجديد أو لغير المسلمين ودعوة المسلمين غير دعوة المخالفين عن طريق الحوار بالحسنى والحكمة استجابة لقول الله سبحانه وتعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...}النحل : ١٢٥ والحكمة هي أن تخاطب غير المسلمين بلسانهم واعتماد منهج التفسير وترتيب الأصول والأولويات والتدرج مع مخاطبة القلوب مكمن العواطف النبيلة لتحريكها نحو الخير والتركيز أو البحث عن الجوامع المشتركة مع المخالفين خاصة في التي تتعلق بالإلحاد والإباحية والجريمة والحفاظ على الأسرة ورعاية الطفولة والأمومة والقواسم الأخلاقية الإنسانية والحفاظ على البيئة وليس من تجديد الخطاب الإسلامي التنازل عن الثوابت أو المساس بها وان يراعى عند مخاطبة أهل الكتاب أن يخاطبوا باسمهم بدلاً من عبارة الكفار كما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بأن يخاطبهم باسم أهل الكتاب { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا } الأعراف : ١٨٨ وهناك عبارات أخرى في القرآن يمكن مخاطبتهم بها مثل { يَا أَيُّهَا النّاسُ } أو { يَا بَنِي آدَمَ } أو { يَا عِبَادِي } وان يتوقف وصفهم بعبارة أهل الذمة ونقتدي بخليفة المسلمين عمر رضي الله عنه حينما نزل عند رغبة عرب بنى تغلب النصارى بأن يأخذ منهم المال باسم الزكاة أو الصدقة بدلاً من اسم الجزية وقد وافقه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لأنهم كانوا يأنفون من كلمة جزية على أساس أنهم عرب مثلهم ، خاصة وأنهم قوم ذو بأس وقوة وخشي عمر رضي الله بعد مااستشار أصحابه أن يلحقوا بالروم وتزداد قوة الروم وقال عمر رضي الله عنه أنهم قوم حمقى رضوا المعنى وأبو الاسم .

المهم في الخطاب الإسلامي في عصر العولمة أن يركز على طبيعة التقارب والتأني في الدعوة وان يكون قادراً على إقناع العقول بالحجة ويستميل القلوب بالموعظة .

ومن خصائص الخطاب الإسلامي في عصر العولمة أن يؤمن بالوحي ولا يغيب العقل ويحرص على المعاصرة ويتمسك بالاصاله ويدعو إلى الروحانية ولا يهمل المادية ويتبنى

العالمية ولا يغفل المحلية وينكر الإرهاب الممنوع ويؤيد حق المقاومة بالجهاد المشروع ويصون حقوق الأقلية ولا يحيف على الأكثرية وينصف المرأة ولا يجور على الرجل ويستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي .

حتى نتجاوز أزمة المفهالإسلامي:دعوة إلى الإسلام وان يكون لدينا خطابات إسلامية بدلاً من خطاباً واحداً مقنناً لايصلح لدائرة الصراع العالمي وان يكون مقصودنا نشر سماحة الدين الإسلامي وليس أن نحظى بالتبعية وقيادة البشرية وحتى يتمكن الخطاب الإسلامي من استيعاب إشكاليات العالم المعاصر ونتخلص من القبول أو الرفض الكامل بل نقبله بعلاته والتحرر من الهيمنة الشرعية على الدوائر المستقلة كالاقتصاد والسياسة وغيرهما لنتحرر من الشمولية ونتمكن من قبول الآخر المعارض لنا في بعض الجوانب حتى نعيد إلى الخطاب الإسلامي مكانته اللائقة به ليصبح مظلة عالمية تستظل تحت مظلته الشعوب والأمم لتتحقق عالميته .

مضامين احتواء الخطاب الإسلامي :

فهم الصدر الأول من المسلمين الفرق بين طبيعة الرسالة السماوية وخصائص الخطاب الإسلامي.

ويجب أن يتنبه المسلمون إلى أن الخطاب الإسلامي لابد أن يشير إلى مجموعة قضايا بمعنى أصح يجب أن يحتوي على المتانة والرصانة ويجمع بين وحدة قضايا الأمة واتفاق حملته على تقديم مايقدم وتأخير مايلزم تأخيره من خلال منطلقات موحدة وتصور إسلامي شامل ومتقارب يكون هذا الخطاب شرعه ومنهاجاً إلى البشرية كافة لتكون قاعدة ومنطلقاً لا يهمها كثرة الهموم وتكالب الخصوم والإنفصامات الكثيرة بين الأمة الإسلامية قاطبة وبين الشعوب وحكامها وبين المثقفين .

ويجب أن يكون الخطاب الإسلامي فكر حركي إسلامي يركز على الالتحام بين الفصائل الإسلامية جميعها لكي لاتبدد طاقات الأمة في صراعات داخلية أو مذهبية أو طائفية أو عرقية .

يجب إلا يغيب عن الخطاب الإسلامي عالمية الرسالة لكي يسترد فاعليته ويتجاوز أزمات أمته ويصبح قادراً بإذن الله تعالى على تحقيق أهدافه.

وعالمية الرسالة تحتوي على أبعاد هي الشمولية في الشريعة مع السماحة والرحمة ، والعموم في الرسالة عبر الزمان والمكان ، والتجديد الإنساني للمستجدات السنية المعتمدة على وعي وقدرة الإنسان في الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون والآيات والوقائع المنزلة وإدراك حسن تقديره جل شأنه في كل شيء لكي نصبح قادرين على تجاوز الدلالات الجزئية للأشياء والظواهر وربطها بعضها ببعض لاكتشاف شبكة العلاقات والمحتوى الغائي لها { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ(٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاّ بِالْحَقِّ وَلَكِنّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ } الدخان : ٣٩ .

ويجب أن يكون الخطاب متجرد عن أية مكاسبوالثقافي:اتيه المتجه لصالح الآخر غير المسلمين لأجل أن تستوعبهم وتحولهم إلى شركاء في تبليغهم رسالة الإسلام والتخلص من ثنائية الشرق والغرب أو دار السلام ودار الكفر لان عالمية الخطاب الإسلامي تقبل التعددية الدينية والحضارية وغيرها حتى يكون الإسلام محور جذب لا محور تنابذ وطرد ويصبح قطب تأليف واستيعاب دون أن تفرض عليهم ضرورة الانضمام إليه .

تفكيك القيود الاجتماعية بالوعي الديني والثقافي :

المجتمع الخليجي يعيش حاله مابين الإفراط والتفريط فكما للتفريط من انعكاسات سلبية على الفرد والمجتمع فكذلك للإفراط وشريعتنا الغراء شريعة سمحة تراعي جميع الأحوال دون المساس بالثوابت وفي الرجوع إليها نجد مبتغانا عند البحث عن حلول لمواكبة العصر ومستجداته .

فالقيود الاجتماعية المفروضة باسم الإسلام تجاه المرأة وغيرها من مجانبة العادات الاجتماعية الأخرى فيها من المبالغة التي هي مثار للجدل ومثال على ذلك هناك من يريد المرأة أن تكون على شاكلة المرأة الغربية والآخر من يريدها على شاكلة المرأة المحافظة المجمدة التي لايجوز لها الخروج إلى المجتمع لتمارس مهن تخص المرأة بحجة الاختلاط ومخاطبة الرجال ورفض معظم الشباب الزواج منها لأنها خرجت على القيود والذهنية الاجتماعية . فهما نظرتان مزدوجتان لاتتماشيان مع روح وسماحة ووسطية الإسلام نتيجة قيود اجتماعية محافظة ومبالغ فيها ترفض قبول المتغيرات الضرورية وتتسبب في مآسي لا حصر لها في زمن لا يرحم بتعقيداته وأزماته ومتغيراته وحاجاته .

وهذه القيود الاجتماعية المتنطعة التي صاغتها الذهنية الاجتماعية مأخوذة من نصوص دينية منتقاة ومن رصيد وعادات اجتماعية لم ينزل الله بها من سلطان فأصبحنا أمام مشكلة اجتماعية معقدة تحتاج إلى مرحلة انتقالية حرجة لمواجهة متطلبات العصر عن طريق وعي ديني بسبب أن تلك المشاكل الاجتماعية المعقدة ذات ذهنية اجتماعية ضاربة جذورها في الأعماق منذ زمن ليس بالقصير . ومن أجل مواجهة تلك المشاكل نحتاج إلى جبهة مشتركة دينية وثقافية متماسكة لتفكيك تلك المعضلة وإلا فنحن أمام الخيار الآخر وهو الغزو الفضائي المكثف للفيديو كليب والقنوات الفضائية ومثيلاتها من أدوات الاتصال الأخرى على بناتنا وشبابنا تجاه الانحلال والتفكك . فنحن أمام مواجهة دمار خارق لا يرحم ولا يفرق فالأولى بنا العودة إلى سماحة ديننا ووسطيته لئلا نهلك من

أجل أن نحافظ على تماسك مجتمعاتنا التي هي القوة الوحيدة المتبقية لنا والتي لا زالت تميزه عن العالم الغربي المتقدم .

والحل الوحيد هو بالعودة إلى حاكمية الكتاب وحجية السنة الصحيحة في إطار كلي وشامل للوحي { ... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } النساء : ٥٩ وألا نتعامل مع ظرفية الأحاديث والسنن بطريقة انتقائية نبدي مانريد ونتجاوز مالانريد خدمة لأهداف ضيقه تضفي عليها الشرعية كما نريد فنصبح مثل قول الله سبحانه وتعالى في اليهود في تعاملهم مع التوراة { ...تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا... } الأنعام : ٩١ جعلتنا نفقد القدرة على الفهم الشمولي والكلي وضرورة الواقع وعلى العكس من ذلك جعلنا الواقع وفهمنا مهيمناً على القرآن والسنة ونستمد منهما بانتقائية عشوائية لتبرير واقعنا وفهمنا ولم نرتفع إلى غايات النص بل أفرغنا النص في الواقع ولم ندرك تنزيل النص على الواقع، انه ليس من أجل التبرير والتسويغ وإنما هو من أجل الإصلاح والهداية ومن أجل الهيمنة به على متغيرات الزمان والمكان ونضع حلول يمكن أن تتعارض مع قيودنا الاجتماعية ولكنها لاتتعارض مع الدين وتتناسب مع متغيرات هذا الزمان لئلا تتفكك وحدتنا الإيمانية والحضارية والاجتماعية .

درجة الفصل ما بين الشأن الديني والدنيوي :

النقاش حول هذه القضية قديم جديد وهو نقاش لا ينتهي ولكن نتائج هذا النقاش تتوقف عليه مواقف عديدة ،وقبل النقاش أعود لتأصيل القضية منطلقا من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتحديد اطر النقاش ،وقد أرسى رسول الإسلام درجة الفصل مابين الشأن الديني والشأن الدنيوي عندما تحرك جيش المسلمين في أول معركة في الإسلام إلى ماء

بدر ليسبق المشركين من الاستيلاء عليه فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه أدنى ماء من مياه بدر وهنا قام الحباب بن المنذر كونه خبيرا عسكريا وقال : يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزلا أنزلكم الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم الرأي والحرب والمكيدة ؟ فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله بل هو الرأي والحرب والمكيدة.

قال الحباب : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء القوم (قريش) فننزله ونغور (نخربه) ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملأه ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي .

هذه القصة تدل على أن هناك فصل ما بين الشأن الديني والشأن الدنيوي ولكن هذا الفصل ليس فصلا مبينا ومطلقا بل أن للحروب آداب وأخلاق يجب التمسك بها مثل عدم قتل من لا يحارب وعدم قتل الأطفال والنساء وهدم الدير والأشجار وحتى الحيوانات ما يعني أن هناك درجات رمادية ما بين الأسود والأبيض .

هذا التأصيل السابق يقودنا إلى عدة تصورات مهمة منها إشكالية اسلمة كل الشؤون الدنيوية ، فمثلا اسلمة بعض الإسلاميين (الإسلام السياسي) الذين يعتبرون بان الديمقراطية التي أتت بها ثورات الربيع العربي هي ديمقراطية الله لعزة المسلمين أي لم يتمكنوا من الفصل ما بين الدين والسياسي وينبني على ذلك شكل صياغة الدستور دون بقية الكيانات الأخرى في الدولة .

ويعتبر البعض منهم أن الإسلام هو دين الدولة بينما الصحيح أن الدين الإسلامي دين المسلمين لان في الدولة مسلمين وغير مسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم لم يلزم لا اليهود ولا المشركين في المدينة بدين المسلمين بل ترك لهم حرية معتقداتهم وحرية ممارستها وان يحترم كل طرف معتقد الأخر ،لذلك فان جعل الإسلام هو المصدر الوحيد لصياغة الدستور إشكالية كبرى تدخل الإسلام السياسي في صراع مع الأخر داخل الدولة ، بينما هناك مصادر أخرى غير الإسلام تعترف بحق الكيانات الأخرى في المجتمع وكذلك هناك

مصادر محايدة مثل الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها ولذلك يعتبر الإسلام هو احد مصادر التشريع وليس المصدر الوحيد .

فثورات الربيع العربي فرضت على الإسلام السياسي ضرورة تقديم خطابا إسلاميا براغماتيا يتناسب مع الواقع وان يعتمد على التعددية بدلا من التركيز على قولبة المفاهيم وجعلها نسخا متكررة ذات تبعية ضيقة الرؤية غير قابلة للتطور .

فتقديم خطاب متصالح مع الواقع ومتحالف مع الأخر في إطار من الديمقراطية البعيد عن توصيف الديمقراطية باسم الله الذي يهدد العملية السياسية السلمية داخل الدولة.

لان دول الربيع العربي مقبلة على صياغة مشهد سياسي جديد في منطقة الشرق الأوسط وعلينا أن نقارن ما بين النموذجين الإيراني والتركي فالأول اصطدم مع الغرب والثاني تصالح مع العالم بما فيها الدول العربية التي زرعت بريطانيا في نفوس العرب كره الأتراك بعد الحرب العالمية الثانية .

نماذج التحالف ما بين الديني والسياسي ومدى صمودها في وجه الثورات :

يعتبر ابوبكر الصديق رضي الله عنه مثبت أركان الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية بعد فطامها السياسي من الوحي باعتبار الجزيرة العربية ذات خصوصية لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ،فشبه الجزيرة العربية كانت في حالة خروج عن سلطة المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى واخذ الخروج إشكالا عدة ليس هذا المجال محل في تفصيل أشكال هذا الخروج .

فحمى الصديق الجزيرة العربية من التمزق القبلي ووفر لها وحدة الصف السياسي فثبتها داخليا ووسعها خارجيا ،ولكن بعدما توسعت الدولة الإسلامية عادت الحياة القبلية تستشري في الجزيرة مرة أخرى نتيجة إهمالها فكريا وسياسيا ما عدى الأماكن المقدسة ،

فتعمق التعصب القبلي ،وانتقل التعصب إلى الجانب الديني وظهرت حركات دينية مثل القرامطة أشاعت الخوف في الجزيرة العربية .

إلى أن ظهرت الحركة الإصلاحية في قلب نجد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ونقلت قائد حركة قبلية إلى قوة سياسية أقضت مضاجع الدولة العثمانية في ذلك الوقت ودخلت في صراع تاريخي مرير.

فكان تزامن الحركة الإصلاحية مع الحركة الدينية استفاد كل منهما من الأخر وكل منهما أعطى الأخر شرعية وكانت نواة الدولة السعودية التي استطاعت أن تثبت دعائم شرعية الدولة من خلال إيجاد وحدة متينة ورابطة قوية من القبائل المختلفة أي أن الدولة السعودية هي تحالف ما بين الديني والسياسي والقبلي الذي يمثل الاجتماعي في ذلك الوقت .

ولم تتمكن الدول العربية الأخرى من استنساخ نفس النموذج بل على العكس دخل السياسي في صراع مع الديني ما أوجد انفصام داخل الكيان الاجتماعي الواحد لذلك هناك قلق مراقبين اليوم ولا يزال غير مطمئن لقطاعات واسعة منهم على نجاح الأداء السياسي للإسلام السياسي بعد اكتساحهم صناديق الاقتراع ،وبدأت تظهر إلى السطح ضبابية العلاقة ما بين الدين والدولة وان كانت هي موجودة قبل الثورات ولكنها لم تكن بنفس القلق وبنفس الترقب لان الإسلام السياسي أصبح اليوم في دائرة الحكم .

وبرز نموذج أحادي في ظل الجمهوريات جماعة يطلق عليهم بجماعة الإخوان المسلمين وحرمت من تكوين الأحزاب والمشاركة السياسية في عهد الجمهوريات فمثلا نجد أن النموذج السعودي استطاع في الفترة الماضية أن يضبط إيقاع التجاذب ما بين الدين والسياسة والوقوف ضد خلط الاجتهادات المتشددة بالمعتدل وفرضه ليكون برنامجا سياسيا ،وهذا النموذج كان عاملا قويا وحاسما في تهذيب مثل هذه الاجتهادات المتشددة التي تظهر بمظهر المعتدل .

بل أن النموذج السعودي ظل طوال الفترة الماضية حاميا ومنقذا وملجأ للفارين من جحيم الاستبداد السياسي في الجمهوريات العربية.

وحاول الخميني استنساخ التجربة السعودية ولكنه اتجه نحو نموذجا ثوريا لتصدير هذا النموذج قسرا إلى دول الجوار ومن ثم مده إلى أقصى الأماكن التي يمكن أن يصل إليه هذا النموذج ،وبالطبع استفاد هذا النموذج من أخطاء السياسة الأمريكية وقد تكون السياسة الأمريكية مكنت هذا النموذج من التمدد حتى تعزز الصراع المذهبي والعرقي في المنطقة وتصبح هي المهيمنة بعد نشر الفوضى في المنطقة وعدم تمكينها من التوحد .

وهناك نموذج أخر جديد وهو مشروع سياسي حاول أن يغالب رداءة الجغرافيا ورداة الموقع الذي وضع قطر في موقع وسط بين جيران أقوياء فحاول أن يستثمر مكانته في احتياطي الغاز الهائلة التي يملكها ويتجه نحو حركة سياسية نشطة مستثمرا بعض نقاط الضعف التي تعتري دول الخليج وعلاقتها بإيران وبالعديد من الدول العربية قبل الثورات العربية .

ولكن ما يميز الدبلوماسية القطرية المتحالفة مع الإخوان المسلمين بقيادة الشيخ القرضاوي ببعدها عن الايدولوجيا التي تتبعها الثورة الخمينية والدبلوماسية الإيرانية في البداية لكنها تحولت بعد ذلك إلى قالب بمشروع سياسي ايدولوجي وقد حلت الدبلوماسية القطرية محل الدبلوماسية الكويتية النشطة في السابق التي ذبلت بعد إخراج صدام حسين من الكويت وأصبحت مشغولة بأوضاعها الداخلية، لذلك يرى البعض في الدبلوماسية القطرية بأنها تتدخل فيما لا يعنيها كثيرا لذلك نجد بعض القيادات السياسية الليبية والتونسية تطالب الدبلوماسية القطرية بعدم التدخل في الشأن الداخلي بعد الثورة.

وقد أدركت السعودية بان الدبلوماسية القطرية دبلوماسية شابة ونشطة فاستخدمتها راس حربة الخليج وهي التي تدير اليوم العديد من القضايا العربية نيابة عن دول مجلس التعاون الخليجي ولكن بالتنسيق فيما بينها وهي دبلوماسية ذكية حتى لا تدخل دول الخليج في صراع داخلي وهي الاحوج إلى الكيان المتماسك حتى لا تصبح مخترقة من قبل إيران التي

تحاول تفكيك دول الخليج والاستفراد بدولها دولة دولة حتى تصبح جمهوريات إيرانية تابعة لإيران .

واستطاع النموذج القطري أن يعزز نجاحه بالاتكاء على النموذج التركي لاستيراد إسلام سياسي عربي منفتح ،لذلك يجد المشروع القطري دعما ومظلة أمريكية وهنا تتطابق قراءة قطر وأمريكا لهيمنة الإسلام السياسي في الفترة المقبلة والتربع على السلطة وخطبة الشيخ القرضاوي في ميدان التحرير تنبئ بتمدد المشروع القطري الذي يحاول أن يشارك في صياغة الأنظمة السياسية الجديدة .

ومن مصلحة السعودية ليس مهم لديها نجاح المشروع القطري أو فشله ما يهمها فقدان العلاقة الهادئة التي تربط قطر بإيران وينتهي الغزل السياسي بينهما ليتحول مركز الثقل السياسي والمادي العربي إلى الخليج لقيادة مشروع عربي خصوصا في ظل الفراغ السياسي العربي بعد الثورات ومحاولة ملئ الفراغ بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق وتهميش المشروع الإيراني الذي يستهدف امن الدول العربية.

الجدل حول مفهوم الحاكمية :

مصطلح (الحاكمية) من أكثر المصطلحات الشائعة التي عززت من الانقسام بين المسلمين وبشكل أدق بين أهل السنة والجماعة بسبب صعوبة فهم وإدراك الجزء الثاني من مسمى الجماعة لأنه كان ينظر إليه على مر التاريخ بأنه (السواد الأعظم من الناس) وهو ما كان يتمسك بهذا المفهوم الإمام أبو حنيفة إذ يفصل بين (سياسة الدنيا) التي تتولاها الجماعة عن طريق من يوكل إليه أمر الشورى ، ومن يوكل إليه أمر الشورى كما يرى أهل السنة والجماعة هم (أهل الحل والعقد) ولكن الإسلام لم يحدد تلك الفئة في قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) لكن حدد الإسلام فئة عند حدوث عارض في قوله تعالى (وإذا

جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) .

المهم أن الشأن العام أو السياسي أو الدنيوي شان جماعي وشوري وإجماعي وإنساني تقرره الادراكات الإنسانية والمصالح، لذلك فهم الإمام احمد بن حنبل مصطلح (الجماعة) على انه اجتماع الأمة على الإمام منعا للثورات والفتنة وضياع مشروع الأمة ، بينما كان بقية الأئمة الآخرين لم يكونوا قلقين من الفتنة مثلما كان الإمام احمد قلق من الفتنة واعتبروا (السواد الأعظم) هو بمثابة ما يسمى في عصرنا الحاضر بالمعارضة السلمية لضمان استقرار المجتمع وإحداث التوازن والحد من الاستبداد والاستئثار بجانب من جوانب قيادة الأمة .

لكن بعض المتأخرين من أهل السنة نقلوا مصطلح (الحاكمية) من (الأمة) ومن (السواد الأعظم) الذي يسمى في عصرنا الحاضر ب (المجتمع المدني)المرجعية في الشأن الدنيوي العام إلى حكم الله والشريعة وجعلوه كيانا دينيا أعاق تقدم الأمة واغفلوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم (انتم اعلم بأمور دنياكم) وهذه الإشكالية جديدة قديمة منذ عهد الإمام على رضي الله عنه حينما قال لأهل حروراء حينما حكموا (أي قالوا : لا حكم إلا لله) قال لهم : كلمة حق أريد بها باطل ، الحكم لله ، وفي الأرض حكام ، لابد للناس من أمير يجمع الفئ ، ويجاهد العدو ، وتأمن به السبل ، ويأخذ للضعيف من القوي حتى يستريح بُرّ ويستراح من فاجر ، آلا ترى انه لم يذكر للأمير مهمات دينية ؟ .

وبهذا فان الإسلام لم يمنع ولاية الأمة على نفسها لان الإمامة قائمة على الشورى والاختيار من الأمة والجماعة و(أهل الحل والعقد) كما يسمونهم الغرب ب(المندوبين) التي تفوق أصواتهم أصوات العامة من الناس وهي التي ترجح كفة المرشح ولا تتعارض مع (الحاكمية) بحسب أصول الفقه بان الله عز وجل المشرع للبشرية والحاكم في الأمر التشريعي ، وكذلك لا تتعارض مع الشرائع التي أنزلت من اجل رعايتها وصونها من قبل الإمام المختار من قبل الأمة .

فإشكالية (الحاكمية) فرضت انشقاقات وتشرذمات ذات طابع ديني وسياسي تفاقمت مع الإنسدادات السياسية العالمية وان الأمر كله لله من قبل ومن بعد .

لماذا اختل مفهوم الجماعة ؟ :

أن مصطلح أهل السنة والجماعة تبلور أواسط القرن الثاني الهجري باعتبار أن القسم الأول يمثل الدين والقسم الثاني يمثل الدنيا والمقصود في الجانب الأول إتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بأركانها التعبدية عقيدة وفقها ، إما القسم الثاني ينصب على مشاركة جماعة المسلمين في إدارة شئونها الخاصة والعامة التي تخضع لتدبير المصالح العامة .
وتعامل العلماء من القسم الأول اعتقادا وإتباعا وتعلما ، بينما تعاملوا مع القسم الثاني اجتهادا وظل هذا التقسيم طوال العصور الماضية باعتبار أن الإسلام كدين هو المرجعية لهذين القسمين ، لكن شهد القرن العشرين تغيرات على يد الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين حول مفهوم الجماعة للوصول إلى تدبير ذي شرعية لشؤون المسلمين انتهى بهم الأمر إلى القول بمرجعية الشريعة وليس الجماعة في إدارة شؤون العامة أو شئنهم ، فأصبح الدين والدنيا كل لا يتجزأ .
انتهى عهد الثنائية فبرز على الفور تناقض ومواجهة بين الدين والدنيا والشريعة والجماعة وأصبحا على طرفي نقيض بعدما كانا يسيران جنبا إلى جنب ومن هنا بدأت بعض المجموعات المتشددة اتهام المسلمين بالخروج عن الدين تارة وصل الأمر إلى بعض من المتشددين إلى تكفير جماعات من المسلمين وبالأخص الحكام بسبب أنهم لا يطبقون الشريعة الإسلامية ومن هنا برزت فكرة الحاكمية (حاكمية الشريعة) الاتجاه نحو الاستيلاء على السلطة من اجل فرض تطبيق الشريعة ، ادخل هذه الجماعات في صراعات مع حكام مجموعة من الدول فأصبحت هدفا خصوصا في تركيا زمن اتاتورك أو في الدول التي كانت ترزح تحت السيطرة

الروسية واتجهت بعض الدول إلى إضعافها من قبل ثوريي الدول الحديثة باعتبارهم عقبة أمام أي تحديث .

وعلى عكس الدول الأخرى كانت السعودية داعمة للمؤسسة الدينية ووسعت من نشاطها ، وكانت المؤسسة الدينية طرفا في المساهمة في عمليات التحديث ، أدى إلى بروز طائفة متشددة ترفض مرجعية المؤسسة الدينية وحجيتها ، وحاولت الحصول على شرعية إضافية من أتباعها مستفيدة من نزوعها الاحتجاجي أطلقت على نفسها (السلفيون الجهاديون) .

إما في الدول الأخرى فأنهم يريدون من حكام دولهم تطبيق الشريعة الإسلامية وقسموا العالم إلى فسطاطين ، وهذا الواقع بحاجة إلى معالجة من قبل المؤسسات الدينية لإعادتهم إلى التوازن العقدي والاجتماعي والسياسي ،لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال (انتم اعلم بأمور دنياكم) لإعادة دور الجماعة كمرجعية وكذلك قول الله سبحانه وتعالى (فاسأل به خبيرا) (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

كما أن على المؤسسات السياسية في العالم الإسلامي عدم إتباع سلوك الإلغاء أو الاصطفاف الذي لا يؤدي آلا إلى بزوغ الصراع والنزوع نحو الاحتجاج والى ظهور جماعات ثائرة وعنيفة .

الخلافة الإسلامية:

لم يرد بيان في القران ولا في السنة عن كيفية تنصيب الخليفة أو تعيينه ، لهذا انقسم المفكرون والعلماء إلى فريقين فريق اعتبر الخلافة الإسلامية واجبا شرعيا بعد أن سقطت الخلافة العثمانية في تركيا ، وفريق أخر وعلى رأسهم على عبد الرزاق الذي الف كتابه (الإسلام وأصول الحكم) الذي اعتبر أن الخلافة الإسلامية ليست واجبا، لكن تصدى

الكتاب ولمؤلفه مشيحة الأزهر باعتبار انه هدم حكم الإسلام وشرعة وتفريق لجماعته وفيه إباحة لعصيان الله ورسوله في جميع الإحكام الشرعية والسنة النبوية واعتبر ذلك بدعة .

وقد تشبع الشيخ على عبد الرزاق بتعاليم الإمام المجدد الشيخ محمد عبده فأدرك أفكاره وعرف أن هذه الأفكار هي خلاصة أيضا ما كان يدعو إليه التجديد على الجمود جمال الدين الأفغاني وحاول أن يخلص هذا الدين مما علق به من أفكار ترهلت وحالت بين حقيقته وبين الممارسة التي تتم باسم الدين على مر التاريخ .

فالخلافة أصلا هي صورة من صور الحكم تجتمع فيها السلطة والسياسة في يد الحاكم مع وجود شورى وان أي حاكم غير النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو بشر يصيب ويخطئ .

وان كان الإسلام لا يرى دائما أن الكثرة وحدها دليل على الحق وهو ما تتبعه الديمقراطية الانتخابية الغربية (ما وجدنا لأكثرهم من عهد) وإنما معيار الإسلام التفريق بين الطيب والخبيث (لا يستوي الخبيث ولا الطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث).

لكن الإشكالية في اجتهاد بين أقلية وأكثرية في اختيار الحاكم أو الموافقة على قرار سياسي أو اقتصادي ، وكان رأي الشيخ على عبد الرزاق الأخذ برأي الأغلبية فيما لا تقوم فيه الحجة القاطعة برأي الخبراء والعلماء وهو السبيل الذي لا سبيل غيره لتقرير مصائر الأمة في إدارة دفة الأمور لأسباب متنوعة ولا يمكن حصرها في خصومة مع الحاضر والمستقبل وتنحاز لفكر السلف وما تركوه على أساس انه ملزم بحكم قدمه واستقراره ومن الخطأ أن يعزى هذا الموقف إلى الاعتقاد الديني بإلزام (النصوص) إذا كان هذا الموقف . وان يصبح ميراث الأقدمين دينا رغم انه مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي كما سجلته الكتب السماوية باعتباره موقفا غير مقبول من وجهة نظر دينية وصفه القران وصفا دقيقا (بل نتبع ما ألفينا عليه آباؤنا) .

وهذا ما أوجد حالة من الانشطار عند بعض المسلمين حيث ولد في نفوسهم الشك والحذر من كل محاولات الاستفادة من التعامل مع غير المسلمين والأخذ بأفكارهم على اعتبار أنها ولدت ونمت خارج الإطار الإسلامي وفي غير داره .

واستمرت الخلافة العثمانية قرابة ستة قرون من الزمن وعندما هرمت وضعفت ضربتها القوى الغربية بالقومية العربية بقيادة إشراف الحجاز والأردن إلى أن انهارت الخلافة العثمانية وهزمت في الحرب العالمية الأولى ،فغضب الإشراف بعدما غدرت بريطانيا بالعرب وقسمت المنطقة العربية وفق قرار سايس بيكو عام ١٩١٩ بين الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى وتبعه قرار وعد بلفور بمنح فلسطين وطن قومي لليهود .

واتى بعد ذلك زمن الانقلابات العسكرية وكان من ضمن تلك الانقلابات قيام تنظيم الضباط الأحرار في مصر عام ١٩٥٢ بانقلاب عسكري على الملك فاروق بقيادة جمال عبد الناصر الذي اختزل القومية العربية من عالميتها التي ارتبطت بالدين الإسلامي وخرجت من دائرتها العرقية الضيقة إلى الدائرة العالمية كل ذلك من اجل إقامة دولة عربية موحدة تشمل البلاد العربية كلها وهو ما أزعج كثير من البلدان العربية الأخرى وخصوصا السعودية التي أتت بمشروع مضاد (التضامن الإسلامي) على يد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله مما سمح لجماعة الإخوان المسلمين في مصر المطالبة بعودة الخلافة الإسلامية بعد انهيار الخلافة العثمانية وهو حنين يرجع إلى رغبة الملك فؤاد عام ١٩٢٦ بإحياء دولة الخلافة وهو ما تحاشاه الملك عبد العزيز الذي دخل مكة المكرمة ودعي في نفس الفترة إلى مؤتمر إسلامي ولكن كانت الدعوة من اجل رعاية الحج فقط ، وبالطبع واجه الملك فؤاد رفضا قطعيا من قبل الدول التي حضرت الاجتماع .

وهذا الحنين تبنته الجماعة وادخلها في صراع مرير مع جمال عبد الناصر فلا جمال عبد الناصر استطاع أن يحقق الوحدة العربية ولا جماعة الأخوان استطاعت أن تحقق حنينها بالعودة إلى دولة الخلافة فخسر الطرفين وتوقف تطور مصر الصناعي.

ومنذ إنشاء جماعة الأخوان على يد حسن البنا عام ١٩٢٨ تبنت أفكار بناء دولة الخلافة وكانت أول جماعة إسلامية تستطيع تكوين حركة إسلامية منظمة وان كان الضباط الأحرار قاموا بالانقلاب بالتحالف مع جماعة الأخوان المسلمين ولكنهم استقلوا عن الجماعة ، وكونت الجماعة تنظيما مسلحا لفرض دولة الخلافة في كافة الدول العربية بالقوة وليس فقط في مصر فواجهوا مقاومة جماعية من قبل النظم العسكرية الانقلابية في الدول العربية .

فهل يفسر سيطرة الأخوان على برلمان اكبر دولة عربية اليوم، ويمثل هجوم الأخوان على دولة الإمارات استعدادا لعهد دولة الخلافة المقبلة ؟ وهذا يعني تسيس الدين بسبب أن بعض الأخوان يرون أنهم يقعون بين نموذجين من نظم الحكم ولاية الفقيه في إيران ونموذج التحالف ما بين السياسة والدين في السعودية والبحث عن دولة حتى ولو كانت صغيرة تصبح مركز الخلافة الإسلامية .

وهل المشروع السياسي اخرج بعض الأخوان من منهجهم (التيسير في الفتوى والتبشير بالدعوة) إلى مهاجمة المؤسسات الدينية التي لم تمنحهم ما يعتقد حقا لهم كهجومهم على الأزهر وشيخه احمد الطيب في فبراير ٢٠١٢ وهم يستثمرون قوة النفوذ والسلطة التي يتمتعون بها ؟ فهذا يعني دخول العرب منعطفا جديدا على غرار المنعطفات السابقة التي لم تحقق للعرب تقدما، إضافة إلى ما يعانيه العالم العربي أصلا من تفتت نتيجة احتلال أمريكا للعراق وتدخل إيران في المنطقة العربية.

الجدل الفقهي حول منصب ولاية المرأة العامة والكبرى :

ما تزال مسالة ولاية المرأة للولاية العامة مثار جدل واسع بين علماء الأمة الإسلامية وسط ردود فعل متباينة في الأوساط السياسية بمختلف اتجاهاتها الفكرية حول حق المرأة في الترشيح في الانتخابات البرلمانية ٠

ويرى الشيخ محمد طنطاوي شيخ الأزهر أن حكم تولي المرأة رئاسة الدولة في الإسلام بان لاتكون ألا للرجال بحسب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة) وان كانت هي مسألة خلافية لان البعض يرى بان هذا الحديث واقعة حال وبهذا يجوز ولاية المرأة واقعة حال عين بخصوصها ٠لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا في مناسبة معينة وان كان رأي الجمهور أن الولاية العامة تكون للرجال فقط ٠

ولكن لولم تكن قيادة المرأة جائزة لما قادت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها موقعة الجمل وهي التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم (خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء) وان كان النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ بهلاك ذلك الجيش إذ قال (يخرج قوم هلكى لايفلحون قائدهم امرأة قائدهم في الجنة) رواه البزار والبيهقي٠

وإذا قادت السيدة عائشة جيشا فمن باب أولى يمكن للمرأة أن تمارس السياسة والشورى لان الله سبحانه وتعالى لم يخص احد الجنسين في الأمر بالشورى { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} الشورى : ٣٨ وقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم مشورة زوجته أم سلمه في صلح الحديبية حينما أشارت عليه بان يبادر يذبح هديه ثم يحلق رأسه فتبعه مباشرة بقية الصحابة المتضجرين من شروط الصلح٠

ولكن في قول الله سبحنه وتعالى { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... } النساء : ٣٤ فقد خصت هذه الآية القوامة للرجال فمن باب أولى الولاية العظمى فهي للرجال ولكن هناك قول لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (تحدث للناس أقضية كقدر ما أحدثوا من الفجور) وابن رشد يقول (ولله أحكام تحدث عند اسباب لم تكن موجودة في الصدر الأول) وبالنظر إلى قاعدة ارتكاب اخف الضررين والنزول إلى أدنى الشرين والموازنة بين المصالح

والمفاسد ، فعند دخول امة في انتخابات وأفرزت هذه الانتخابات امرأة كما في اندونيسيا وبنجلاديش فاستمرار ولايتها أولى من الدخول في حرب أهلية ٠ ولكن نحن في المملكة لسنا بحاجة إلى مثل هذه القضايا حتى ألان ولكن لاتوجد نصوص قطعية تمنع المرأة من الولاية الأدنى وكما قال الإمام الطبري (ويمكن أن يكون إطلاقا في القضاء ، ويمكن أن يكون عاما في كل ولاية) وان كان حتى في العالم الغربي من النادر تولية المرأة أمر الولاية الكبرى إلا ما ندر٠

ولكن تولية المرأة للوظائف العامة في صدر الإسلام لم تكن إشكالية فالمرأة كانت تتولى التدريس في أيام الصحابة والتابعين رجالا ونساء ضمن حدود الحشمة والحجاب الشرعي ،كما أنها اشتركت في المعارك والغزوات يداوين الجرحى بل ويشتركن في القتال عند الضرورة كدفاع نسيبة بنت كعب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة احد وأم سليم عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين٠

بل أن بعض النساء تولين إمارة السوق كما ذكره القرافي في كتابه (الذخيرة) عن امرأة سماها بأم سليمان كانت تتولى إمارة السوق في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ويذكر الحافظ بن عبد البر أيضا أن بنت نهيك الاسدية وهي صحابية أدركت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تخرج إلى السوق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبيدها عصاها ٠

فإذا كان الطبري يرى أنها تتولى في كل شيء على عكس الجمهور بينما ابن حزم الظاهري يرى أنها تتولى كل شيء عدا الخلافة ،وللأحناف رأي خاص بالمرأة البرزة التي تخالط الناس وتطلع على أحوالهم فإنها تزكي الشهود ، ويقصدون بالمرأة البرزة التي تبرز إلى الناس من غير ريبة لقول الله سبحانه وتعالى {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ...} النور : ٦٠ .

إعادة ورد حقوق المرأة التي أعطاها إياها الإسلام لا تحريرها :

التحفظ تجاه المرأة لأجل صيانتها وحفظها ومنع المرأة من حقوقها التي أعطاها إياها الإسلام خطأ كبير في حقها وفي حق ديننا.

وكلما نتردد في إعادة إعطاء حقوق المرأة التي أقرها الإسلام تحت مسمى صيانة المرأة فانه يصب في الجانب الأخر موضوع تحرير المرأة الذي يحدث شرخا فكريا بين فصائل المجتمع وإخلاله بتماسك الأسرة التي هي الخلية الوحيدة التي أبقى عليها الإسلام وهي أساس وحدة الأمة وتماسكها (وان هذه أمتكم أمة واحدة)

نحن نعطي دعاة تحرير المرأة الفرصة لنزع الحجاب ونبذ كل قيم المجتمع وتبني سلوكيات الغرب وأخلاقه حتى يؤدي إلى انتشار سفور جماعي ونعطي الفرصة لجمعيات تحرير المرأة خطوات شاسعة تعتني بالمرأة باسم رد حقوقها ومكانتها المسلوبة.

ونحن لإنزال في جدال حول إعادة حقوق المرأة حتى أصبح هذا الجدال في صورة حوار الصم بسبب اختلاف الاجتهادات وتدخل المتشددين واعتبار آراؤهم نصا مقدسا وهي في الأصل تأويلات اجتهادية بناء على حسب المقتضيات أو ليست هي لها اصل بالدين وإنما بالموروثات التقليدية التي كرستها ثقافة المتشددين عبر العقود الماضية التي هي من صنع البشر.

هذه القضية يجب أن يتبناها العلماء المنفتحون على الإسلام الحق تحت قاعدة { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء :٥٩

والإسلام في الأصل حرر البشرية كلها وضمنت الشريعة للمرأة حقوقها وألقت عليها واجبات متوازنة ضمن قاعدة لاضرر ولاضرار.

فالإسلام دين منفتح ودين السماحة واليسر فيجب اعتماد فقه التيسير ورفع الضرر أو الضيم عن المرأة ليعزز كرامتها ويوفر لها ظروف المشاركة في تنمية المجتمع فيجب أن تتحكم القواعد العامة التي جاء بها الإسلام في فهم النصوص.

مع المحافظة على تماسك الأسرة وتوازن علاقاتها لتبقى علاقة الزوجية علاقة مودة ورحمة لاتعسف وغبن.

ومن هنا نغلق الباب على المؤتمرات الدولية التي تعقد تحت رعاية الأمم المتحدة حول المرأة والطفل والسكان . وتطرح أفكارا تعارض ماورد في الدين الإسلامي مثل إباحة الإجهاض وزواج الشواذ لأن هدف الغرب تحطيم الأسرة كمؤسسة.

فلابد أن نتخلص من الهوى النفسي والشعبي على حساب الحكم الشرعي{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ} الحج: ٣

فالذين يدخلون الدين الإسلامي حديثا واخذوا الدين الإسلامي من مصادره الأصلية التشريعية يفاجئون بالاختلاف الكبير بين مايجري في واقع المسلمين بل يصابون بإحباط كبير لرؤيتهم واقع المسلمين إذ يجدون العادات تطغى على الشرع وأصبحوا ينتقدوننا على تشويهنا لصورة الدين الذي ساهم في تنفير غير المسلمين من الدخول في الدين الاسلامي.

الإسلام الوحيد القادر على رعاية مؤتمرات حقوق المرأة :

بمناسبة اليوم العالمي للمرأة ورعاية المرأة المسلمة من جهات غير إسلامية يتساءل المرء من جعل المرأة مفعمة بالروح الثورية مشفوعة بحركات عصبية ؟ ولماذا أصبحت تستنكر الإجحاف الذي لحق بها ؟ ولماذا يرعى مؤتمر المرأة جهات أجنبية ؟ أليست المرأة العربية المسلمة كفل لها الإسلام كافة الحقوق والمساواة بينها وبين الرجل ؟ وما ذنب الإسلام إذا أضاع المجتمع باسم التقاليد هذه الحقوق ؟ أليس كان من الواجب أن يرعى

المسلمون هذه المنتديات والمؤتمرات من خلالها يستطيع المسلمون إيضاح حقوق المرأة في الإسلام ؟ بدلاً من أن نتركهن يتجهن للثورة برعاية جهات أجنبية مشبوهة لا تريد للمرأة الخير ولا للإسلام ؟ وبدلاً من أن تشجع المرأة على التمرد ضد زوجها وضد الأب وضد الأخ وضد المجتمع بأكمله تطالب بحقوقها التي أضاعها المجتمع باسم العادات والتقاليد.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء خيراً والرفق بهن وقال (رفقاً بالقوارير) هل يوجد وصف يهتم بالمرأة أكثر من هذا القول وقال صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة منها (خيركم خيركم للنساء) وفي حديث آخر (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، ماأكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم) حديث صحيح رواه الإمام علي رضي الله عنه .

ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يحمل صفيه بنت حيي على بعيالمرأة.ا فخذه لتضع رجلها عليه. فلا يمكن لأي جهة أخرى أن تزايد على الإسلام في رعاية حقوق المرأة .

فإذا ماأعطيت المرأة حقوقها وكرامتها وأنوثتها فلا مكان للمرأة الثائرة أو المتمردة وتقطع الطريق على الطروحات الراديكالية التي نسمعها بين حين وآخر .

فتجربة الإسلام غنية بحقوق المرأة عن بقية التجارب الأخرى سواء في الغرب أو غيره فهي أما نموذج ثوري يطال شكلها لتعلن انقلاباً على مفهوم الأنوثة التي جبلها الله عليها لتكون النصف الثاني في المجتمع تؤدي دوراً خاصاً بها ومكملاً لدور الرجل ، ومن تلك النماذج التي أسست في الغرب مفهوم جديد للأنوثة هو تكريس للمد الفكري اليساري ومارافقه من نزعات الوجودية الداحضة لمفهوم الأنوثة والرافضة لمتطلبات الذكورة مما جعلها تطالب بمساواتها بالرجال أي المساواة الجوهرية الكاملة بين الجنسين المتعارضة مع خلق الله سبحانه وتعالى الذي جعل لكل من الرجل والمرأة دور يفضي في النهاية إلى تكوين الأسرة .

فالدعوة إلى المساواة ليست دعوة إلى المساواة العقلية وفي التكاليف بل إلى المساواة الكاملة التي هي دعوة المرأة للأنفكاك من أسر الاهتمام بجمالها إرضاء لرغبات الرجل أي الزوج وهو متنافي مع الطبيعة البشرية تعتبر ذلك منقصة واستخفاف بعقل المرأة .

وهي دعوة إلى المرأة المسترجلة التي نهى عنها الإسلام كما وفي الحديث لعن الله المرأة المسترجلة وهذا التيار اليساري يدعو إلى الثقافة الذكورية من أجل انتفاء اجتماع القدرات العقلية مع الجمال في المرأة ، وتلك دعوة إلى عدم خنوع المرأة للأنوثة وهي دعوة إلى التحرر ودخولها الميدان العام الرحب لاقتحام القيود المفروضة عليها سواء أكانت دينية أو اجتماعية أو أسرية حتى أصبحت عنواناً للتقدمية .

فالمرأة تستظل بالرجل وهي راعية للأمومة ومتصالحة مع ذاتها والآخر متحررة من عقدة الأنوثة الناجمة من عقدة الذكورة { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ... } البقرة : ١٩ ويجعل الإسلام من المرأة تسرق أنظار زوجها لا أن تسعى إلى أنوثة تأسر الباب المجتمع وتكون نجمة تسرق الأنظار ويكتسح إنتاجها الأسواق وهو تيار آخر عكس التيار اليساري الذي يجعل من المرأة ذاكره الجسد ووصفه سحرية ومثالية للشهرة ونجومية كاذبة

ولكن للمرأة في الإسلام القيمة الأدبية والعلمية مع الحفاظ على الخصوصية الأنثوية. فتحارب المرأة العالمية هي بين دعوات المرأة المسترجلة أو المرأة ذاكرة الجسوالعفاف. تسرق الأنظار ، بينما نسج الإسلام صورة المرأى المسلمة بواقعية بعيدة عن المرأة المستضعفة المغبونة وبعيد عن المرأة الثورية أو المتمردة أو المناسبة ضلة بل جعل الإسلام من المرأة التي تتودد إلى زوجها ويتودد إليها زوجها امرأة تشبه الخنساء في رفعة مكانتها وفي صلابة تمسكها بأمومتها لا تنقاد لرأي رجل خاطئ مهما كانت مكانته وإنما لعقلها وحسها ومشاعرها . ونماذج النساء المسلمات كثيرة في الإسلام تجمع بين المكانة والعقل والأنوثة والعفاف . انه الإسلام الوحيد القادر على رعاية حقوق المرأة وصيانتها من

الانحراف والانزلاق إلى مهاوي الرذيلة من أجل رفعة مكانتها ورفعة أسرتها التي تشاطر الزو في تكوينها واللبنة الأساسية في المجتمع .

حقوق المرأة بين الجاهلين بروح الإسلام وبين المتحاملين عليها :

قرأت في احد المقالات رسالة لمرآة تقول فيها أنها تخرجت من قسم الكيمياء منذ ستة سنوات ونفذ صبرها نتيجة عدم الحصول على وظيفة ، وتنتظر نصيبها في الزواج ، ولكنني أقف عند عبارة استوقفتني في الرسالة وهي (تتوافر لي ولغيري من البنات كل مقومات الانحراف ، وهو الخيار الوحيد والتسلية الوحيدة التي أمامنا ، ولكن تردني معرفة الله وحب الوالدين) وفي جزء آخر من الرسالة تقول (ففي النهاية نحن بشر ويعترينا الضعف ولحظة الضعف تهد الجبال) .

والمجتمع يترك تلك القضايا الكبرى التي تعاني منها المرأة السعودية ، وينشغل بالسجال حول قيادة المرأة للسيارة إلى حد رمي مخالفيهم بالملحدين والمنافقين ، أو سجال آخر حول كشف وجه المرأة مغفلين القضايا الرئيسية التي تواجه المرأة السعودية .

فالمرأة في مجتمعنا لم ترعى الرعاية المناسبة وما طرأ على الساحة من متغيرات ، فأصبحت مهمشة بل وقسالحرية،وأصبحت تعاني ما تعانيه من ظروف قاسية .

فالمرأة السعودية بين مطالب التغريب لتكون على شاكلة المرأة الغربية التي فقدت حياءها وقيمها باسم الحرية ، والمرأة المحجور عليها نتيجة قيود اجتماعية فرضت عليها منذ زمن .

رغم أن الإسلام أعطى المرأة المسلمة في زمن هضم حق غيرها من النساء. فالرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد وهي تاجرة وصاحبة مال ، بل اتجر في مالها قبل أن يتزوجها ، ولم يصادر مالها بعد أن تزوجها ، ولم يمنعها من الاستمرار في مزاولة تجارتها ، وهل هناك أكثر مكانة من زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها أي أنها كانت المرجع الديني لكبار الصحابة بما فيها الفتوى ، ولم يتردد صلى الله عليه وسلم في الأخذ بمشورة زوجه أم سلمه بالمبادرة إلى الحلق ليتبعه الصحابة المتضجرين من شروط

صلح الحديبية . والكثير من العلماء تلقوا العلم عن شيخات ، مثل تلقي ابن تيمية من فاطمة بنت أبي القاسم ، ومن زينب بنت مكي ، ومن زينب بنت احمد .

فالإسلام لم يحجر على المرأة المسلمة بل ساواها بالرجل في كل الجوانب، بل أن رجاحة عقل المرأة يعلو رجاحة عقل بعض الرجال، لذلك لم يفرض الإسلام قوامة للرجل على عقل المرأة خصوصا في الرأي والمشورة والعلم. فأم سلمه أنقذت موقف كامل للمسلمين من أزمة بعدما امتنع الصحابة عن النحر والحلق رغم انه كررها ثلاثا. ووقفت امرأة لعمر بن الخطاب حينما أراد تحديد المهور وذكرته بالآية الكريمة {... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا... } النساء : ٢٠ فتراجع عمر وقال أصابت امرأة واخطأ عمر . فللمرأة استقلاليتها في التفكير والرأي والعلم ولها الحق في تقديم المشورة مثلها مثل الرجل ، فهي ذات أهلية كاملة ، ولها الحق في تبوأ المكانة على الرجال إذا كانت مستحقة لهذه المكانة ، ما عدا الولاية الكبرى ولكن هناك أراء أخرى حول هذه الولاية وإذا ما تولتها فلا تنازع عليها خوفا من الفتنة { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ... } التوبة : ٧١ فلا توجد خصوصية للرجل على المرأة هنا في هذه الآية بل أن مسؤولية المرأة تتساوى مع مسؤولية الرجل.

فإذا الغرب نزع حياء المرأة باسم الحرية ، فنحن نزعنا الحقوق التي أعطاها الإسلام باسم القيود الاجتماعية ، حتى أصبحت المرأة ضجة كبرى مفتعلة بين أيدي جاهلين بروح الإسلام وبين أيدي متحاملين على الإسلام يريدون أن ينالون من الإسلام عن طريق المرأة .

فالمرأة كاملة التكوين والأهلية ومن حقها التكسب والارتزاق مثلها مثل الرجل { وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرِّعآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} القصص : ٢٣ بل وتمكين المرأة من الاكتساب والنساء بحاجة إلى التكسب والارتزاق نتيجة الظروف المستجدة التي تمر بها مثل هاتين المرأتين ابنتي الرجل الصالح . و أين هؤلاء من كتاب الله { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنّ أَبِي يَدْعُوكَ

لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} القصص : ٢٥ فالقيود الاجتماعية تمنع تعريض النساء للزواج من الرجال الصالحين أو مجرد مقابلتهم جريمة اجتماعية ما انزل الله بها من سلطان.

فلماذا لا نحرر المرأة من القيود الاجتماعية التي فرضت عليها نتيجة ظروف معينة لا تتلاءم مع الظروف الحالية التي يعيشها العالم ونصونها من الانحراف . فلا نجعل القوامة المطلقة عقبة امام تذليل تلك العقبات ، وكفانا ان نرد لها الحقوق التي اعطاها الاسلام ونسمح لها بحق العمل والمشاركة في التنمية كما للرجل بما يتناسب مع انوثتها ، وهي جديرة بان تحافظ على نفسها ودينها وقيمها وتدافع عن حقوقها دون وصاية مثلما دافعت خويلة بنت ثعلبة عن حقها ضد زوجها اوس بن الصامت الذي أرادها عن نفسها عنوة فامتنعت بعدما أن قال لها أنت علي كظهر أمي حينها ذهبت تشتكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن كان موقف الرسول المحافظ على الأسرة ، فنزل فيها قرآنا يعاتب الرسول صلى الله عليه وسلم دفاعا عن حق خويلة بن ثعلبة في الشكوى ضد زوجها (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) .

فالرجل قوام على أهل بيته وهو تكليف وليس تشريف اختصها الله بالرجال دون النساء بحسب تكوينهم الجسماني والتفرغ للعمل من اجل الإنفاق لأنه لم يفرض العمل على المرأة كما فرضه على الرجل ولكنه لم يحرمها من العمل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تمنعوا إماء الله المساجد) لان رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المرأة بأنهن شقائق الرجال أي نصف المجتمع فلا يمكن حرمانها من حقوقها تحت أي ذريعة أو حجة بان الغرب يريد تحرير المرأة المسلمة على غرار المرأة الغربية . فالقوامة مقيدة وليست مطلقة، فلا قوامة أو وصاية على عقل المرأة.

ولكن يحرص الإسلام اشد الحرص على تماسك روابط الأسرة ، لذلك كان يقول (خيركم خيرهم لأهله وأنا خيركم لأهلي) ، وفي المقابل كان يطلب من الزوجة طاعة زوجها حفاظا على روابط الأسرة وكان يقول (إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ،

وأطاعت زوجها ، قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت) ، لان الأسرة اللبنة الأساسية في المجتمع ونواته إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع .

أعود إلى الجزء الأخير من رسالة القارئة التي تقول فيها (ففي النهاية نحن بشر ويعترينا الضعف ، ولحظة الضعف تهدد الجبال) هذه العبارة التي تهد النفوس ، وتذكرني بمقالة قالتها امرأة حينما كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يتفقد أحوال رعيته ليلا وسمع من إحدى النساء مقالة تقول فيها (لولا مخافة الله لاهتز من هذا السرير جوانبه) فرجع سيدنا عمر إلى ابنته السيدة حفصة يسألها عن صبر المرأة عن زوجها فقالت له ثلاثة اشهر ، حينها أمر الجند إلا يمكثوا على الثغور أكثر من ثلاثة اشهر ويرجعوا إلى أهليهم . وكان السلف الصالح لايتحرج في عرض بناتهم على الصالحين منهم ، فالسلف الصالح أدرك حق المرأة ومكنها من اخذ حقها ، بينما نحن ضيقنا على المرأة تارة بحجة القيود الاجتماعية المحكومة بقيود دينية كحراسة الفضيلة والأخذ بالاحوط وتحريم الاختلاط لم تثبت فيها نصوص صريحة وإنما هي اجتهادات شاذة غير معتبرة ، وتارة باسم القوامة حتى تجاوزنا الحدود الشرعية بتلك الحجج وجعلنا من القوامة المقيدة إلى قوامة مطلقة بل ومفرطة حتى تحولت القوامة من دور أو من توزيع الأدوار بين الأسرة السلطة مطلقة أنقصت من أهلية المرأة ومكانتها وجعلتها تابعا لامستقلا وأهملت قضاياها الكبرى وتم التغاضي عنها .

المساواة ما بين الجنسين في الحقوق وتمكين المرأة من وجهة نظر الدين الإسلامي:

(إسلام المساواة والتعددية أين نلقاه ؟) :

موضوع المساواة ما بين الجنسين آخذت حيزا كبيرا من النقاش على المستوى العالمي ،وأنا هنا حينما أناقش مثل هذا الموضوع فأنني أناقشه بعيدا عن وجهات نظر العرف والتقاليد

وخصوصا الملتحفة بالآراء الدينية التي تسببت في أحداث صراع ما بين المجتمع الذكوري والأنثوي ، وحتى وجهة نظر الإسلام فان هناك عدد من المفاهيم ،وحتى مقالي هذا يعتبر احد تلك المفاهيم ، لان الحق المطلق فقط في الكتب السماوية المنزلة على رسل الله المعصومين من الخطأ وهم الوحيدون الذين يقدمون الحق المطلق بينما ما عداهم فان الحق لديهم نسبي بحسب مفاهيمهم لهذا الدين .

ويجب أن نفرق ما بين المساواة والتعددية فالله سبحانه وتعالى خلق الذكر والأنثى وخلق الفقير والغني لحكم إلهية عديدة من اجل التكامل والتعاون باعتبار أنهم مستخلفون على هذه الأرض وان عليهم أن يأخذوا بسنن الخلق التي خلقها الله سبحانه وتعالى لهم .

لذلك حينما يقول الله سبحانه وتعالى { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} آل عمران : ٣٦ { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... } النساء : ٣٤ وهي لا تعني عدم المساواة بل تعددية وتوزيع للأدوار من اجل تحقيق التكامل والتعاون .

ومثل هذه الفوارق قد أوضحها لنا رسول الإسلام في خطبة الوداع الذي افرد جزء كبير في هذه الخطبة للمرأة فقال صلى الله عليه وسلم (إلا واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عوان (أي أسيرات) عندكم ليس تملكون شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن ذلك فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إلا وان على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فإما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، إلا وأن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) رواه مسلم .

والكثير من المسلمين ومن غير المسلمين لا يفهمون معنى العديد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مثل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (يا معشر النساء فاني رايتكن أكثر أهل النار) وفي حديث أخر تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم إحداكن ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول

الله ؟ قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال: فذلك من نقصان دينها).

فقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم نقصان العقل بنصف شهادة الرجل بسبب أن المرأة خلقها الله عاطفية من اجل تربية الأطفال والصبر عليهم فسبب عاطفتها تلك جعل الله شهادة الرجل بامرأتين كي تذكر إحداهما الأخرى.

ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصبر الرجل على المرأة ولا يقيمها لان مثل تلك العاطفة ضرورية ومطلوبة في الأسرة ،ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج ما في الضلع أعلاه فإذا ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل اعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا) أخرجه الشيخان وفي رواية لمسلم وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وقال صلى الله عليه وسلم (لا يبغض مؤمن مؤمنة ، أن كره منها خلق رضي منها أخر) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (أن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله) رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم (خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) وقال صلى الله عليه وسلم (فاتقوا الله في النساء فأنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) رواه مسلم .

ولذلك فرض الله على الرجل الإنفاق على المرأة ولم يكلف المرأة بالعمل رأفة ورحمة بها، ولكن إذا أرادت المرأة العمل فلا يحق للرجل أن يمنعها فقال صلى الله عليه وسلم (إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها) رواه البخاري.

وكثير ممن يستشهد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة) رواه البخاري وهناك العديد من التفسيرات لهذا الحديث ترى بان هذا الحديث يقصد به الولاية الكبرى والبعض الأخر يقول أن لهذا الحديث خصوصية لان في كتاب الله امتدح

الله سبحانه وتعالى ملكة سبا التي أسلمت مع سليمان واقرها سليمان عليه السلام على ملكها .

كما أن قول الله سبحانه وتعالى في كتاب الله يساوي ما بين المرأة والرجل في قوله تعالى { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} التوبة : ٧١ وهذا الأمر لا يتحقق إلا في مجتمع مفتوح وكانت المرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيفة الحضور في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن هناك جدران فاصلة مثلما يعملها المسلمون اليوم في كثير من الأقطار، وقد أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته توجيه مهم جدا وهو أن القضية هي قضية تربية وإقناع لا قضية قمع وترهيب مثلما يحدث اليوم في التعامل مع المرأة في أجزاء كثيرة من أنحاء العالم الإسلامي.

بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع المرأة مثلما كان يتعامل مع الرجل فكان يزور النساء عند مرضهن وعن أم العلاء رضي الله عنها قالت (عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريضة فقال ابشري يا أم العلاء فان مرض المسلم يذهب الله خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة) .

فكانت للمرأة كافة الحقوق فقد أجارت أم هاني ابن هبيرة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أجرنا من أجرت يا أم هاني .

وكانت المرأة تشارك حتى في الحوار بحضرة الرجال فعن مسلم بن عبيد أن أسماء بنت يزيد الأنصارية أتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين أصحابه فقالت بابي أنت وأمي يا رسول الله إنا وافدة النساء إليك ، أن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فأمنا بك وبإلهك ، وأنا معشر النساء محصورات قواعد بيوتكم ، ومقضي شهوتكم ، وحاملات أولادكم ، ثم قالت فما نشاركم هذا الأمر والخير ؟ فالتفت إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال لهم: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها أحسن من هذه ؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم في رحالهم فاصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى) رواه مسلم
وعن انس قال (كان يغزو رسول الله بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى) رواه مسلم .
وقد قتلت صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم يهودي كان يتجسس على المسلمين في غزوة الخندق وقاتلت نسيبة بن كعب المازنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة احد وكذلك أم عمارة التي كانت تداوي الجرحى .
وكانت أم العلاء الأنصارية تعالج المرضى وعولج عندها عثمان بن مظعون حتى توفي ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بضرب خيمة لرفيدة الاسلمية لمداوى الجرحى بعد معركة الخندق وداوت سعد بن معاذ .
وكانت امرأة يقال لها الحولاء العطارة فكان صلى الله عليه وسلم يأنس لها ويزورها وكانت تبيع العطور وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته قال أين الحولاء العطارة؟ ويسال صلى الله عليه وسلم هل ابتعتم منها اليوم شئ ؟ .
وقد روى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ، ولا مملوك ، ولا شئ غير ناضح ، وغير فرسه ، فكنت اعلف فرسه ، واستقي الماء وأحرز غربه ، واعجن وكنت انقل النوى من ارض الزبير على راسي وهي مني على ثلثي فرسخ .
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال (طلقت خالتي ، فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال بلى جدي نخلك فانك عسى أن تضعي أو تفعلي معروفا) رواه مسلم ، كما جاءت ربطة بنت عبد الله الثقفية زوجة عبد الله بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت (إني امرأة ذات صنعة فأبيع وليس لأولادي

ولا لزوجي مالا فيشغلونني عن الصدقة فهل لي في النفقة عليهم أجرا ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لك في ذلك اجر ما أنفقت عليهم).

فيجب أن يعرف المسلمون قبل غيرهم حقيقة دينهم الذي يساوي ما بين الجنسين في جميع الحقوق والواجبات والتكاليف وان الفروق التي اقرها الإسلام ما بين الجنسين هي توزيع ادوار من اجل تحقيق التكامل والتعاون لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحرص على تماسك الأسرة التي هي لبنة المجتمع لأنها إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع .

الجدل حول مفهوم البدعة :

هناك فريقان يتجادلان حول مفهوم البدعة فريق وسع معنى البدعة وفريق أخر ضيق معنى البدعة ولكل فريق أدلته واقتباساته.

فالجدل يدور حول حديث كل محدثة بدعة وهناك آيات وأحاديث تبدو للبعض وكأنها متناقضة. فالآية{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ...} المائدة : ٣ وحديث أن الله يبعث على كل راس مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها.

يخلط البعض بين أصول الدين وفروعه ، فالأالدين.يقينيات لا تتغير بتغير الزمان والمكان بينما الفروع هي ظنيات تتغير بحسب الاجتهادات بحسب المكان والزمان .

ولا خلاف بين العلماء حول البدعة في غير الدين . ويرى العلماء أن البدعة هي التي تخالف أصول الدين ونصوصه والخلاف يتحدد حول البدعة المرتبطة بأمور الشريعة مما لا يخالف أصولها ونصوصها وقواعدها ومقاصدها الكلية بل اعتبرها الموسعون لمعنى البدعة بأنها قد تكون ممدوحة أو مذمومة مقياسها الاجتهاد والمبني على نصوص هذا الدين فإذا كانت موافقة لأصول الدين تكون بدعة حسنة وإذا كانت توافق نصوص الشريعة الكلية

وقواعدها العامة فهي جائزة ، والبعض الأخر اعتبرها سنة واجبة حتى وان لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بعكس الفريق الأخر المضيقون لمعنى البدعة التي يرونها بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، وفسروا معنى البدعة هي كل مالم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون وإذا لم يكن من هديهم فيجب تركه .

ولكن الحكم على معنى البدعة كحكم الضلالة يجب إلا يقتصر فقط على ترك السلف لهذه البدعة هو ضلالة بل البدعة المخالفة لأصول الشرعة ونصوصه هي الضلالة وليس كل ترك يقتضي التحريم كما يراها الفريق الثاني.

ولدى الأصوليين ليس كل نهي يقتضي التحريم بل أحيانا يكون النهي يقتضي الكراهة إلا إذا دلت القرينة على التحريم . وان كانت هناك فريق محايد يرى من الأفضل التوفيق إذا كان النهي يقتضي الكراهة والانتهاء حينما تدل القرينة على التحريم .

ويعرض حديث كل بدعة ضلالة على حديث أخر وهو (أن الله حد حدودا فلا تعتدوها ، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ، ولكن رحمة منه لكم ، فاقبلوها ، ولا تبحثوا فيها) رواه الحاكم وفي حديث أخر (ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله العافية فان الله لم يكن نسيا) وفي رواية فان الله لم يكن لينس شيئا ثم تلي هذه الآية (وما كان ربك نسيا) رواه الحاكم .

فالحديثين هنا يدلان على أن ما ترك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بيانه فهو في دائرة العفو والسعة فلا يجوز تحريمه لمجرد لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته الكرام إلا إذا دلت نصوص واضحة على تحريم ما شابهه وماثله . بل أن هناك أشياء لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم لايثقل على أمته فقال في احد أحاديثه (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا إمرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه) رواه مسلم وعن عائشة رضي

الله عنها قالت (إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب إن يعمل به خشية إن يعمل به الناس فيفرض عليهم) رواه الشيخان وبعد تلك الأحاديث فلا داعي التجادل في جزيئات لا تصاحبها قرينة تدل على حرمتها .

نقد العقل في الإسلام :

هناك كتب شهيرة لفلاسفة غربيين مثل كتاب كانط (نقد العقل الخالص) وكتاب سارتر (نقد العقل الجدلي) وكتاب ريجيس دوبري (نقد العقل السياسي) بالإضافة إلى كتب أخرى ناقشت نقد العقل الإنساني .

وكلمة نقد كلمة واسعة جدا، والإسلام دعا إلى ممارسة العقل والآيات كثيرة جدا التي تدعو إلى إعمال العقل الإنساني والى التدبر والتفكر في خلق الله {... أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ...}النساء ٨٢ { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...}العنكبوت : ٢٠ { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} الذاريات : ٢١ وينهى الإسلام عن جمود العقل والاكتفاء بالتقليد{... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} الزخرف : ٢٣ وحينما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من الاختلاف المؤدي إلى التفرقة قرى قول الله سبحانه وتعالى { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} المشركين :١٠٨ ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك عبيده تائهين، لان العقل الإنساني قد يتوه وينحرف عن الجادة فوجه الله سبحانه وتعالى هذا العقل نحو الاهتداء إلى الحق، فأرسل رسله بينوا لهم طريق الهداية {... كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً... } البقرة:١٠٩ {.... وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ...} البقرة : ٢١٣ أي إن الاختلاف لم يكن إلا بإتباع الهوى لان الرسل لم يأتوا بما اعتاد عليه الناس وإنما جاؤا بالحق وانتهى التشريع برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا } المائدة : ٣ وهذه الآية لا تعني إيقاف أعمال العقل بل تدل على نهاية التشريع بإرسال أخر الرسل إلى البشرية .

والقران الكريم استعرض آيات عديدة في كيفية إعمال العقل ،فحينما أتي الكافر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وادعى الإلوهية طلب منه إبراهيم عليه السلام إن يأتي بالشمس من المغرب { ... قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَالْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} البقرة : ٢٥٨ { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة : ٢٦٠ { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} غافر : ٥٧ { مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...} لقمان : ٢٨ { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ...} الروم : ٢٧ وقد قص الله علينا في القران قصة إبراهيم عليه السلام حينما كان يبحث عن خالق هذا الكون بإعمال عقله إلى إن هداه الله إلى الخالق الحقيقي { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَأوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الانعام : ٧٩ .

هذا إعمال العقل نحو الاهتداء إلى خالق هذا الكون ولكن هناك إعمال للعقل اجتهادا للخروج من التخلف التاريخي المزمن للحاق بركب الأمم المتطورة كي لا يحدث شد بين الإمام والخلف يتسبب هذا الشد في ظهور الإرهاب الفكري الذي يمارس ضد كل من يدعو إلى الاجتهاد والنقد ورفضهم اعترافهم بان لكل زمان تطبيقاته قد لا تصلح لازمنه أخرى ويؤكد هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث لهذه الأمة على راس كل قرن من يجدد لها أمر دينها، تيسيرا على الأمة حتى تتحرر من الجمود والتحجر وتصبح قادرة على

التعايش مع الأمم الأخرى ونشر دينها الغاية العظمى لهذا الدين ،ولا يمكن نشر هذا الدين من خلال الانغلاق والجمود والتحجر الذي يدخل الأمة في حالة من التعصب والتطرف والحروب الطائفية والمذهبية تمزق جسد الأمة لا تمكنها من نشر دينها الغاية العظمى والأمانة التي حملها الصحابة والتابعين بنشر دين الله في أصقاع المعمورة نتيجة حفاظهم على وحدة وقوة الأمة الإسلامية لأنهم اخذوا بالاجتهاد وإعمال العقل الذي حررهم من الانغلاق الفكري والجمود في جميع جوانب الحياة كانت كمقوم أساسي في قوتهم وصمودهم أمام القوى الأخرى .

نقد وتفكيك أسباب استمرار أزمة المسلمين:

إذا كان النقاد وفلاسفة الغرب نقدوا الحداثة الغربية واتبعوا نمطا تفكيكي واعيا لإبطال الخطاب الذي أقام الغرب عليه كل سلطاته على بقية الإنسانية وسماها الحداثة ٠ ومنهم جاك دريدا الذي جعل من التفكيك سلطة معرفية يحاول بواسطتها الكشف عن مكونات الحداثة الغربية واقصاءاتها وحيلها وهو مايسمى (نقد مابعد الحداثة) أو (مابعد البنيوي) لذلك فهو لايعتبر الديمقراطية حكم عادي بل هي مايجب أن يعمل من اجلها لكي يتحقق في المستقبل ولكن بعد تفكيك الحواجز التي توصل إلى تحقيق هذا الهدف وهذه الحواجز والتي لاتكمن في النصوص فقط بل أيضا في الأنفس البشرية وفي سلوكها إزاء الماضي والأخر وإزاء مايعتقد بأنه صحيح كما إزاء ماتعتقد انه خاطئ٠ إذا فالتفكيك نمط ديمقراطي وسلطة مرجعية جديدة ومنهج تحليل سياسي وقانوني بل طريقة في الحياة تتفق معها الاديان٠ فالنص عالم فسيح

فالمعقولات والحقائق هي مجرد تأويلات للنص ومدار النص هو الاختلاف والفوارق.

فالتفكيك يحرر النص ويوفر له إمكانات ودلالات ثرية.

هذا ماجعل دريدا ينتقد الحالة السياسية الأمريكية ذات النزعة البراغماتية خصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر التي كتب حولها احد كتبه الأخيرة بمعية الفيلسوف الألماني المشهور بروغن هارماس معتبرا فيه أن الإدارة الأميركية عاجزة عن محاربة الإرهاب الذي أصبح هو شكل الحرب الوحيدة الممكنة في عصر العولمة. لكن هل نستطيع نحن العرب والمسلمين تفكيك ونقد حالة التخلف والانحطاط الذي نعيشه بعد مااستوعبت الحضارة العربية الإسلامية الكبيرة التراث الإغريقي – الروماني وانتصرت عسكريا على ماعداها وكانت متفوقة على الغرب اقتصاديا وثقافيا طيلة عدة قرون من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الميلادي بعدئذ انهارت من تلقاء نفسها في القرن الرابع عشر تاركة الساحة فارغة للنهضة الأوربية وأصبح المسلمون في حالة جمود واجترار وتكرار حتى وصلنا إلى ماوصلنا إليه اليوم . ولكن لماذا حصل هذا الانحطاط ؟ لماذا حصل هذا الجمود بعد كل تلك الانطلاقة الحضارية الرائعة في القرون الأولى ؟.

من أسباب التخلف التي وصل إليها المسلمون هو التردد والتباين في إباحة اخذ العلوم عن الكفار هذا ماجعل الأوربيون يتفوقون عام ١٦٨٣ في فينا على الدولة العثمانية .

وانقسمت النخبة الإسلامية على نفسها فالبعض يدعو إلى الاستفادة من الغرب المتفوق وتقليده لأنه أصبح منارة حضارية ولكن الأكثرية عارضت ذلك وأرجعت سبب الضعف إلى التخلي عن تراث السلف الصالح وعن تراث

العثمانيين ولاتزال هذه المناقشة جارية إلى وقتنا الحاضر ولاننسى أن معظم موارد العرب بدلا من أن تكرس للتنمية أصبحت مكرسة لشراء الأسلحة والانخراط في صراع فرض علينا وعلى المنطقة ٠

هناك قراءات عدة تنطلق من زوايا مختلفة لتفكيك أزمة المسلمين في ظل تعاظم خيار التطرف والإقصاء والاستئصال وصعوبة فك الاشتباك بين الدولة والمجتمع، وكلما ازددنا عجزا تمسكنا بالماضي رغم انه من الواجب علينا أن نرد تراث الماضي إلى الظروف التاريخية التي نشأ فيها لمعرفة كيف تم توظيفه والقوى الاجتماعية والسياسية المحيطة به والتي أفرزته لنتحرر من التحجيم ولنتمكن من الاختيار طبقا لظروفنا وواقعنا الحاضر٠ ولكن ماحدث هو عكس ذلك فتأخر اجتهاد الانفتاح وتقدم اجتهاد الانغلاق حتى أصبحنا أمام غزو جديد من الخارج هو الغزو الفكري المتفوق والعلمي المتقدم والتقني المتسارع ٠

وأخفقنا في مصالحة الإسلام مع العصر والتوفيق بين الإسلام وحداثة الفكر الإنساني ثم بين الدين وحاجات الناس، بسبب أن الإسلام الإصلاحي اخفق أمام الإسلام الانطوائي المضاد لأي انفتاح على الفكر والثقافة الإنسانية والتي خرج من تحت عباءته التطرف ثم العنف المرادف بالتكفير والرافض للمجتمع والدولة والنظام العالمي الجديد بسبب أن الإسلام الانطوائي المنعزل يراوح بين الاعتدال المعلن والعنف المستتر وأصبح يفرض رقابة صارمة على حركة الثقافة والتعليم مما منح الجماعات الدينية مرجعيات تأسيسية عززت من الفكر الديني الانغلاقي ٠

وإذا تمكنت الجماعات الانغلاقية من إلحاق الضرر والأذى بالولايات المتحدة على الأخص وحليفاتها، فإنها فتحت الباب بأفعالها للقوات الأجنبية على

الدخول إلى عاصمة الخلافة العباسية والى كابل ويقف شارون وفلاديمير بوتين في موضع التقدير في الحرب العالمية على الإرهاب حتى أصبح ينظر إلى المسلمين بمزيد من الشك والاستياء بل والكراهية فدمرنا أنفسنا بأيدينا أكثر مما فعله الصليبيون والصهاينة بنا ٠

هناك حدود أخلاقية وحرب عادلة لاستخدام القوة وضعها الاسلام٠

وبعد الحادي عشر من سبتمبر استغل الإعلام العالمي الحدث استغلالا سياسيا تصنع الخوف ليملأ قلوب وعقول البشر بالرعب ، ويستخدمه مبررا ليقوم بما يريد القيام به من سياسات عنصرية وحروب إبادة وإعادة احتلال لبلدان مستقلة٠ وغزو بلدان إسلامية ونهب ثروات وتدمير مصائرها تزامنت مع عولمة الاقتصاد والثقافة التي استثمرت في نقل الخوف بدلا من نشر المساواة ومعالجة الفقر مما دفع جماعات أخرى نحو التطرف وأصبحنا في حلقة مفرغة لاتنتهي٠

متى نعود مرة أخرى ونقدم للعالم وللإنسانية مقدمته الحضارة الإسلامية في سابق عهدها والتي هي أساس الحضارة الغربية وسببها انتشرت العلوم باوربا٠وان تخلفنا سببه الرئيسي هو تخلفنا في اللحاق بأنفسنا وعلينا أن نتحول من فورة الصحوة إلى رشدها ومن ثم إلى اليقظة والوعي المنضبط الجماعي .

موازنة الإسلام بين تقويض اليقين وتبديد الشك:

وضع الإسلام حدودا لا يمكن تجاوزها عند تحالف علماء الدين مع السياسيين وكذلك عند تحالفات أخرى لكن ما حدث في أوربا عندما تحالفت الكنيسة مع السياسيين

اخترعوا تهمة الهرطقة وهي تهمة لكل من يخرج عن التفكير السياسي للسلطة والإذعان لها فاحرق كل من اتهم بتلك التهمة في الطرقات العامة من رجال دين وعلم وفلسفة حتى زمن الثورة الفرنسية في عصر التنويريين المشبعة بالفلسفة لم يكونوا أفضل من رجال الكنيسة حينما تولت السلطة السياسية مارست اضطهاد كبيرة ضد رجال الكنيسة وهو عكس ما فعله رجال الكنيسة في العصور الوسطى .

فإلغاء الدين ونزعة من كيان الأمة بالقوة هو نتيجة غياب العلاقة بين الفلسفة والدين أي العقل المشترك التي نجحت العديد من العواصم في ظل الدولة الإسلامية عبر العصور مثل بغداد ودمشق ومدن كثيرة غيرها وكانت مراكز ثقافية وتاريخية تميزت بالتنوع والتعدد الثقافي والعلمي ومراكز للترويح على المستوى العالمي ومراكز للتقارب والتعاون بين جميع الأعراف والأديان ما جعلها تحوي كنوزا ثقافية تحمل أكثر من ميزة وخصوصية ، وعندما ضاق التقارب والتعاون والانفتاح اتسعت الفجوة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي وعندما أهمل المسلمون الأخذ بالعلوم الفلسفية والعلمية والتي لا تتعارض مع الدين بل يدعو إليها القران الكريم في معظم آياته { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ } العنكبوت : ٢٠ { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} الحشر : ٢ والآيات كثيرة جدا في هذا الجانب .

فالدين والفلسفة حليفان وعندما يغيب احدهما تختل السطوة لكل منهما ضد الأخر فالدين علم الإنسان التمسك باليقين والفلسفة تنبه الإنسان إلى عدم الإفراط في اليقين خصوصا في الأمور الظنية حتى لا تتحول إلى يقيني تؤدي إلى الانغلاق الفكري والكثيرون كانوا يعتبرون أن الفلسفة تعارض الدين رغم أن الفلسفة في حقيقتها تقود إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وقد أوضح الله لنا كيف توصل إبراهيم عليه السلام إلى الإيمان بالله والوصول إلى اليقين بعد تبديد الشك { كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ...} الأنعام : ٧٥ .

ومن الخطأ الاعتقاد أن الفلسفة تستهدف الإيمان واليقين في حين أن الإسلام يوازن بين الإيمان الذي هو فعل قلبي وبين اليقين الذي هو فعل عقلي.

فالفلسفة هي إنعاش لفكر الإنسان ومنحه مساحة للتحرك الحضاري والإنساني في اتجاهات متعددة فالشك مقدمة لليقين مثلما شكك إبراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس حتى توصل في النهاية إلى فاطر السموات والأرض بفطرته التي أوجدها الله فيه .

ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى اليقين إلا بعد المرور بمرحلة الشك ولكن بدون الإفراط حتى ليصبح ممارسة غير مجدية وقد يقود إلى التشكيك حتى في ذات الله (أن الظن لا يغني من الحق شيئا).

فالشك قائم على تقويض اليقين مثلما أن اليقين قائم على تبديد الشك هذا هو ميزان الإسلام فتضخيم احدهما يتحول إلى كائن متوحش غير قابل للتبديل مما يؤدي إلى التأخر الحضاري .

فالفلسفة تؤدي إلى حماية الدين من سلوكيات التطرف والركون إلى الحقيقة الجامدة بل تؤدي الفلسفة إلى اللمعان الحقيقي للدين بدلا من المزايدة في عباداته فقط { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ...} المائدة : ٧٧ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) .

فالدين يصون الفلسفة من انسلاخات ثقافية في عمق المجتمع التي تؤدي إلى بوادر الهدم والفوضى فحكمة الإسلام وازنت بين تقويض اليقين وتبديد الشك مع حماية الإيمان بوصفه مصدرالطمانينة التي يلجا إليها الإنسان وقت أزماته ليبقى فاعلا وصابرا ومنتجا وحرا وأمنا وكذا عندما يتخلى الإنسان عن الإيمان فانه يفقد بوصلة اتجاهه ويصبح مثلما حصل للحداثة الغربية بسبب هيمنة التيار الوضعي المادي الإلحادي وبسبب فصل الفلسفة عن الدين بدلا من ترابطهما مما أدى إلى تشكل فلسفة دنيوية محضة فلسفة لا تهم بمعنى

الوجود والموت وما بعد الموت أي إحلال وجهة نظر الإنسان مكان وجهة الخالق عز وجل أي أنهم أرادوا تاليه الفكر البشري وهو ما أصابهم بالغرور وغلبة النزعة الفردية وإعطائها الأولوية على حساب الجماعة .

فالحضارة الحديثة بترت البعد الروحي عن البعد والإسلامي:نهما بعدان متكاملان وهنا مكمن الخلل في الحضارة التي حققت انجازات حضارية هائلة.

ماذا لو انتصرت العقلانية في العالمين العربي والإسلامي :

العالم الغربي مشغول بنقد الحداثة، أو تصحيح مسارها وغربلة نتائجها والعالم العربي والإسلامي يقف على أبواب ومشارف الحداثة بسبب الهوة السحيقة التي تفصل بين العالم الغربي والعالم الإسلامي.

الفرق بين الجانبين أن العالم الغربي جرب الحداثة مدة قرنين من الزمان بينما العرب والمسلمين تواقين لمعرفة ماهية الحداثة خصوصاً بعد استمرار تأزم العالم العربي والإسلامي ، وعدم تمكنه من مواجهة التحديات التي تواجهه بسبب نظمه التقليدية الاستبدادية والجماعات الدينية المتطرفة .

وان كان الغرب يعتبر الحداثة التي تعني انتصار العقل وإحلال العلم محل اللاهوت المسيحي ، فأصبح العقل هو الذي يوجه العلم وتطبيقاته فإذا كان اللاهوت المسيحي عائقاً أمام تقدم العلم فان الدين الإسلامي يحض على التقدم العلمي ولم يكن في يوم من الأيام سبباً رئيسياً من أسباب تخلف الأمة الإسلامية بل العكس في عدم الأخذ بأصول روح الإسلام الصحيح هو الذي أنتج جماعات إسلامية متطرفة أو جماعات دينية مسيسة ساندت أنظمة استبدادية وأعطتها الشرعية السياسية الجيد في الحداثة هو أن تحل دولة القانون

والمؤسسات محل دولة الاستبداد التي تعشش فيها البيروقراطية والرشادي والامتيازات الفئوية والمحسوبيات .

وجوهر الحداثة هو الاستقلالية التي نادى بها الإسلام منذ بداية الإسلام وحرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبوديته الخالق وحرره من كل القيود الأخرى.

فالعالم العربي حرب أيدلوجية القومية العنصرية التي يمقتها الدين الإسلامي.

حتى أصبح يسيطر على وعن الشارع الجماهير إيديولوجيات بعيدة عن روح الدين الإسلامي الصحيح بل وحتى على وعي أغلبية المثقفين هذا ما جعلنا ندخل في صراع مباشر مع قوى أكبر منا .

فالعالم العربي على الأخص عاش بين تغليب أحد الخيارين ويكتفي ويقتنع بالمستجد والمستنير بدلاً من المستبد الظلامي .

صحيح أن فلاسفة التنوير في أوربا وعلى رأسهم فولتير ودويدرو اختاروا المستنير فرييريك الكبير في بروسيا أو كاترين الثانية في روسيا رغم عليتهما على أمل إنهاء عصر الاستبداد حتى ولو كان مستنيراً حتى يجيء عهد الحريات الديمقراطية وحكم الشعب الناضج المستنير لا الطائفي القبلي كما هو حاصل في بلادنا العربية فهؤلاء الفلاسفة زرعوا البذور والأجيال التالية هي التي قطفت الثمار .

ويعرف الحداثة هابرماس بقوله أنها تعني تفكيك التصورات الأصولية للعلم وحلول التصورات العلمية والفلسفية محلها .

ولماذا لا نضيف نحن إلى هذا التعريف عبارة بما لا يتعارض مع ديننا الحنيف . فإذا ما انتصرت العقلانية في أوربا وتقدم الغرب بسببها ، فكيف لو انتصرت في بلاد العرب والمسلمين وهي منطلقة من ديننا من فلسفة الحداثة الأوربية فسيكون الفارق كبير بين الانتصارين فتحرير العقلانية الإسلامية ستحقق جانبين الأول التقدم العلمي والثاني تحقق العدالة البشرية والذي لم تتمكن الحداثة من تحقيقه على مستوى العالم بل حدث العكس وتسببت الحداثة في حربين عالميتين لان العقلانية في أوربا تحررت من كل القيود بينما في

العالم الإسلامي ستكون عقلانية مفيدة يصونها الدين من الانحراف كلما انحرفت عن المسار الصحيح.

متى يساهم العرب والمسلمون في النهضة الحديثة ؟ :

النهضة الأوربية الأمريكية أصبحت بحجم العالم حاليا . فهل نحن نستطيع أن نبلور نهضة عربية إسلامية بالقياس إلى مرجعيات أخرى غير النهضة الأوربية الأمريكية ؟ فالنهضة الأوربية الأمريكية تشكلت في أوربا بدءا من القرن الثامن عشر الميلادي وأصبحت مرغوبة من قبل الأمم الأخرى في العالم الكبيرة والصغيرة كالصين والهند وروسيا واليابان وغيرها من الأمم.

ولكن لماذا العالم الإسلامي لا يزال يستعصي عليها ؟ وهل يرفض هذه النهضة الحديثة لأنها قامت على الفلسفة المادية ؟ ونتخلى ونرفض منجزات تلك النهضة ومكتسباتها التي لاتقدر بثمن ؟ فإذا كانت النهضة الحديثة قد تعرضت هي نفسها للنقد والغربلة ودخلت عصر ما بعد الحداثة. وهل نستمر في رفض تلك المكتسبات أم نمارس نفس الدور في نقد تلك الحداثة وغربلتها وتأصيلها تأصيلا إسلاميا للاستفادة من منجزاتها ومكتسباتها

فالإسلام يعد بحق دين النهضة والحضارة والتقدم ، والإسلام استطاع بعقائده ومبادئه وتوجيهاته أن يكون امة قوية وسبق أن بنى حضارة تعد من أكمل الحضارات وارقأها.

فالإسلام ليس فقط قادرا على حداثة النهضة بل هو قادر على أن يشفي علل الإنسانية ويحقق لها ما تحتاجه اليوم من تأويل الكون تأويلا روحيا، وتحرير روح الفرد ووضع مبادئ توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحي.

فإذا كانت أوربا بنت حضارتها الإحداثية دون الاعتماد على الدين ، أي على العقل المجرد الذي أنتج ذاتا ضالة آخذت تبحث عن نفسها بين ديمقراطيات لا تعرف التسامح وكل همها استغلال الفقير لصالح الغني .

فحضارة الإسلام وحدها قادرة على إعداد إنسان عصري مؤهل لمواجهة النزعات المادية وتوجيه روحه إلى الحياة الروحية ويجعل النهضة تسير في طريقها الصحيح ويجنبها الوقوع في الإخطار التي وقعت فيها النهضة الأوربية.

ويحضرني مقالة للكاتب خالد القشطيني قوله (لم اسمع في كل حياتي في العراق غير إصابة واحدة بالكآبة ٠ لكنني أينما التفت في لندن أرى أناسا يعانون من الكآبة والهستيريا والشيزوفرينيا واسمع عن حوادث انتحار حتى بين الأطفال ٠ كم عرفت من بنات ذوات خريجات وجميلات ومدللات يقضين الليل في ارق وكوابيس والنهار

في دموع وبكاء وقلق لايستطعن الأكل ولا النوم ولايفكرن في غير الانتحار) فالحضارة ليست فقط أرقام وليست هي السعادة ونوعية الحياة ليست كمية الدخل ٠

ولن ندخل التاريخ فقط بل نحقق للعالم الخير والسعادة المفقودة في الحداثة الأوربية الأمريكية.

ضبط الممارسات الدعوية :

مع تزايد عدد الدعاة الإسلاميين في مشارق الأرض ومغاربها امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} الحج : ٤١

يستدعي ذلك إلى ترشيد العمل الدعوي وتأصيله بقواعد ضابطة .

فهناك بعض الممارسات الخاطئة من قبل بعض الدعاة خصوصا في تعاملهم مع الإحداث الجارية والمستجدات يستغلهم المتعصبون من الأديان الأخرى لتشويه الدين الإسلامي خاصة وأنهم يمتلكون فضائيات وإعلام مؤثر على الشعوب وواسع الانتشار.

وعند تعاطي بعض الدعاة المتحمسين وخصوصا عبر الفضائيات وموقفهم من الأخر ومن التداعيات السياسية مع تضخيم الجانب الوعظي على حساب البناء الفكري والشرعي والبعد عن أسس ومبادئ هذا الدين مثل عوامل الإنصاف مع الأخر والتعايش معه من خلال تبادل الآراء والتكامل وهي كلها مظاهر غائبة في العمل الدعوي.

فالعمل الإسلامي مطلوب ولكن في عصر العولمة والفضائيات يحتاج إلى ضوابط واليات ومنهج وعمل داخل مؤسسات تضبط مشاريعه ومسيرته من غوائل الانحرافات أو من ضغط وتوجيه السياسات والواقع والإعلام لان وسائل الدعوة غير توقيفية بل هي اجتهادية.

فتأصيل الممارسات الدعوية وضبطها بالقواعد الشرعية يمكن أن تخفف من الاحتقان بين الدعاة والتركيز على الأولويات وعلى مقاصد الشرعة الحنيف الوسطي.

وقد استطاع الإمام الشافعي في القرن الثاني الهجري من تقريب هوة الخلاف الواسعة بين أهل الرأي وأهل الحديث وان لكل منهما دليل وفق قواعد وأصول النظر والاجتهاد جعلت كل فريق أن يقدر ويفقه دليل المخالف ويعتذر له ويعذره. وقبول رأي المخالف التي أصلها في رسالته المشهورة (قواعد وأصول للنظر والاجتهاد) تحتاج إلى أن يطلع عليها دعاة اليوم ليعذر بعضهم البعض.

فالدعوة الإسلامية لابد أن تخضع بشكل مستمر لنقد الممارسات الدعوية خصوصا الممارسات التي يغلب عليها في بعض القضايا العواطف جدلا من الشرع والعقل أو تتحرك من خلال ردود الأفعال مما يبعدها عن الدعوة المؤصلة بأصول شرعية ، كما أن طبيعة التواصل العالمي يفرض عليها تأصيل الحوار الحضاري مع كل الفئات باعتبار أن هذا الدين

عالمي { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ... } سبأ : ٢٨ هذا إلى جانب تكثيف الحوار مع القريب المسلم من اجل تقوية الصف ونبذ الفرقة والفتنة .

فتطوير مدركات الفهم المعتدل من الامورالمهمة في العمل الدعوي كي يتحقق الائتلاف بين الدعاة أولا حتى لايكونوا سببا في تفرق المسلمين .

مابين الدعوة إلى الله والفتوى :

الكثير من الدعاة والعامة لا يفرقون بين الدعوة إلى الله والفتوى وأثر كل منهما على المجتمع.

ولو نظرنا إلى الدعوة فالرسول صلى الله عليه وسلم قال (بلغوا عني أية ولو حديث) ولكن عن الفتوى قال (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) .

فالفارق كبير جدا بين أهمية وأثر كل منهما على المجتمع ، فالدعوة إلى الله واجب على كل مسلم مقتدر أو مجرد يعرف آية أو حديث يبلغه إلى أسرته أو إلى قومه ، لكن الفتوى أمرها خطير ينبني عليها حدود وأحكام ومقاصد خطيرة لا يمكن أن يتلقى لها إلا أصحاب العلم المعروفين بل كان كبار الصحابة يتهربون منها إلى من هو أعلم منهم فكان ابن عمر من كبار الصحابة يقول (اتجعلونا معابر إلى جهنم) .

وفي زماننا هذا حددت الحكومات أماكن رسمية للفتوى تسمى دار الإفتاء بل أن هناك اتجاه يجرم ويعاقب الفتوى من غير المتخصصين.

وهناك من يرى سن تشريع لتحريم ومعاقبة من يفتون بغير علم ويثيرون البلبلة بين الناس عبر الفضائيات والانترنت وفريق آخر يرى عكس ذلك إلا إن هذه القضية لا تعالج بسن القوانين وإنما تتم من طريق التوعية للقائمين على أمر القنوات الفضائية وتعريفهم بأنهم يملكون وسائل سيحاسبون عليها أمام الله عز وجل وان كل كلمة تذاع

تحت مسؤوليتهم واستضافة ناس غير متخصصين في الإفتاء سيحاسبهم الله عليها بالإضافة إلى توعية المشاهدين ونصحهم بألا يأخذوا الفتوى إلا من المتخصصين لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه) .

والإمام مالك مفتي دار الهجرة عندما كان يأتيه ٤٠ سؤالاً كان يجيب عن خمسة منها ثم يؤجل الباقي حتى يتأكد من الإجابة الصواب .

فالفضائيات تختار من له جاذبية وحضور بغض النظر عن مؤهلاته أو إتقانه للفتوى ممن درس علوم الدين والفقه واشتهر بالتخصص في الفتوى أو حصل على إجازة شيوخ وليس بأجازة نفسه .

فظاهرة الدعاة الجدد يجوز لهم أن يلقوا المواعظ والخطب والنصح والإرشاد ولا يجوز لهم الإفتاء بالمطلق ولولي الأمر الحق بإصدار عقوبات تعزيرية إذا كان المباح يضر بالناس فمن باب أولى الفتوى التي تحدث البلبلة عند عامة الناس وخاصة جهلاءهم .

لان هدف شاشات الفضائيات تنتهج نهج الإثارة بغية جذب الأنظار بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى.

خطر مدرسة الرأي الواحد

مدرسة الرأي الواحد لا تعترف بالمقولة التي تنسب إلى الإموسعة.افعي رضي الله عنه : رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ويقولون رأينا الصواب وبقاعدتها هذه تنسف آراء كل المدارس والمذاهب الأخرى وتحاول أن تجيش الناس وتجمعهم حول رأي مدرستها لذلك تحاول هذه المدرسة أن ترفع الخلاف بين الناس ولا تسمح لرأي آخر بالبروز على رأيها .

ولا تعترف بأن الاختلاف في الفروع وفي الفقه ضرورة ورحمه وسعة . وبسبب شدة اعتدادهم برأي مدرستهم جعلهم ينكرون ويشتدون في تنكيرهم على من خالفهم الرأي وهم بذلك يخالفون اجتماع علماء الأمة على انه لا إنكار في المسائل الخلافية الاجتهادية إذ الآراء متساوية في نسبتها إلى الصواب والخطأ مادامت صادرة عن غير معصوم قد يكون بعضها أرجح وأقرب إلى الصواب من بعض ولكن تظل العصمة ممنوعة على أي مجتهد وهذا يجعل الصواب أو المرجح في زمن من الأزمنة يصبح ضعيفاً في زمن آخر لتغير المعطيات في الزمن الجديد عن السابق .

خطأ هذه المدرسة أنها لم تحسن الفهم عن الإسلام كما ينبغي وقد تبنت روح المذهب الظاهري دون أن تتسمى به فأخذت منه الجمود على ظواهر الألفاظ وإغفال الحكم والتعليلات للنصوص والتقييد بالنص دون النظر إلى ما يكمن وراء النص من علل ومقاصد .

فالدين الإسلامي يوجه أكبر العناية إلى معاصي القلوب وان لم يغفل الآداب الظاهرة ولكنها لاتبلغ أن يأبى في تركها للوعيد الهادر .

وهذه المدرسة تهتم أو تبالغ في التعصب الظاهري وتصل فئات من هذه المدرسة بسبب غلوها إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم ينطبق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصفهم " يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان " بسبب مبالغتهم في الأخذ بالأحوط وأصبحوا لا يرضون أو يقبلون التيسير طريقاً بل يذمون العلماء الميسرين ويتهمونهم بالتساهل في الدين والتهاون بأحكام الشرع فأصبحت البلوى الأقرب إلى السنتهم وأقلامهم .

يريدون أن تبقى الحياة كما كانت على عهد السلف الصالح مظهر ومخبأ رغم حرص السلف الشديد على تحريم شيء إلا ما علم تحريمه جزماً.

وتتجه هذه المدرسة إلى نهج التشدد في الأحكام وتميل إلى المتشددات أكثر من ميلها إلى الرخص وإذا وجد قولان متكافئان أو متقاربان أخذت بالأحوط وتركت الأيسر مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم (ماخير بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثما) ولا تؤمن بالمخففات الموجبة للتيسير على الناس مثل الضرورات أو الحاجيات التي تنـزل منزلة الضرورات متجاوزه قاعدة العلماء إذا ضاق الأمر اتسع والمشقة تجلب التيسير .

أنها بذلك تشوه صورة الإسلام المضيئة وتضر بالدعوة إلى الإسلام وتحويل الدعوة من العالمية إلى المحلية.

واستفحلت قضية التطرف والتشدد بين مجموعة من المسلمين الذين تبنوا أسلوب العمليات الانتحارية والبعض الأخر منهم امتهن العمليات التفجيرية كأسلوب للقتل ، على اثر ذلك حاول العديد من المفكرين المسلمين والغربيين أيضا معالجة جذور هذا الإفراط

تارة بالحل العقلاني وتارة بالحل التنويري والاستعانة بأفكار الفارابي وابن سينا وابن رشد وبقية فلاسفة العرب والمسلمين بالإضافة إلى فلاسفة الغرب التنويريين المشهورين من اجل مصالحة الإسلام بالحداثة ولم يدرك هؤلاء الفرق الدقيق بين المسلمين والإسلام على اعتبار أن الإسلام دين والمسلمون بشر يصيبون ويخطئون ويتفوقون ويتخلفون كغيرهم من البشر.

وقد حاول المفكر الفرنسي المسلم اريك جوفروا في كتاب خاص له باستلهام مشروع كبار متصوفة الإسلام وتنشيط الاجتهاد الروحاني ، لكن من يتمعن في منهج الإسلام يجد انه دين الفطرة ، وفطرة الإنسان التي خلقها الله تتكون من عقل وروح ،والإسلام أتى كي يخاطب العقل والروح في أن معا ، ولم يؤثر احدهما على الأخر ، لان مخاطبة العقل دون الروح يجعل العقل يتوه في التفاصيل التي قد لا يستوعبها ، ولم يخاطب الروح بمفردها كذلك حتى لا تميل نحو الرهبانية التي تتعطل بها الحياة التي نهى عنها الإسلام وحض الإنسان كخليف في أعمار الأرض {... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...} الملك : ٢ .

ولم يكتف الإسلام بمخاطبة العقل والروح بل جعل من الدين صيانة لهما من الانحراف وكي لا يطغى احدهما على الأخر من اجل أن تنتصر البشرية للحق على الباطل.

إذا لابد أن نواجه التحجر والتكلس بالمنهج الإسلامي المتوازن وبالجانب الديناميكي المضي والمستضئ من تراثنا الإسلامي الذي بنى حضارة استوعبت العالمين نداوي بها جراحنا وتخلفنا وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن ديننا بدلا من تحميل الغزو الفكري أخطاءنا، وان كان الغزو الفكري حقيق لكنه وجدنا بلا حصانة فكرية دينية وحضارية، لان القيم الإسلامية بعدما كانت ايجابية ديناميكية خلاقة للحضارات أصبحت سلبية تواكلية مضادة للنزعة الإنسانية والحضارية بسبب توقف وتكلس وتحول الاجتهاد الفقهي إلى قوالب شكلانية فارغة أو مفرغة من كل روح التي كانت موجودة عند السلف والتابعين، لأننا انشغلنا بالتوافه والشكليات ووضعناها في مقام الأصوليات حتى حل محل التسامح التصور

التشاؤمي اغرق مجتمعاتنا الإسلامية في التخلف والتقهقر والجهل بسبب العقلية التواكلية الاستسلامية المضادة لروح القران وجوهر الإسلام الذي صنع المعجزات .

فبعدما كانت الحضارة الإسلامية كونية النزعة ومنفتحة على الكونية والعالمية استوعبت كل الثقافات والحضارات وصهرتها وأخذت عصارتها وجعلت من الدين الإسلامي دين الحرية جعله المتطرفون دين العبودية، وبعدما كان دين التسامح والاعتراف جعلوه دين التطرف.

فجوهر الإسلام ديني وروحاني وأخلاقي وإنساني بالدرجة الأولى ولم يفرض الإسلام قيودا ولا أصفادا بل ألغاها (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم).

التعصب آفة خطرة :

دائما العقلية المتعصبة ما تكون عقلية انهزامية، وتشكل آفة خطرة، خطرها ليس فقط على مستوى الفرد بل تتعداه على مستوى المجتمع والوطن.

فالعقلية المتعصبة هي مأساة مركبة ، وحالة مأزومة تتجه بشكل تلقائي نحو العزلة والانطوائية ، ترفض وتكره كل ما يعارضها، ما يجعلها تمارس الإقصاء والتعنييف والتفسيق والتصنيف . وتعتبر كل جديد وكل غريب وأجنبي هو غزو فكري يستهدف الخصوصيات لذا هي تخشى على الهويات من الذوبان والضياع وتحارب كل جديد و حديث باعتباره غزو صليبي بهدف أمركة وتغريب العالم العربي والإسلامي

وكل أزمة عندها هي مؤامرة على الأمة وترفض كل ما يتعارض مع القيم والتقاليد وتعتبره عقيدة ومذهبا حتى وان لم يتعارض مع أصول الدين.

هي تكره نقد الذات ولا تؤمن إلا بالتسطيح والحلول القصيرة المجتزئة و السريعة ولا تعترف بالحوار وتستبدله بالتشنج ، وتعتبر كل مخالف لها ليس أهلا للنقاش معها ولا تتردد في رميه بالفسوق والعصيان . وحسن الظن لديها عملة نادرة ولا ترجح من الآراء إلا لعلماء تستسيغهم ، وتبدع جهابذة العلماء وهم بذلك يعكسون قاعدة كلما ضاقت اتسعت إلى قاعدة كلما اتسعت ضاقت ، وتجعل من الايدولوجيا نبراسا لها تهتدي بها في القضاء على الديمقراطية والتعددية وتعارض إنشاء المجتمع المدني باعتباره فلسفة علمانية تفصل الدين عن الحياة والدولة .

وابرز شكلياتها دعوتها الإغراق في التفاصيل والجزئيات وترقية بعض الظنيات إلى درجة اليقينيات ، واعتبار المختلف فيه إجماع يقيني خاص بها لا يجوز الخروج عنه .

أنهم تمركزوا في الزوايا الضيقة ورفضوا مجرد الخوض أو الدخول في البحث عن حلول لقضايا قائمة على اعتبارها مسلمات يصاحبها دائما تشنج قد يصل إلى التهديد بالإرهاب المسلح.

إذا فالعقلية الالمتعصب:يق إلى الغلو والتطرف وهي آفة خطرة على حاضر الأمة ومستقبلها، وتتغذى على إيديولوجيتها أجندات أجنبية هنا وهناك.

السلوك العنصري المتعصب :

يؤكد المؤرخ الأمريكي الشهير ريتشارد هوفستارد أن الإفراد والجماعات المتعصبة يظهر عليهم نمط حياة مختلفة عن الآخرين (البارانوي).

ويلفت إلى أن معدلات المرض العقلي ينتشر في الأماكن التي يشيع بين إفرادها التعصب العنصري وهو يرى أن كل متعصب مريض عقليا على عكس المريض عقليا ليس شرطا أن يكون متعصبا.

وخلصت الباحثة كريتش في أن التعصب لا يوجد في الغالب إلا بين الشخصيات التي تعاني من السادية ومشاعر العدوان والإحباط وهذه الشخصيات غير قادرة على فهم الآخرين وتعيش عالما مملوء بالشكوك الموجهة نحو أعضاء جماعات أخرى . وهذه الشكوك تجد متنفسا في إظهار هذا السلوك المرضي .

وتعريف التعصب عند كثير من العلماء على انه نقيض الحرية والتسامح وهو حكم مسبق من دون أي سند أو فحص لحقائق متاحة عن الموضوع الذي تم الحكم عليه من قبل المتعصب.

وينظر إلى المتعصب علميا على انه شخصية سلبية ولكن السؤال المهم كيف ينشأ التعصب ؟ فالكثير من العلماء يرجعها إلى التنشئة الاجتماعية والتي تمر بثلاث مراحل الأولى عند مرحلة التمييز بين إفراد الجماعات المختلفة نتيجة التعزيز التفاضلي إثناء عملية التلقي من أقاربه وخاصة الوالدين وبقية إفراد الأسرة ، والمرحلة الثانية هي مرحلة التوحد أي انضمام الطفل إلى الجماعة التي ينتمي إليها وتوحده معها ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التقويم وظهور علامات التعالي الناتج عن شعور بالنقص تبعا للحكم الذي يشعر به الطفل بان بقية المجتمع قد أصدر حكما سلبيا نحو الجماعة التي ينتمي إليها ، فتحدث لدى الطفل صورة نمطية عدوانية تميز سلوكه ويكتسب اتجاهات سلبية تجاه جماعات معينة .

وأنواع التعصب عديدة منها العرقية والقومية والدينية رغم أن جميع الأديان تنهى عن التعصب وتدعو إلى التسامح واحترام الأخر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول دعوها فإنها منتنة، وكان يقول أيضا أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم.

وبذلك فان الإسلام حارب الشخصية التي تذعن إلى الجماعة بطرق سلبية تنفس من خلالها عن المكبوت ومن مشاعر الكراهية والإحباط وعقد التفوق لأنها تكريس للأنانية وحب الذات تؤدي في النهاية إلى تبرير العدوانية مثلما يدافع الغرب عن إسرائيل حتى

أصبح التعصب أفكارا ومعتقدات دول وليست مقتصرة على الإفراد فقط . فنظريتا الصراع الواقعي والحرمان النسبي التي تقول أن المنافسة بين الجماعات لتحقيق مصادر قيميه معينة تنتهي إلى خلق التعصب وهو ما يحدث ألان من سيطرة الولايات المتحدة على مصادر النفط والتحكم فيها ومنعها من الآخرين المنافسين ، فغاب التنافس الحر وحل محلها التعصب ، وبسبب أنانيتها للحصول على مكاسب معينة جعلها تبرر عدوانيه مرضية وسلوك سياسي عسكري غير مقبول .

وتطلق الدول أو المجتمعات السلوك العنصري المتعصب إذا واجهت ظروف معينة وخوفها من دول أدنى أو مجتمعات تحتل مكانة تنافس الدول أو المجتمعات النافذة مثل الخوف من حضارات قديمة وعلى رأسها حضارة الإسلام. فحولت التعصب إلى تعصب ديني الذي أصبح أكثر أشكال التعصب رغم أن البحوث لم تثبت علاقة صريحة بين الدين والتعصب بل أن الدراسات تثبت عكس ذلك بان هناك تضاربا بين الدين والتعصب على عكس الأنواع الأخرى من التعصب مثل التعصب القومي والعرقي .

لكن اللجوء إلى التعصب الديني لان المتسلطون يشعرون بعدم الاستقرار الوجداني وشعورهم بعدم الأمان والقلق والتوتر الناتج عما يتعرضون له من إحباط مما يؤالنساء}.ى البحث عن كبش فداء ليحملوه مسؤولية فشلهم ويوجهوا له عدوانهم مثل الحرب على الإرهاب دون تفريق بين المقاومة ضد المحتل والإرهاب العبثي .

التشدد تشويه لصورة الإسلام المضيئة :

التشدد يضر بالدعوة ضرراً بليغاً ، فالإخلاص والتعبد لا يكفيان ، لأنهم بتشددهم يشوهون صورة الإسلام المضيئة خاصة مواقف التشدد من المرأة والتربية والتعليم والاقتصاد والسياسة وقضايا الحوار مع الآخر المختلف معهم في الدين والمذهب .

يمنعون عمل المرأة حتى لو كانت في أمس الحاجة هي وأسرتها إلى ذلك ويريدونها حبيسة البيت أسوة بنساء النبي ﷺ رغم أنهن اقر القرآن في قوله {... لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء...}الأحزاب : ٣٣ .ويرفضون قبول مذاكره الماوردي في أحكام السلطانة من جواز توليالسلف.ذمة وزارة تنفيذية . ويعتبرون كل اقتباس من الفكر الغربي هو أحداث في الدين وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلاله في النار حتى جعلوا تكوين الأحزاب أو الجماعات مخالف للدين وهم يعنون بالشكل أكثر من عنايتهم بالجوهر ويضخمون من الآداب الشكلية وكأنها من أركان الإسلام .

يريدون أن تبقى الحياة مظهراً ومخبراً كما كانت عليه في حياة السلف .

وكما يقول الشيخ القرضاوي تبنوا روح المذهب الظاهري وان لم يتسموا باسمه أو يدعو انتمائه ، ولكن أخذوا منه الجمود على ظواهر الألفاظ وإغفال الحكم والتعليلات للنصوص ونسوا أن الأمة رفضت مذهب الظاهرية وأنكر عليهم سائر علماء الأمة وقد اتفق علماء الأمة على تعليق أحكام الشريعة ووجوب رعاية المقاصد في الفقه والفتوى والقضاء .

فالتمسك بالحرفية في فهم النصوص وتفسيرها والتقييد بها، دون النظر إلى ما يكمن وراء النص من علل ومقاصد الذي ينبغي أن يحمل المطلق على المقيد حتى يزول اللبس ويستقيم منطق الدين بعضه مع بعض.

فالتشدد هو جنوح إلى التنطع والغلو وكما وصفهم الرسول ﷺ " يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) فهم يميلون إلى الرأي الأشد ولأحوط ويذمون الميسرين على الأمة الذي يحث عليها الإسلام بل ويرمون الميسرين بالتساهل في الدين ولا يأخذون إلا برأي واحد الأشد والأثقل ويكرهون الآراء الأخرى التي فيها رخص وتيسير على الأمة وأقرب شيء إلى أنفسهم الحرام مع أن السلف لم يطلقوا كلمة حرام إلا على ما علم تحريمه جزماً .

واعتبروا أرائهم صواباً مطلقاً ورأي غيرهم خطأ محض وهم يسمون بمدرسة الرأي الواحد . وتشددوا في الإنكار على المخالف اتسع، الرأي وهم ينكرون على المدرسة الوسطية بل يصل بهم الأمر إلى إساءة الظن المدارس في الأخرى وتبدعيهم وتفسقيهم وتجريحهم أسهل ما يكون .

فهم تناسوا قاعدة إذا ضاق الأمر اتسع ، والمشقة تجلب التيسير .

مواجهة الغلو على أساس أنه ظاهره مرضية وليست حتمية:

منذ عامين كان هناك اهتمام كبير جداً بالتحول الديمقراطي في البلدان والعصر،حظي باهتمام داخلي وخارجي كبير جداً ، ولكن في حلقة دراسية عالمية عقدت في القاهرة في منتصف شهر فبراير من العام ٢٠٠٧ م أكد فيها الدارسون أن برامج التحول الديمقراطي أصيبت بنكسة ، وإن الإدارة الأمريكية أصبحت مشغولة بأولويات أخرى خاصة بعد ما تأكد لها أن الترويج للديمقراطية استفادت منها النظم المعادية للولايات المتحدة .

هناك تحرك شعبي ورسمي واسع نحو التطلع لإصلاح إسلامي يوفق بين الأصل والعصر ، والتوثيق بين الصدام الطائفي السني الشيعي الذي اعتبر استمراره انتحار جماعي ينبغي تجنبه

ولاحظ القادة والمسؤولين في العالم الإسلامي تنامي وامتداد النموذج العراقي في أفغانستان ولبنان وفلسطين والصومال والسودان وقد يمتد ويطال دول أخرى في الجزائر والمغرب وخاصة بعدما نشطت جماعات القاعدة في المغرب والجزائر والانشغال الأخير للولايات المتحدة بتكوين حلف مضاد لإيران .

هذا ما جعل كل من وزراء خارجيته كل من دول إسلامية من بينها باكستان والسعودية ومصر وتركيا وماليزيا واندونيسيا وتركيا بالإضافة إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي جمعهم في لقاء ٢٦ فبراير ٢٠٠٧ م في إسلام آباد لاستكشاف منطلقات وأفكار جديدة لإنهاء الاضطرابات المتنامية في الشرق الأوسط خاصة وأن الباكستان تواجه ضغوطاً أمريكية كبيرة جداً في الاشتراك معها في محاربة الإرهاب الذي يقع على أراضيها وبنفس المطالب من قبل الهند ، لذلك قام برويز مشرف بزيارة تسع دول إسلامية في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا من أجل التعاون على إطلاق مبادرة جديدة في الشرق الأوسط وتبني تلك المبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز على تدشينها في مكة المكرمة .

فهل يسمح التحركان الرسمي والشعبي في تجاوز محنة تمر بها المنطقة ؟

إذا ماأردنا حل مشاكل المنطقة يجب أشراك جميع الدول والأطراف المعنية ولا يمكن استبعاد طرف بأي مصوغة كانت ولابد من توسيع شبكة الحوار مع جميع الأطراف بدء من الأخوان المسلمين وطالبان وحماس وحركات المقاومة للاحتلال وكل الحركات الشعبية وكذلك سوريا وإيران من أجل لجم أولاً أجندة الغلاه مهما كان خطرها وقوتها لأنها خطر على

حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها وعلى أجندتها يتغذى من الوجود الأجنبي وخاصة الولايات المتحدة ولابد أن ننظر إلى الغلو على أنه ظواهر مرضيه وليس ظاهرة حتمية يحتاج إلى تكامل مشترك ورشيد ينطلق من مصلحة الوحدة الإسلامية لا من مصلحة الولايات المتحدة تتزامن هذه الأجندة بأجندة أخرى لمعالجة أزمات الصومال والسودان ولبنان والحالة العراقية وأفغانستان ودعم مسيرة السلام في فلسطين مع إسرائيل كل ذلك من خلال وحدة المصالح المشتركة .

الإسلام واحدا ومتعددا:

أقيم مؤخرا في تونس ملتقى دوليا حول موضوع (الإسلام واحدا ومتعددا) بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور الألمانية وبمشاركة عدد كبير من الأساتذة المتخصصين من دول عربية ناقشوا تاريخ الإسلام الذي لا يخلو بوصفه دينا حيا من جدلية الوحدة وطلب التنوع.

هذا النوع من المؤتمرات والملتقيات يدور حول الحوار في الدين الواحد بمشاركة أصحاب الديانات الأخرى شاركت فيه جميع الفرق وكانت مشاركة الدروز الأولى من نوعها على الصعيدين العربي والإسلامي.

فالإسلام راعى الاختلاف والتنوع ولم يلغ الخصوصيات مثلما راعى الوحي التنوع اللغوي الذي كان سمة من سمات البيئة العربية القبلية المعقدة في عصر التنزيل وبعده ونزول القران على سبعة أحرف. وبما أن الدين الإسلامي أتى للناس كافة فمن الطبيعي أن يراعي التنوع والثراء البشريين على حد سواء فكان مشتملا على المحكم والمتشابه مواكبا للوقائع حاثا على التأويل والاجتهاد وان كان نهي عن تتبع المتشابه من اجل ابتغاء الفتنة بين

المسلمين { ... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ...} آل عمران : ٧ .

فعالم اليوم بحاجة إلى رؤية واقعية وعملية بعيدة عن رؤية التعصب والغلو المفضيين إلى تقويم الفكر الإسلامي واحتكار الحقيقة والمعرفة.

ومن اجل التقارب البشري والتخفيف من التوتر يبدأ أولا من التقارب الإسلامي وهو ما يشكل مفتاح التقارب والوفاق بين الأديان والحضارات.

فالإسلام كدين لا يمتلك أفقا محصورا واتجاها وحيدا وعند البحث العميق في تاريخ الإسلام وحاضره يمكن الحصول على صورة أكثر واقعية للإسلام.

فالنص القرآني واحد ولكن له تفسيرات عدة ويحظى حتى الآن باهتمامات إنسانية متعددة المشاريع والمشارب.لان النص المتوحد يتعدد ليفرض استمراريته ومغالبته لحركة الزمن .

السلفية منهج وليس مذهب

البون شاسع بين السلف الصالح وبين بعض من ينتمون إلى السلفية ، فمنهج السلف الصالح قائم على تعدد الرؤى متنوع المدارس ، بينما منهج بعض من ينتمون إلى السلفية الجمود المعتمد على منهج دعوي ينتمي لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوا في عصر قد خلا وتغيرت ملامحه ومعطياته بالكلية أدى بهم نتيجة التمسك بهذا الخطاب إلى التحجر والتكفير والتفسيق لكل من يخالف منهجهم ، وقد تسبب ذلك في ضياع شعوب ودمار بلدان لحق بالأمة الإسلامية أذى ما كان ليحدث لو أن منهجهم كان الأخذ بالأصول ومراعاة الحاضر المعاصر بدلا من اختزالهم منهج دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوة صحابته وأهل السنة والجماعة لان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن الإنكار على كل من خالف في الفروع .

ولم يراعوا تعدد الخطابات الدعوية بحسب حال الأمة وان لكل خطاب زمان ومكان ومعطيات ، وان الخطاب والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال ، لكن تحميل الناس على خطابات وفتاوى زالت حيثياتها ومعطياتها تحميل للسلف الصالح ما لا يحتملوا ، فمثل التحذير من الشرك ومن البدع قد يكون اليوم غير واقعي لان هناك وعي ديني في زمن عصر العولمة عن ذي قبل ، لكن ظهرت مستجدات نتيجة عصر العولمة منها اقتصادية

واجتماعية هي بحاجة إلى خطابات تتناسب مع تلك الظروف والأحوال تساهم في معالجتها بدلا من تركها تتضخم وتصبح خطرة على المجتمعات المسلمة .

بل أصبح حتى ابرز العلماء المخالفين لهم في الرأي في موضع شك وتنفير الناس منهم ، وقد يصل الأمر إلى اتهامهم بالجهل والضلال ورميهم باتهام بأنهم علماء سلطة ، ومن ابر أخطائهم إيرادهم للآيات دون مناسبة ولا ملائمة ، فأصبحت هناك خطورة شديدة جدا عندما تورد آيات عظام في أمور الخلاف الفقهي وهي مدعاة لنشوء فكر التكفير والتفسيق للمخالف .

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم شديدين الحرص في الاستشهاد بالآيات واستشهادهم بها في مواضيعها المناسبة لأنهم تربوا على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في احترام الرأي المخالف ، لذلك نجدهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أصبحت لديهم مذاهب ومدارس فقهية عديدة غير المذاهب الرئيسية الأربعة المشهورة ، لأنهم كانوا يلتزمون بقول الله سبحانه وتعالى { وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} النحل : ١١٦ .

وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم أن التحليل والتحريم في الذنب سواء حتى ولو كان من باب سد الذرائع وتغليب للسياسة الشرعية احتياطا.

وكانوا رضوان الله عليهم حريصون أيضا قبل التحريم أو التحليل أن يعرفوا حد المسالة المراد تحريمها أو تحليلها وما يخرج منها وما يدخل فيها كي يبتعدوا عن الجمود والتقليد.

فالتحجر بحجة إتباع السلف يجعلهم يرمون المخالف بالزيغ ومتبع للفتنة الذي يخالف المنهج السلفي الذي هو منهج تأصيلي رباني متكامل يعتبر مرجعا منهجيا لا مذهبيا للمسلمين من بعدهم الذي يحرص على الأخذ بالقيم الفكرية مثل الريادة والاستجابة والتحقق والتأكد والترجيح والمقاربة وقبول الأخر أيا كان .

فنحن بحاجة إلى إحلال الحقائق مكان الأوهام لان الأمة أصابها مغالاة في الاعتناء بالشكل في تطبيق السنة وإعلاء شان المظهر على المخبر والبعض لا يعرف من السنة إلا الصورة وفرض الأمور الخلافية الذي جعل من الواسع ضيقا وحمل الإسلام تبعات ما كان ينبغي له أن يتحملها وما يترتب عليه من تفكيك الأمة وتشتيتها ، لأنه كان عليه أن يتصالح مع العرف الذي لا يتعارض مع الدين ولا يليق النظر إلى الأمور في إطار المذهبية المحضة أو في إطار ادعاء الإجماع .

وهناك عداء غريب للسلفية ولإتباعها لا يمكن فهم أسبابه ، والسلفية هي منهج وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية كما في صحيح البخاري (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) والخيرية التي يقصدها الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث هي التطبيق ، وفي صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن الله إذا أراد رحمة امة قبض نبيها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها) .

ودافعت السلفية طوال العصور الماضية كمنهج عن طغيان العقل على النقل وكذلك وقفت حائلا ضد مصادرة النقل العقل ووقفت حائلا أمام طغيان الخرافات التي تقصي حقيقة الوحي والنبوة قد تكون هناك مبالغة من بين بعض الإتباع ولكن من الخطأ تحميل السلفية وزر الإتباع .

وحفظ الله سبحانه وتعالى هذه الأمة كما في الحديث (أن الله يبعث على راس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) لتطهير هذا الدين مما علق به من الخرافات والجهل أو الانحراف عن شرائعه .

ومن الغريب أن يساوي البعض بين الصهيونية ودعوة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي دعوة لم تكن موازية بقدر هي تنقية الدعوة المحمدية مما أصابها من البدع والخرافات وإحياء للدين الصحيح الذي أتى به الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا سبيل

لإيجاد نوع من التوازي أو التماثل وتشبيهها بالبروتستانتية التي انفصلت عن الكاثوليكية في القرن السادس عشر .

ولكن لماذا كل هذا التركيز على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دون الدعوات الأخرى في أنحاء العالم الإسلامي وهل لأنها خرجت من قلب الجزيرة وإحياء لدعوة جامعة فوق القبيلة والعرق والجغرافيا مكنت العرب من تخطي حالة التمزق القاتلة ، وجعلت علاقة الفرد العربي لا تتعين فقط بقبيلته بل بدينه كفكرة جامعة وموحدة تساوي جميع الإفراد أمام منظومة أخلاقية وسلوكية جديدة حلت محل المعايير القبلية التي فرقتهم ووضعتهم في مواجهة دامية ونقلت السلطة من شيخ القبيلة إلى سلطة الدولة وتبقى سلطة الدولة ببقاء الدين وظهور هذا الدين بقوة سلطة الدولة هذا النموذج الذي يفوق أي نموذج بشري أخر تشربه العرب وأصبح دين يعبدون الله به وحملوه كرسالة نقلوها إلى إرجاء العالم خارج ارض الجزيرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فإحياء هذا النموذج على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب يحبط مخططات الصليبيين الهادفة إلى غرس الطائفية والمذهبية في بلاد العرب لأنها الوسيلة الوحيدة للهيمنة عليهم وعلى بلادهم.

دعوة إلى تصحيح صورة ابن تيمية والسلفية عندا لإعلاميين العرب والمسلمين قبل غيرهم:

نجد أن الإعلام الغربي قد نجح في استدراج بعض الإعلاميين العرب فنسجوا على نفس المنوال الغربي، واتهموا علماء الأمة وأئمتها بالإرهاب والفاشية بغير حق،

يقول الله سبحانه وتعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا...} فصلت : ٣٣.

وهذا التجنى أن دل على شيء فإنما يدل على جهل شديدي بأئمة السلف وحقيقة الدعوة السلفية ، أن لم يتعمد الإساءة إليه والطعن فيه .

ولم تكن الدعوة السلفية في يوم من الأيام مصدر للعنف والإرهاب وترويع الآمنين. وهذه الحركات التي ظهرت في عصرنا الحاضر ماهي إلا حركات دينية متطرفة تحاول أن تطمس معالم جذورها الضاربة في والاجترار.ئد الضالة للخوارج .

وان كان هناك تأويل حرفي للنصوص متزمت في الآونة الأخيرة وكان سبباً في دخول عصور التكلس والتحنط أو التكرار والاجترار .

إما التجني على أئمة السلف الكبار كابن تيمية وابن القيم فإنما يدل على جهل شديد لهؤلاء الأئمة الإجلاء ولا ذنب لهم بما يحصل هذه الأيام من تشدد وتزمت وإنما هو من صنع المتأخرين .

وهؤلاء الأئمة تنطبق عليهم الحكمة المشهورة التي قالها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال) على قاعدة (كل منا يؤخذ منه ويرد عليه) وتعنى أن الكمال لله سبحانه وتعالى وليس هناك معصوم في هذه الدنيا .

ويكفي لدرء ماأثير حوله من شبهات أن نورد بعض نصوص من كلام ابن تيمية تدحض مناسب إليه زوراً وبهتاناً دون التيقن والتأكد ، والاكتفاء بالتعميمات التي تلقى على عواهنها دون تدقيق أو تمحيص .

يقول ابن تيمية " أن مجرد وجود البغي من أمام أو طائفة لا يوجب قتالهم ، بل لا يبيحه ، بل من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائر الظالم يؤمر الناس بالصبر على جوره وظلمه وبغيه ولايقاتلونه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في غير حديث ، فلم يأذن في دفع البغي مطلقاً بالقتال ، وأمر بالصبر) .

وعلل ذلك لان قتالهم فيه فساد أعظم من فساد ظلمهم ، وفيه فتنة وشر أعظم من ظلمهم ، فالمشروع فيه الصبر (انظر الاستقامة لابن تيمية ، ٣٢/١، ٣٤/١ ، ٣٦/١) .

كما أن اتهام السلفية بأنها دعوة للاستقالة من الحاضر والمستقبل، والتحاقاً بالماضي بفكره وشخوصه وفعله. وبذلك يتهم هؤلاء السلفيون بأنهم يغتالون المستقبل لصالح الماضي ، ومهاجمة شيخ الإسلام بن تيمية في بعض المقالات بلا عقلانية شيخ الإسلام ، وان الدراسات التي تعالج فكر ابن تيميه إنما هي دراسات تروج للفكر اللاعقلاني وتنشر الخرافة .

ولكن هل حقاً أن ابن تيميه السلفي المحافظ على نقاء العقيدة هو عدو لعلوم التقدم ؟

ولكن كل علماء السلف السابقين ما ضويين ، ولكنهم كانوا مستقبلين في آن واحد ، وهم الذين حملوا راية الانفتاح الحضاري ودعوتهم إلى الاهتمام بالعلم التجريبي والعلوم الطبيعية والرياضية بغض النظر عن عقائد أصحابها .

ابن تيميه صحيح انه كفر الفلاسفة ولكن كان هجومه منصباً على آرائهم المتعلقة بالإلوهية فقط . بل أعلن موقفه واثني على جهودهم في مجالي العلوم الطبيعية والرياضية وان موقف الفلاسفة في هذين المجالين أصوب من موقف المتكلمين الذي أعرضوا عن الطبيعيات والرياضيات.

فهو يقول (ونحن لانقدح فيما علم من الأمور الطبيعية والرياضية) ولم يرفض علومهم برمتها ، بل استصوب العلوم الطبيعية والرياضية واستنكر كل محاولة للطعن من جانب المتكلمين ، مثل إنكارهم لكثير من المسائل الرياضية والفلكية كاستدارة الفلك وغيرها ، فهذه العلوم عقلية محضة وليس فيها تقليد لقائل ، وإنما تعلم بمجرد العقل ، ويجب التحاكم فيها إلى موجب العقل الصريح (الرد على المنطقيين لابن تيمية ، ص ٣١١، ١٠٥ ، ٢٠٨).

ويعترف ابن تيمية بجهود أرسطو وإتباعه في العلوم الطبيعية ، فيقول (لهم في الطبيعيات كلام غالبه جيد ، وهو كلام كبير واسع ولهم عقول عرفوا بها ذلك ، وهم

يقصدون الحق ، ولايظهر عليهم العناد ، لكنهم جهالة بالعلم الإلهي إلى الغاية ، ليس عندهم منه إلا قليل ، كثير الخطأ) .

واعتبر ابن تيمية العلوم الرياضية يقينيه لأنها علوم برهانيه ، سالمه من الفساد لايدخل فيها غلط ولا تحتمل التناقض وهي ضرورية في العلم وواجبه القبول (المرجع السابق ، ص١٤٣) .

كما يرى ابن تيميه أن الأطباء والمهندسين من أذكياء الناس ، ولهم علوم صحيحة طيبه وحسابيه ، وان كان ضل منهم طوائف في الأمور الإلهية ، فذلك لاستلزم أن يضلوا في الأمور المتعلقة بالعلوم الطبيعية كالطب والرياضة كالحساب (منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٤٥٨/٢ – ٤٥٩) .

فإذا هو عالم السلف يعترف لخصومه في مجالات العلوم الطبيعية والرياضية التي هي من أهم عوامل الازدهار الحضاري ، وشهد لمخالفيه بجهودهم الايجابية المثمرة ولم يمنعه تكفيرهم في المسائل الاعتيادية والمطالبة بالانتفاع بعلومهم التجريبية الاستدلالية لأنها لتتعارض مع الدين .

هذا كان ابن تيميه لم ينكر الفكر الفلسفي بكليته خاصة الذي لايتعارض مع الدين فان سبب انحطاطنا اليوم هو بتر الفكر الفلسفي وتجريمه وتكفيره على مدار قرون طويلة . والتدين بدون بصيرة أو فكر عقلاني أعمى ، قد يؤدي إلى أبشع أنواع التعصب والتطرف وان كان مقصده نبيل هو الحرص على نقاء عقائد المسلمين من ضروب الشرك الظاهر والخفية ومن البدع والمنكرات والعودة بكل جوانب حياتهم الدينية إلى أصولها في الكتاب والسنة ، وهي دعوة حق وأس في كل إصلاح .

أن التشدد في التصور وبساطة النظر إلى الواقع والانصراف عن فقه المقاصد وفقه المصادر مع ضعف التأهيل لمثل هذه المهمة فشوا فكر التشدد والتكفير واستخدام القوة في غير موضعها فما كان له بالغ الضرر على دعوة الإسلام في بواطن كثيرة. ويخشى أن نفس

الأسباب ونفس الأفكار تقود إلى نفس النتائج وبالخصوص مع الحرب المتواصلة على دعاه الوسطية والاعتدال وعلى سجيتهم.

بعد هذا العرض كيف يمكن أن نصف عالم السلف ونتجنى عليه ووصف فكره بأنه لا عقلاني. ونحمله مسؤولية التخلف العلمي ، وانه داعية إلى الجمود وانه ينشر الخرافه ؟ وسار تلميذه ابن القيم على نفس المنهج السلفي وتوليبذلك.حراسة العقيدةبذلك.تها من المؤثرات الداخلية وكتبه المختلفة تشهد له بذلك .

وبدلاً من اتهامهم والتهجم عليهم فلماذا لانكون أندادا لهم نحاورهم ونتعلم منهم دون أن نقلدهم ، بل نوافقهم ونخالفهم أيضاً ؟

وقبل أن نطالب الغرب بتصحيح صورة إسلامنا وعلمائنا المشوهة ينبغي علينا أولاً أن يصحح الإعلاميون العرب والمسلمين صورتهم عنهم .

أن الدعوة العودة بالدين إلى أصوله كلمة حق وأصل ركين إلا انه قد خالطها أحياناً عند بعض الدعاة تشدد وغلو بلغاً حد تكفير المسلمين واستباحة دمائهم بفتاوى مستنده إلى نصوص مبتسرة لم يشهد لها جمهور الفقهاء قديماً ولا حديثاً وتعاملت مع النصوص الدينية وإصدار الإحكام التي وسعت كثيرا من دائرة المحظور في الشريعة على حساب دائرة المباح الواسعة أصلا ، وإنها اعتمدت على النص لكونها أضافت مصادر غير نصية في التشريع كالاستدلال والإجماع والقياس وغيرها · وهو ماضيك مساحة الحرية الإنسانية وأضفى على الإسلام صبغة تاريخية غير قادرة على التواؤم مع التقدم الحضاري والمستحدثات الإنسانية السائدة في عالم اليوم . وقد تتأسس عليها مناهج متشددة في التغيير تسرع إلى تكفير المخالف وهدر دمه وسائر حقوقه ، وهو ماأضر بالدعوة أيما إضرار وجعل بأس المسلمين بينهم ، كما زج بالأمة الإسلامية في معارك استعدت عليهم الأمم ، لم يجن الإسلام منها وأهله غير تشويه الصورة والسمعة والحصار والاحتلال ودعم مؤسسات القمع على كل الأصعدة مما لم يفد منه غير أعداء الإسلام .

الإمام المجدد محوالتقليد:الوهاب.. ثورة على الجمود والتقليد :

ظهرت دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حقبة زمنية بلغ فيها الانحطاط الفكري مبلغه ، واختلطت السنن بالبدع والخرافات ،وغلب التقليد على الإتباع ، مع غياب سلطة إقليمية ترعى شؤون الناس وتمنعهم من الاقتتال القبلي والصراعات الثأرية في بيئة محدودة الموارد تطبق مبادئ العدالة والشريعة وفق دولة القانون لا وفق شريعة الغاب السائدة في نجد آنذاك أو وفق شريعة العرف القبلي الذي لا تخضع له كل القبائل وكل الإفراد.
ويدرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن أي حضارة لا يمكن أن تقوم في ظل عرف قبلي ،وان الرسول صلى الله عليه وسلم أسس المدينة المنورة كعاصمة للدولة الإسلامية ،أي أسس دولة القانون التي تحكم بحكم الشريعة لا بحكم العرف والتقاليد التي تغلِّب التبعية والتقليد على حكم الشريعة التي تحرر الإنسان من كافة القيود التي تعيق تقدمه وبناء دولة ذات سيادة وذات جيش يحمي الأمة من أي اعتداء كي يتفرغ الفرد للتنمية بدلا من أن ينشغل كافة الإفراد بحماية قبيلته من الاقتتال القبلي التي هي سمة الجاهلية وسمة شريعة الغاب وعادة ما ينتصر فيها القوي على الضعيف بينما الدولة تحمي الضعيف والقوي وتساوي بينهما تحت مظلة القانون.
ومن خلال زيارات الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمكة لأداء فريضة الحج اكتشف أن وحدة الأمة ووحدة المصير المتمثلة في حج الناس في لباس واحد وتجمعهم كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد لا فرق بين غنيهم ولا فقير جسدت لديه تصورا جديدا تكوين الوحدة بناء على كلمة التوحيد التي هي مصدر القوة تقضي على التشتت والتفرق السائد في نجد .
فأطلق صيحة كبرى مدوية في الجسد الناعس ليبعده عن عصبيات القبيلة التي تتعارض مع روح الإسلام والتي تساهم في التفكك والتشتت ، وبادر إلى تطبيق قاعدة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر التي تصلح الاعوجاج السائد لإصلاح المجتمع وإبعاده عن البدع والخرافات السائدة آنذاك .

فمشروعه الإصلاحي هو قيام مجتمع إسلامي موحِّد وموحَّد ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال تكوين دولة قوية وسلطة موحدة تحل مكان السلطات القبلية المتعددة التي تتناحر وتتقاتل على فقر البيئة ويزيد من فقرها ويعزز من هجرة القبائل إلى خارج الجزيرة بسبب الوضع السياسي السائد آنذاك .

والدولة التي كان يطمح لها الإمام المجدد دولة تقيم العدل وتطبق الشريعة الإسلامية تذيب من خلالها الفوارق وتعزز لقيام دولة حضارية تحكم بالقانون بدلا عن العرف القبلي السائد في ذلك الوقت والذي قد لا تخضع له كل القبائل أو كل فرد في القبيلة بينما حكم الدولة ملزم لجميع القبائل ولجميع الإفراد دون استثناء احد مهما بلغت مكانته ، وتحل الدولة مكان تعدد الإمارات وتنهي تعدد الولاءات .

وكان الإمام المجدد على عكس غيره يركز على الكليات أكثر مما يركز على الجزئيات ، ويركز على الجوهر أكثر مما يركز على القشور والعوارض يلتمس في كل ذلك الحكمة مما أهلته أن يقود ثورته التصحيحية لمدة ستون عاما كان وعيه وعي كوني استلهمه من الجذور الإسلامية التي تلقاها خلال فترة سفره مكنته من تكوين ثورة إصلاحية قابلة للحياة .

وعاب الإمام على بعض علماء الدين غلظتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واعتبرهم بأنهم مخطئون في ذلك وهو ما يؤدي إلى التفرقة وذكرهم بقول الله سبحانه وتعالى { يا أَيُّهاَ الّذِينَ آمَنُواْ اْتّقُوا اللّه حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنّ إِلاّ وَأَنتُم مّسلِمُونَ .واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرّقُواْ} آل عمران : ١٠٢.

هذا هو جوهر المشروع الإصلاحي الذي تبناه المجدد الإصلاحي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،بينما هناك جهات شوهت دعوته الإصلاحية وتزييفها ،بينما هو من رأى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يتم إلا تحت مظلة دولة تضمن حفظ مقاصد

الشرعة ومصالح العباد ،ودائما ما كان يرى أن المصلحة لا تتم إلا من خلال الاجتماع على ولاة أمور يتولون القيام على أداء الأمانة وهو جدل لا يزال قائم اليوم ويثير إشكاليات كبيرة أخرت اندماج المجتمع في المجتمع العالمي بل أعاق تنميته وهو ما جعل خادم الحرمين يعيد هيكلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تستمر في الخط الإصلاحي الذي تبناه أمام الدعوة .

فأثيرت حول الدعوة الإصلاحية الكثير من الشبهات والنقد من قبل خصومها أو من قبل المنتفعين في ذلك الوقت بشكل متعمد لأنهم حرموا من تلك المنافع أو من قبل الإتباع بشكل غير متعمد بل نتيجة فهم وإتباع خاطئ أو قد حكم على الدعوة الإصلاحية من خلال الإتباع وليس من خلال خطوات الدعوة الأصلية التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب .

والحقيقة أن الدعوة تعرضت للكثير من التحريف والتشويه واتهمت زورا وبهتانا بان الشيخ ينكر أمورا معلومة من الدين بالضرورة كالشفاعة وكرامات الأولياء وكرست الصهيونية العالمية المساهمة في تعزيز مثل هذه الافتراءات عن طريق مذاهب إسلامية مناهضة للدعوة الإصلاحية حتى يزداد الهجوم على هذه الحركة التصحيحية لتقوية الانقسام المذهبي في المنطقة، وهذه الحركة التصحيحية هي نتاج تحالف بين حركتين دينية وسياسية نتج عنها قيام دولة استمرت حتى يومنا الحاضر تحمي الحرمين الشريفين وأصبحت محور ومرتكز العالمين العربي والإسلامي وفاعل دولي.

المسلمون بين التقسيم وصراع الأدوار

تكفل الله سبحانه وتعالى ببقاء وحفظ هذا الدين بل وحماية استباحة بيضة المسلمين كذلك ، لكن يبقى باس المسلمين فيما بينهم إذا ابتعدوا عن الأخذ بأوامر الله في النهي عن الاختلاف والتفرق (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) يمكن إن يصبحوا لقمة سائغة أمام المتربصين من غير المسلمين ويصبحوا أمام اعتداءات متلاحقة ولا يمكن إن ينصر الله المسلمين وهم في حالة تفكك وانقسام لان التوحد شرط أساسي لنصرة الله المسلمين والقدرة على الدفاع عن أنفسهم { ... إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ...} محمد : ٧ ورغم الاعتدات المتوالية على المسلمين نتيجة تفرقهم وانقسامهم فانه لن يصيب عقيدتهم بل هو أذى في النفس والمال { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى... } عمران : ١١١ فيبقى العدو الأكبر هو من داخل الأمة الإسلامية ويصبح باسهم فيما بينهم بسبب انقسامهم وصراعهم على الاستئثار بادوار هي على حساب وحدتهم وقوتهم لان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ....} الحجرات : ١٠ فالانقسام المذهبي والطائفي أصبحت أدوات يجيدها السياسيون في تحقيق أهدافهم الخاصة على حساب جسد الأمة الإسلامية رغم إن هذا التنوع هو إثراء وقوة لكنه أصبح العكس وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من الانقسام الطائفي فقال (لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى) وقال صلى الله عليه وسلم (سلمان منا أهل البيت) وفي نفس الوقت قال لسلمان الفارسي لا تبغضني فقال يارسول كيف ابغضك فالمح إليه صلى الله عليه

وسلم بعدم النيل من العرب والتقليل من قدرهم وكان يقول عمر بن الخطاب (لا تذلوا العرب فأنهم مادة الإسلام) .

ويعاني المسلمون من صراع بين الفكر القومي والتيارات الدينية حتى أصبح المسلمون أكثر الأمم استهدافا للتطويع والانصياع وزرع الفوضى الدامية بين المسلمين وتوحي لهم بان هناك هجمة فارسية مدعومة بنزعة ثورية قومية على العرب تتزامن مع إحياء الشقاق المذهبي على مستوى دول المنطقة أشعلت فتيل النزعة القومية والشعوبية والمذهبية والطائفية وكان المسلمون نسوا قول الله { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...} الحجرات : ١٠ ونسوا إن المؤمنين في الماضي صنعوا حضارة الإسلام وهم جميعا مكلفون بتبليغ رسالة الإسلام إلى العالم بدلا من الانشغال بصراع داخلي لا يستفيد منه إلا أعداء الإسلام .

فالصراع على الأدوار أوجد خطابين على الساحة خطاب غروبي وخطاب غير غروبي وليس فقط على الساحة بل أحيانا في الدولة الواحدة خصوصا إذا كامن مغلف بغلاف ديني ومذهبي أي إن الوعي أصبح منقسم تحت تأثير انبهار الآلة الدعائية التي تحاول إن تهيمن على الوعي ألشارعي وخطفه كرهينة في زمن العولمة تستخدمه كورقة ضغط على الجانب الأخر والخاسر الوحيد هي وحدة المسلمين .

كيف يتعايش المسلمون في الغرب :

لكي يخرج المسلمون في الغرب من حالة التهميش السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي إلى المشاركة الفعالة في الحياة العامة والمشاركة في الانتخابات وإسماع صوت المسلم المعتدل غير المتطرف الذي يعارض الديمقراطية .

ومن اجل المشاركة في تلك المجتمعات لابد أن يتعايش ويتقبل العلمانية الغربية الغير متعصبة التي تحارب الأديان بل على العكس من ذلك يمكن للدين الإسلامي أن يتغلغل وينمو في ظل الحرية والحقوق التي تكفلها العلمانية للمسلمين.

ولابد أن يتخلى المسلمون عن شرط تطبيق الشريعة الإسلامية في الغر ب وينطلقون من قول الله سبحانه وتعالى { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} الكافرون : ٦ ويأخذوا بالأولويات أهمها أركان الإسلام الخمس حتى يصبح للمسلمين وضع قوي يتفهمهم الغرب ويطمئن إليهم ويفرق بينهم وبين المتطرفين بل عليهم هم أنفسهم محاربة التطرف ليس فقط لصون أنفسهم وحمايتها بل أيضا لصون سمعة دينهم وإيصال حقيقة الدين الإسلامي السمح القائم على العدل والرحمة والوسطية الذي هو نور وهداية .

فالمسلم في الغرب يبتعد عن التمسك بالتفاصيل ويبدى بالأصول والأركان التي ليقوم الدين إلا بها .

ولابد أن يدرك المسلم في الغرب أن العلمانية هي نوعين نوع تنادي بفصل الدين عن الحياة ونوع أخر ينادي بفصل الدين عن الدولة ولا تريد أن تستخدم الدين كستار لتحقيق إغراض سياسية وهذا دأب الحكومات الإسلامية منذ العهد الأموي والعباسي إلى يومنا هذا في العالم الإسلامي .

والمسلم يصون نفسه من العلمانية التي تدعو إلى إلا ناحية والحرية الجنسية وغيرها من الحريات التي تتعارض مع الإسلام وإنما يستفيد المسلم في الغرب من الحريات الأخرى التي تكفلها العلمانية .

الإشكالية الحقيقية في الغر ب هي أن أبناء المسلمين المولودين فيه لم يتعرفوا على الإسلام بشكل صحيح إلا من خلال كتب غير المسلمين المتداولة في الغرب أمثال كتب الباحثة الدينية كارن ارمسترونغ الراهبة السابقة وذات الأبحاث حول الإسلام والمسيحية والبوذية واليهودية ، بينما كان من المفترض تولي تلك المهمة علماء تلك الجاليات لكي لا يصبح

المسلمون في الغرب في متاهة وحيرة من أمرهم بين الانصياع لأصوات المتشددين أو الضياع في براثن العلمانية الإباحية .

الدين الإسلامي قادر على إدارة ورعاية التعددية :

كانت نبئوه الرسول صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء بشر به عيسى بن مريم { ... وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ... } الصف : ٦ ، وكل الرسل انو لدعوة أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، { قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ ...} الأحقاف : ٩ { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَالْخَاسِرِينَ} آل عمران : ٨٥ والتعددية هي في التشريع { ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ....} المائدة : ٤٨ ولم يفرض الرسول صلى الله عليه وسلم الدين الإسلامي على من لم يؤمن به بعد إقامة الحجة البينة والواضحة عليه { وَمَا عَلَيْنَا إِلاّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} يس : ١٧ { لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} الغاشية : ٢٢ { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ...} البقرة : ٢٥٦ .

وبعدما انتشر الإسلام في جزيرة العرب قال الرسول صلى الله عليه وسلم يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب ، رضي الشيطان بإعمال تحقرون بها .

وكثير من المسلمين لم يتمكنوا من التفريق الدقيق بين دعوة الإسلام إلى الوحدانية وقبول مظاهر التعدد وتعبيراته ، فحاولوا اجتثاث أصوله التي هي نتاج حركة التاريخ ودوره الحياة العامة والتي هي من السنن الإلهية وقوانين الحياة .

فالتوجه نحو إلغاء التعددية بممارسات قاسية وشنيعة أسهم في إعادة تركيز الوعي بالفوارق الثانية والمذهبية التي ما لبثت أن انفجرت بعنف مضاعف في مناطق عديدة من عالمنا العربي والإسلامي ، وكلما اتجه العالم نحو الاندماج لم يتمكنوا من الانفتاح والتعامل مع

تغيرات العولمة الجديدة نتيجة إيمانهم وتمسكهم بحالة من العمى الإيديولوجي الوبائي الذي لم يتمكن من رصد الوقائع والأفكار والسلوكيات واستشراف مالأتها المنطقية .

فمحاربتهم للتعددية جعلت المجتمع يميل نحو أوهام الغلبة المطلقة والمستحيلة ، وهذه الغلبة تظهر بشكل خادع أنها متحققة لطرف دون طرف ، ولكنها سرعان ما تؤول إلى كوارث تعود لتترتب على الطرف الذي يتوهم الغلبة بأنه يثار لإيديولوجيته ، ويحقق مصالحه الذاتية بالغلبة المطلقة الموهومة ، وبذلك هو استبدل غلبة الحق بغلبة الوهم الباطلة التي تجعله يفرض على الآخرين مجرد الإذعان كمقدمة للاستحواذ الفكري أو الديني أو السياسي أو غير ذلك .

وترفض هذه الفئة الاعتراف بالتعدد والاختلاف إطلاقا وتتجه إلى تحذير وتوطين إيديولوجيتها بدلا من التوفيق المنهجي والواقعي بين الإيمان بوحدانية الله والاعتراف بالتعددية في شتى شؤون الحياة.

فأوليات التضامن تقتضي استنهاض أشكال وتشكل التعددية الفكرية والسياسية والاجتماعية والاعتراف بالتنوع والاختلاف وتعدد المذاهب ويكفي أن تتحقق الغائية الإلهية والشروط الإنسانية التي تقتضي ترسيخ وتجسيد قناعة من اجل بلورتها وتعميمها مع الإبقاء على مساحة محفوظة لمراعاة الخصوصيات ولا مانع بان يتواجد تمايز يتحقق من خلاله تكامل وظيفي لان الدين الإسلامي قادر على إدارة ورعاية هذا التنوع والتعدد بجميع مكوناته .

فالإسلام يمنع الغلبة لأي فئة بين المسلمين تحت أي ذريعة بينما يؤكد على مفاهيم التداول والتبادل والتكامل والتعاون والتشارك وغيرها من مفاهيم تعزز من السلم والاستقرار الاجتماعي والعالمي .

الدفاع عن الحرية من أسس الدين الإسلامي الحنيف :

لم يأتي فتح في التاريخ أعظم من فتح مكة ، وهذا الفتح لم يأت عن طريق الحرب أو عن طريق بسط القوة والهيمنة بل أتى نتيجة توفير جو من الحرية ،ولكن كيف يتوفر هذا الجو من الحرية ؟ .

فرسول امة الإسلام ضرب أروع الأمثلة للدفاع عن الحرية ،ولم تتوفر مثل هذه الحرية إلا بعد صلح الحديبية التي رأى فيها صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه صلح مجحف في حق المسلمين ، لان قريشا وضعت شروطا مجحفة في هذا الصلح ، بان يرد الرسول صلى الله عليه وسلم كل من يسلم ،بينما على العكس قريش لا ترد كل من يرتد عن الإسلام ، ولكن من اجل توفير وبسط الحرية قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الشرط المجحف في حق المسلمين .

ويعّلم الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته وأمته بان الحرية لا يمكن ممارستها في جو من التوتر والعنف والحرب، فبعد أن كان عدد المسلمين في صلح الحديبية حينما ذهبوا لأداء العمرة ١٤٠٠ شخص وصل عددهم في فتح مكة بعد سنتين فقط من صلح الحديبية بعدما نقض المشركون هذا الصلح إلى أكثر من عشرة ألاف شخص وتزايد هذا العدد نتيجة توفر جو من الحرية الذي نتج عن صلح الحديبية ولولا هذا الصلح لما توفر جو من الحرية .

فالحرية لايمكن ممارستها إلا في جو من السلام ، والحرية هي الوحيدة التي تجعل الناس يصرحون بآرائهم الحقيقية ويفتح باب الحوار وباب المناظرات وهنا يتغلب صوت العقل على بقية الأصوات الأخرى، وبسبب أن دعوة الإسلام هي دعوة سلمية تقبلها العقلاء من الناس من دون أكراه وتبنوا هذه الدعوة ونشروها في كافة أصقاع الأرض ، وانتهى عهد الوثنية في جزيرة العرب بعدما انهار مركزه الأساسي في مكة .

ويؤسس الإسلام لمبدأ يغيب عن الكثيرين من الناس سواء من المسلمين وخصوصا المتشددين منهم وكذلك أعداء الإسلام وهو أن القتال ضرورة وليس هدف أو غاية لنشر

هذا الدين ،لان الله سبحانه وتعالى نهى المسلمين عن مقاتلة غير المسلمين ولا يجوز قتال احد من الناس إلا إذا كان معتديا بل أن الله سبحانه وتعالى نهى عن الاعتداء على من لم يعتدي على المسلمين { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ} ... البقرة : ١٩٠ بينما يستشهد بعض المتشددين من المسلمين بآيات إثناء القتال مثل قول الله سبحانه وتعالى { اتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَالْكُفّارِ ...} التوبة : ١٢٣ { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ...} البقرة : ١٩١ والعالِمْ دائما ما يرجع الآية المتشابهة إلى الآية المحكمة فالآية الأولى محكمة يرجع إليها الآيتين الاخريتين .

والرسول صلى الله عليه وسلم دشن عهد الحرية ودافع عنها ،لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما ذهب هو أصحابه لأداء العمرة (إنا لم نجئ لقتال احد ولكننا جئنا معتمرين ، وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فان شاءوا مددناهم مدة ويخلوا فيما دخل فيه الناس فعلموا وإلا فقد جموا ، وان هم أبوا فو الذي نفسي بيده لقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن الله أمره) .

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى الحرية وإذا دعت الضرورة فانه يحارب من اجل توفير جو الحرية وليس من اجل أكراه الناس على الدخول في هذا الدين كما يفهمه بعض المتشددين من المسلمين لان الناس أحرار فيما يؤمنون { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيّ... }البقرة : ٢٥٦ {... أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} يونس : ٩٩ { ... لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} الغاشية : ٢٢ والمتشددون لا يتمكنون من التفريق ما بين المحكم والمتشابه ولا ما بين الديني والسياسي بسبب أنهم يدلون بدلوهم من دون علم متعمق في حقيقة هذا الدين .

لذلك نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على السلم حتى زمن الحرب فقد قال لعلي رضي الله عنه حينما أعطاه الراية لقيادة الجيش حينما كان متجها إلى خيبر بعد نقضهم العهد (فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من إن يكون لك من حمر النعم)

لان القتال ضرورة ولردع الظلم فقط وليس مندوحة ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاثبتوا) .

هذه المقدمة الطويلة هي توضيح من اجل إبرام الاتفاقيات مع جانب العدو الإسرائيلي خصوصا بعد المتاجرة بالقضية الفلسطينية من قبل الأنظمة الاستبدادية ومن قبل الأنظمة القومية التي جعلت القضية الفلسطينية والمبادرات والاتفاقيات والمفاوضات ممرا وشعارا لتحقيق أهدافهم القومية .

وبعد احداث الثورات العربية وخصوصا الثورة السورية التي كانت مختطفة القضية الفلسطينية وباعتها للمشروع القومي الإيراني واليوم ضمن ترتيب أوراق المنطقة ما بعد الثورات فان القضية الفلسطينية ستعود إلى العرب مرة أخرى ويجب إلا ننكر بأنها قضية إسلامية ولكن لا يقبل إن يتم المتاجرة بها من اجل تحقيق مصالح قومية .

فزيارة خالد مشعل إلى الأردن بعد ١٢ سنة قطيعة وتعلن حماس رفضها للوطن البديل الذي تروج له إسرائيل وبعض الدوائر في أمريكا كحل للقضية الفلسطينية وترفض حماس في نفس الوقت مشاريع التوطين كذلك.

فالقضية الفلسطينية ارتبطت بواقع المسلمين واحتلال فلسطين على مر التاريخ يحدث عندما يضعف المسلمون ،فعندما ضعفت الخلافة العثمانية وكانت تسمى بالرجل المريض وهذا واقع الدول العربية والإسلامية ما بعد الخلافة العثمانية وحتى اليوم ، وكما ذكر ابن خلدون في مقدمته إن الدول تتطور مثل الكائن الحي بكل مراحله حتى يصل إلى الكهولة ، وسواء كانت نظرية ابن خلدون تصحيحية أو غير صحيحة ولكن سنة الله في خلقه عدم الثبات { وَتِلْكَ الأَيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ ....} آل عمران : ١٣٩ من اجل التدافع وإحقاق الحق { وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ... } السجدة : ٥ .

فتمكنت بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت من تقسيم أملاك الدولة العثمانية التي هزمت في الحرب العالمية الأولى ، ثم أتى دور الولايات المتحدة الصاعد بعد الحرب العالمية الثانية

ودافعت عن امن إسرائيل حتى اليوم، ومرت القضية الفلسطينية بعد ذلك بعدد من الحروب غير المتكافئة بين العرب وإسرائيل حتى عقدت قمة الخرطوم بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وسميت بقمة اللاءات الثلاثة أي لا للاعتراف بدولة الاحتلال ولا للسلام ولا للتفاوض إلى إن جاءت المبادرة العربية التي أقرت في قمة بيروت عام ٢٠٠٢ وكان صاحب هذه المبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز باعتبار أنها تعترف بواقع العرب والمسلمين وتعتبرها صلح حديني لإعطاء العرب والمسلمين الفرصة لإعادة ترتيب أوضاعهم وسمي هذه المبادرة أيهود اولمرت بالتغيير الثوري وامتدحها لأنها تتجه لإحلال دولتين بعدما كان يرفض العرب مثل هذه الحول .

واتت هذه المبادرة بعدما فشلت المفاوضات التي انطلقت منذ عام ١٩٩٣ في أسلو ولكن نتيجة اختطاف إيران القضية الفلسطينية اختلطت الأوراق وفشلت هذه المبادرة أيضا واستمرت إسرائيل إلى مزيد من تهويد الأراضي واتساع دائرة الاستيطان ولا يزال العرب يعانون من مرحلة الثورة في سوريا ومرحلة ما بعد الثورات في بقية الدول العربية الأخرى وهي منشغلة اليوم بقصقصة نفوذ إيران في المنطقة العربية وإعادة مشروع عربي متماسك قادر على فرض واقع جديد في المنطقة .

مرحلة البناء والتركيب مقابل فلسفة التفكيك :

فلسفة التفكيك فرضت نفسها على العالمين العربي والإسلامي في الفترة الماضية وستستمر ، ومنهجية التفكيك هي إحدى المنهجيات السائدة حاليا في ساحة فلسفة العلوم الإنسانية ، وكان رائدها الأول هيدغر قبل جاك دريدا ويمكن إن يكون أستاذها الأول نيتشه ، لكن إن يتخذ من هذه الفلسفة مصطلحا استراتيجيا يجري تطبيقه الآن وعلى الأخص في العالمين العربي والإسلامي ، فالواقع العربي نفسه ينهار ويتفكك من كل النواحي حتى

أصبحت دراسة تاريخ العالم العربي لن تكون واضحة دون اللجوء إلى دراسة منهجية التفكيك التي مورست ضد العالمين العربي والإسلامي كمصطلح استراتيجي ، ولكن لماذا ينتظر العرب والمسلمون إن يلهثوا وراء هذا الفكر بدلا من إن يسبقوه ، فما يحصل الآن في السودان وفي أفغانستان والباكستان وما حصل في العراق والآن الوضع في الصومال منذ إن انهار نظام صياد بري ولا يزال الوضع غير مستتب ، والأمر ليس بأقل شانا في لبنان وموريتانيا هذا إضافة إلى القضية الأساسية للعرب والمسلمين فلسطين ، وإذا كانت هناك مصارحة ، ولكنها لم تتم حتى الآن .

فقد أسرت الفكر العربي والإسلامي في الفترة الماضية إيديولوجيا قومية تارة ، وإسلامية متشددة ومشتتة تارة أخرى، إلى جانب إيديولوجية الفضائيات الغوغائية في الوقت الحاضر التي لا تصب في مصلحة الأمة العربية والإسلامية بل تؤجج الانشقاقات والخلافات البينية.

وقد انهارت كل هذه الإيديولوجيات ولم يبقى منها شئ إمام إستراتيجية التفكيك التي اتبعها الغرب مع العرب والمسلمين بل كانت كل الإيديولوجيات العربية والإسلامية وقودا ساعدت عمليات التفكيك رغم ذلك لا يزال البعض يتشدق ويتمسك بتلك الإيديولوجيات واتخاذها شعارات يتشدق بها التي أثبتت فشلها وعدم قدرتها على مواجهة فلسفات التفكيك التي لا تزال تمزق العالمين العربي والإسلامي وكلما رقعوا مشكلة ظهرت لهم مشكلة أخرى في مكان أخر .

والآن أصبحت حركة التاريخ واضحة لالأمة:ا تحتاج إلى المزيد من المزايدات على الحركات الصالحية التي تقودها كل من السعودية ومصر للملمة الصفين العربي والإسلامي ضمن منظومة وحدة إسلامية من منطلق إقامة شراكات متوازنة تصب في صالح الجميع لأنهما الدولتان الكبيرتان والوحيدتان القادرتين على التعامل مع القوى الكبرى كي نتجه إلى مرحلة البناء والتركيب والتوحد ليعيد التاريخ كتابة التاريخ العربي والإسلامي مرة أخرى .

خطورة النزعات العنصرية على وحدة الأمة :

الدعوة إلى العصبية والعنصرية والطبقية فيروس العصر الحالي . فالمجتمع العربي والإسلامي أثرت فيهما الموروثات الاجتماعية والعرقية تأثيراً كبيراً خصوصاً العصبية القبلية التي تكاد تعصف بكل موروثات الأمة الحميدة فابتليت الأمتين العربية والإسلامية بتصنيف الناس على أساس من العصبية التي كانت أساساً للنظام الاجتماعي في العصر الجاهلي التي لا تقيم وزناً لصلاح الفرد وتقواه وخلقه الحسن وتعامله السوي بل تركز على الجاه والمنصب والنسب والحسب والسيادة والطعن في الأنساب والطبقية وغيرها من صفات زنيمة كانت معروفة في الجاهلية قبل الإسلام .

والعصبية هي سبب من أسباب الفرقة والتقاتل بين الناس ، فالإسلام حذر منها ولا بقاء للأمة مع بقائها وقد تنبأ الرسول ببقاء أربعة خصال من العصبية في الأمة الإسلامية حذر منها فقال صلى الله عليه وسلم " أربع في أمتي من أمر الجاهلية ، لا يتركونهن الفخر في الاحتساب والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم والنياحة " .

وقد استغلت أمريكا وإسرائيل الانتماء العصبي وتوظيفه لصالحها وبشرت بنشر الديمقراطية التي تناسب هذا الانتماء العصبي كي تتمكن من تذويب الهوية الإسلامية والعربية وليس التبشير بالديمقراطية التعددية الموجودة في الغرب .

فالطائفية والاثنية طغت على السطح في العراق متسلحة بأنياب المذهب وإظفار المليشيا فأصبح القتل على الهوية الطائفية والشوارع مشحونة في العراق ولبنان، فالمشاريع الطائفية أصبحت سائدة وبارزة باسم الديمقراطية.

انبعاث هذه الروائح الطائفية في أزمة العراق وفي أزمة لبنان والخوف إن تمتد آثارها إلى بقية أنحاء العالم العربي لان لهذه الطوائف امتدادات داخل الوطن العربي.

أصبحت أدبيات البعد الطائفي وخصوصاً المتبادلة بين السنة والشيعة حتى وصلت الدعوة إلى نداء من أجل التعبئة الطائفية وخصوصاً على مواقع خاصة بالانترنت فالسنة تصف الشيعة بأتباع عبد الله بن سبأ وهكذا ، فاستغلال المشاعر الدينية الطائفية خصوصاً إذا كانت لأغراض سياسية بحته فإنها تسبب الدماء والقتل وظهور جماعات ومليشيات قتالية كما يحدث في العراق .

وسوف تتسبب تلك العصبيات الطائفية في شروخ عميقة في المجتمعات العربية والمسلمة فالعصبية الطائفية نار لن يستطيع أحد أن يطفئها وحتى الانتخابات التي أجريت في البلاد العربية وآخرها في البحرين ذات نفس طائفي وقبلها في العراق فتشبيه الملك عبد الله للوضع في المنطقة بـ (خزان بارود يوشك أن ينفجر) وهي عبارة يعني بها ما يدور في المنطقة قبل ثورات الربيع العربي ، وحينما نعود إلى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسس لدولة الإسلام واعتبر العصبية أمر من أمر الجاهلية وآخى بين المسلمين فلماذا لا نتبع المنهج النبوي ونتخلص من الأدبيات التي لا تعود علينا بخير بل هي بناء مستطيرة تقضى على الأخضر واليابس والتي حذرنا منها كذلك القرآن الكريم { ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإثم الفسوق بعد الإيمان } الحجرات : ١٢ وكان دائماً مايردد الرسول صلى الله عليه وسلم ويغضب في حوادث متعددة وكان يقول " أبدعوا الجاهلية وانا بين أظهركم " وفي أحاديث أخرى كان يقول أيضا " دعوها فإنها منتنة " بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل سلمان الفارسي من آل البيت وبلال الحبشي سيداً ولذلك كان يقول الصحابة " اعتقي سيدنا سيدنا " أي أن أبا بكر اعتق بلال رضي الله عنهما ، فالعصبية من صفات النفوس الظالمة التي تتعارض مع قيم الإسلام العادلة والتي تنبذ العنصرية والطائفية وتعتبرهما فيروس المجتمع البشري وجعلت من التقوى المعيار الأساس في تقييم المجتمعات المسلمة ولا غير التقوى القائمة على التدين والكفاءة .

والعصبية داء فتاك يؤدي إلى تفكك الأمة وتشرذمها وتصبح لقمة سائغة أمام كل عدو متربص بها وأعداء الإسلام كثر . وبنبذ العصبية استطاع المسلمون الامتداد شرقاً وغرباً وحماة ديار الإسلام هم المسلمون من جميع الشعوب والأمم فالتتار حموا الإسلام في الشرق وقوة فتية زاحفة من أواسط آسيا فتحت القسطنطينية عام ١٤٥٣م أرعبت هذه القوة الأحقاد الأوربية الصليبية مدة ثلاثة قرون على الأقل . وترتبط العصبية ارتباطاً وثيقاً في التجربة التاريخية لامتنا الإسلامية بسقوط غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس عام ١٤٩٢م سببه الرئيسي العصبية ، فالأمة الإسلامية لم يتمكن الأعداء ضربها من خارجها بل من داخلها عن طريق بث روح العصبية فلم يسقط الدولة الإسلامية في الأندلس ألا بعدما تقسمت إلى أكثر من عشرين دولة تقاسمها العرب والبربر والعسقالية فانفرط عقدهم في ظل ترامي ملوك الطوائف بالأندلس في أحضان العدو ونفس الشيء ينطبق على الدولة العثمانية حيث تمكنت اليهودية الصهيونية من ضرب دولة الخلافة الإسلامية من خلال بث سموم النزعات العنصرية القومية مثل الطورانية للترك والكردية والبربرية وبقية القوميات الأخرى ضربت الوحدة الإسلامية القائمة على التنوع والشعور بالمصير الإسلامي الواحد .

الرؤية الإسلامية للإنسانية :

الإسلام يعترف بالأخر دون تفرقة أو استعلاء أو تمييز أو عنصرية نجد ذلك في معظم آيات القران الكريم (يأبني ادم) (العالمين) (ياءيها الناس) فالمسلمون لا يتمتعون بميزة خاصة إلا إذا استوفت فيهم شروط التقوى وهي خاصة بالله وليست خاصة بالبشر (فلا تزكوا أنفسكم بل الله يزكيكم ...) الكهف : ٣٢ ولا تنطبق عليها خير امة أخرجت

للناس إذا لم يقوموا بالمهمة الربانية التي فرضها عليهم في تبليغ الرسالة المحمدية وإيصالها للبشرية .

واعتبر الخطاب القرآني الإنسان المحور والغاية في عالم الطبيعة التي سخرت من اجله كل الكائنات من اجل الانتفاع بها فالعلاقة بينهما علاقة استخلاف لا صراع أو تحدي مثلما تنظر إلى تلك العلاقة مذاهب شتى والتي لم توفق في رسم حدود تلك العلاقة بين الإنسان والطبيعة .

فالتصور القرآني للعلاقة بين الإنسان والطبيعة علاقة مخالفة لنظرة أصحاب التفسير المادي والمثالي وهي مخالفة أيضا لنظرة العبرانيين التي يرونها علاقة رهبة وخوف بينما نظرة الإسلام نظرة انتفاعي لاستثارة كامل الطاقات الكامنة أي أن الإسلام يؤكد على عدم عنصريته وتمييزه بين البشرية وبين الزمان والمكان بدلالة انه جعل الأرض كلها مسجدا وطهورا ونهى المسلم عن سب الدهر لان الدهر هو الله .

واعتبر الإسلام أن الحرية مقيدة هي حرية لحماية باقي الحريات كي تكون في مأمن من الصراع. لذلك أوجد الله قوانين وسنن كونية تضبط المسار من التنسيق بين عناصر الكائنات الوجودية ضمن هيمنة الهية { فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} البروج : ١٦ (على كل شئ قدير) إلى أخر الآيات التي تدل على إن الله هو المهيمن على هذا الكون { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمّ اسْتَوَى إِلَى السّمَاءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} . البقرة : ٢٩ فالرؤية الإسلامية للإنسانية في هذا الكون هي رؤية استخلاف في هذا الكون وتدافع من اجل الحفاظ عليه { وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ} البقرة: ٢٥١ كي يحل الاستقرار مكان الصراع ويقوم الاستخلاف على أساس العدل والمساواة بين جميع البشر بحسب عملهم { إِنّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } الكهف : ٧ { إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ...} الكهف : ٣٠ بين جميع البشر

بلا استثناء { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} . الحجرات : ٤٩ .

التحرر من العبودية :

عندما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من بلال رضي الله عنه إن يؤذن في الناس قال له: كيف ائذن وأنا عبد اسود فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفرقة في الإسلام بين عباد الله . فوقف بلال ، خائفا مترددا وضع يديه على إذنيه وانطلق بصوته الجهوري الله اكبر الله اكبر وما زال ذلك النداء إلى يومنا الحاضر يعلق الشاعر الايرلندي اتشح إي كريغ وهو شاعر معروف وأديب وسيناريو لم تكن له معرفة بالإسلام لكن الخرج السوري مصطفى العقاد كلفه بكتابة سيناريو فيلم الرسالة بالانجليزية باسم (محمد رسول الله) يقول لفت نظري إثناء كتابة السيناريو بصورة خاصة شخصية أول مؤذن في الإسلام وان كان من نتائج هذا المشهد المؤثر الذي هز عواطفي وعلق بذاكرتي وهذا الذي جعل الأفارقة في إفريقيا يتخذون من بلال بطلهم ورائدهم في التحرر من العبودية ولم يعودوا يسمون أنفسهم أفارقة بل راحوا يسمون أنفسهم البلاليون .

كم فتنت شخصية بلال الصحابي الجليل هذا الشاعر الايرلندي المسيحي فكرس سنين طويلة من حياته لدراسة شخصية بلال قادته إلى دراسة أسس هذا الدين الإسلامي وخرج بكتاب بليغ اسمه (بلال) صادر عن دار النشر كوارتيت بلندن بغلاف إسلامي اخضر .

فالكتاب في مجمله يحتاج إلى ترجمة إلى كل لغات العالم الحية ليكون رسالة حقيقة لتنوير الغربيين وغيرهم بالإسلام الإنساني الصحيح الذي شوهت صورته فئات من المسلمين استغلهم أعداء الإسلام لنشر صورة مشوهة عن الإسلام على انه دين يدعو إلى العنف عبر

الفضائيات في إرجاء العالم . بل المطلوب أيضا ترجمته إلى العربية ليقراه المتشددون من المسلمين أيضا لتصحيح أفكارهم الخاطئة عن الإسلام .

ويركز المؤلف في كتابه على وقفات أذهلته خصوصا عندما وقف وجهاء مكة ضد مساواة الإسلام للبشرية إذ يتساءلون كيف يجوز إن يتساوى العبد الذي يباع ويشترى مع السيد الذي يشتريه ويدفع عنه ثمنه ؟ ويشرح المؤلف كيف اشترى أبو بكر بلال من أمية لكن أبو سفيان اعترض على بيعه لان من سنن الجاهلية منع بيع العبد تحت الجلد لكن تضاعف المبلغ الذي قدمه أبو بكر رضي الله عنه إلى مائتي درهم أدى إلى إتمام الصفقة اكتشف بلال بعدها إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعوده خلال الأيام الثلاثة عندما كان غائبا عن الوعي نتيجة التعذيب الشديد الذي لاقاه وكان يصلي بجانبه ويدعو الله إن يمن عليه بالشفاء استمرت تلك العلاقة ٢٢ عاما لا يفارق فيها بلال رسول الله .

أنها عدالة الإسلام وإنسانيته التي جعلت من إتباعه يضحون بكل شئ مثل بلال .والكتاب جدير بان يتولى ترجمته وتوزيعوعدالته.من يمتلك القدرة المالية مساهمة في نشر إنسانية هذا الدين ورحمته وعدالته .

تغليب الحوار على الجهاد العالمي

أحداث كارثة ١١ سبتمبر انعكست على العالم والمسلمين بشكل خاص وهي فرصة للمتطرفين من المسلمين في الدعوة إلى الجهاد العالمي ولم تكتف بذلك بل اتجهت إلى تأليف تحالف دولي وقعوا تحت سطوة إعلام مغرض يميني متطرف وهي فرصة لتشويه دين الإسلام باعتباره دين حيوي لا يمكن إن تقف إمامه القوى الأخرى لما يحمل من معاني سامية ومبادئ سمحة تقف حائلا إمام ظلم البشرية تحت مسميات متعددة سواء أكانت رأسمالية أو اشتراكية أو غيرها من مسميات حديثة مثل ترك العالم لقوى السوق الصماء التي تزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا .وهناك منتفعين في إدخال الإسلام في مواجهة مع المسيحية على وجه الخصوص وهو ما يدخل العالم في مأزق استراتيجي لان الدين الإسلامي الدين الذي يمتلك من المقومات ما يجعله دين المستقبل والمسيحية دين الدول المتقدمة .

لكن هناك عقلاء في العالم فالتقاء خادم الحرمين الشريفين بالبابا بنديكتوس السادس عشر في ٦ / ١١/ ٢٠٠٧ في لقاء يمثل حدثا غير مسبوق خصوصا بعد تصريحات البابا الأخيرة حول الإسلام والصورة المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرت في أوربا فلقاء زعيمي الديانتين لها دلالات لاحتواء التوتر بينهما وتفعيلة حوار الأديان الذي هو امتداد لحوار الحضارات وإحلاله مكان الجهاد العالمي الذي تتزعمه ثلة من المتطرفين من المسلمين وكذلك إضعاف الآلة الإعلامية التي يمتلكها اللوبي اليميني الصهيوني في إشعال فتيل المواجهة بين إتباع الديانتين وتلك الزيارة تأتي أيضا لتدعم القرار الأخير الصادر عن مجلس الشيوخ الأمريكي باعتبار الإسلام دينا عظيما له قداسته واحترامه وانه براء مما يفعله بعض المنتمين إليه من إعمال إجرامية .

هذا التقارب وان جاء متأخرا ولكن يفوت الفرصة على أقلام الغلاة والمتعصبين والمتآمرين والانتهازيين ومن في قلوبهم مرض ندوبا غائرة من الحقد والكراهية ضد هذا الدين القويم.

فمن مصلحة شعوب العالم تفعيل الحوار بين إتباع الديانات بدلا من استغلال حماس الشباب لدينهم والدفاع عنه وغيرتهم عليه لكنهم لم يبلغوا من العلم مبلغا يميزون بين الحق والباطل ومعرفة ضوابط الجهاد التي فرضها الإسلام والنهي عن الخروج على الحكام من اجل الجهاد الذي في حد ذاته معصية امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني) لان الأمير يدرك مصالح الأمة . فباسم الجهاد استدرج الشباب واستغلوا من جماعات مشبوه لتحقيق أهداف بعيدة كل البعد عن الدين وان كان ظاهرها دينيا فأصبحوا سلعة تشترى لأطراف شرقية وغربية حذر منه كبار العلماء وعلى رأسهم مفتي المملكة سماحة الشيخ عبد العزيز ال الشيخ .

تغيير صورة الإسلام المشوهة بالحوار مع الآخر :

تتعمد كثير من وسائل الإعلام الصهيونية تشويه صورة الإسلام عند المسلمين والذين يجهلون أي شي عن الإسلام إلا هذه الصورة المشوهة ولم تكن وسائل الإعلام فقط بل هي محاولة السياسي والإعلامي الغربي تنميط إسلام بن لادن وتسويقه للغرب على حساب الإسلام الحقيقي المتسامح رغم اعتراف مفكري الغرب من أمثال فوكو ياما المشهور بنظرية نهاية التاريخ والتي تراجع عنها أخيراً يقول " أعتقد إن الإسلام مثل أي نظام ثقافي آخر يمكن إن نفسره بطرق متنوعة ولا أعتقد من وجهة نظري أن أيدلوجية الجهاديين الذي ينشرها ابن لادن في نهاية المطاف هي أيدلوجية سياسية بالأساس ويمثل جماعة نسبيه قليلاً " .

ويصل الأمر إلى اتهام المملكة بترويج الإسلام الراديكالي وهي التي تعاني الإرهاب من مجموعات قليلة متطرفة وصل الأمر إلى إن الكثيرين يريدون معرفة شيء ما عن

الإسلام فهناك بعض الجهود التي آتت آكلها بسبب الفراغ الروحي الذي يعيشه العالم في عصر العولمة وبعد تعرفهم على حقيقة الإسلام وسماحته ودخول إعدادا كبيرة في الولايات المتحدة وغيرها في دين الإسلام أكثر من ذي قبل لأن الغرب إضافة إلى معاناته من الفراغ الروحي يعاني أيضاً أمراضاً نفسية غدت من أبرز الأمراض المنتشرة لديهم بجانب انتشار الجريمة والاغتصاب ففي مدينة مثل شيكاغو تقع جريمة كل ٢٠ ثانية إما قتل أو انتحار أو اغتصاب أو سرقة وغيرها من الجرائم التي لا حصر لها نتيجة الفراغ الروحي والضغوط النفسية حول الحياة إلى قلق وخوف ورعب في هذه المدينة وكما يذكر الداعية الشيخ إبراهيم الناصرة الذي يعيش في هذه المدينة أصبحت ١٠٠٠ كنيسة مهجورة نتيجة الفراغ الروحي والبعد عن الدين بينما وصل عدد المساجد في هذه المدينة إلى ١١٥ مسجداً منها ٩ تحولت من الكنائس المهجورة السابقة الذكر خلال خمس سنوات فقط وتحولت ٤٥ كنيسة في تورينتو أكبر مدينة في كندا إلى مساجد .

واهتداء الناس إلى الإسلام بعد تصحيح صورته عبر الحوار بالحسنى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ ... بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران : ٦٤ { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... } النحل : ١٢٥ .

فكيف تكون الدعوة إلى الله إلا عبر الحوار والمجادلة بالحسنى دون فرض عقيدتنا عليهم لأنها سوف تترك أثراً في الأنفس ولو بعد حين تقوده إلى التفكير في الإيمان.

وفي حادثة حصلت في هولندا بحسب مايروي الشيخ النواصرة انه بسبب مقال لصحفي سن قلمه لتشويه واقع المرأة المسلمة وما تلقاه من أهانه وتعذيب وعدم حصولها على حقوقها مما أدى إلى تنظيم نسائي لمظاهرة حاشده تندد وتشجب ماذكر في المقال الذي نشره الصحفي ونظمت المظاهرات أمام عدد من المراكز الإسلامية انتهت بمناظرة وحوار

أظهر فيها المسؤولين عن هذه المراكز واقع المرأة في الإسلام وما تلقاه من عزه وكرامة قل إن توجد في أي ديانة أخرى أو في أي حضارة من الحضارات السابقة والسائدة آتت أكلها في تغيير الصورة المشوهة التي رسمها الكاتب في أذهان القراء وتظاهرت من أجلها إلى إسلام عشرة آلاف سيدة من هولندا .

فتغيير صورة الإسلام المشوهة تحتاج إلى معرفة بالمجتمعات الغربية وإتقان لغاتهم وحمل الصورة السمحة بعيداً عن الأمور الخلافية فحاجة الناس في الغرب ملحة لمعرفة روح وسماحة الإسلام فهو واجب علينا لنخرجهم من ظلمات المدنية والتحضر إلى نور الإسلام ليتحقق فينا قول الله سبحانه وتعالى { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ...} آل عمران : ١١٠ .

ويكون التركيز في بداية الحوار نحو العقيدة المتركزة في وحدانية الخالق سبحانه وتعالى وما تبقى من أمور الدين الأخرى تأتي لاحقاً بشكل تدريجي مع المعرفة التامة بفقه الأقليات لكي لايلزمون بما ينفرهم من الدين وسماحته .

ولا بديل من الحوار مع الأخر عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نشطت ملتقيات حوار الأديان في كثير من مناطق العالم من اجل تقريب شقة الخلاف بين إتباع الديانات وإزالة سوء الفهم المشترك الذي سببته هذه الإحداث الأليمة وحولت الاستقرار والتعايش السلمي إلى ضنك ومراجعات وتتبع وفحص واخذ بالشبهة بل واللجوء إلى الطرد أو التوقيف أو السجن لفترات طويلة لمجرد شبهات لا اقل ولا أكثر أو لتنفيذ مخططات لم تتمكن من تنفيذها منذ زمن ٠ هذا ماجن أيدي الغلاة من جميع الديانات ٠ ولكن هناك قواسم مشتركة بين الديانات والحضارات تحتاج إليها البشرية جمعاء مثل التعايش والسلم والاستقرار والتعارف والتكامل وقد أرشدنا إلى ذلك قول الله سبحانه وتعالى { ....جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ....} الحجرات : ١٣ فالشعوب جميعها خلقها الله سبحانه وتعالى مؤمنها وكافرها من اجل التعارف والتعايش وإذا كانت هناك رسالة ودعوة

تحملتها هذا الأمة فهي بالتي أحسن ودون أكراه { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ.... } البقرة : ٢٥٦ فما علينا إلا إن نوضح للناس الحق من الباطل ونترك إيمانهم لأنفسهم وحكمهم إلى الله سبحانه وتعالى {... لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ } الغاشية :٢٢ {أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ } يونس : ٩٩ فحوار أهل الأديان اصل من أصول الإسلام { وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... } العنكبوت : ٤٦ وقد وجهنا الله سبحانه وتعالى في هذا الحوار الذي يكون بالتي هي أحسن { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللهَ وَلاَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ....}

آل عمران : ٦٤ في البحث عن المشتركات بيننا وبينهم في الوحي المنزل وفي وحدانية عبادة الله سبحانه وتعالى ولم يترك الله المسلمين في حيرة من أمرهم عند الاختلاف في مفهوم التوحيد بل وجههم إلى إن ينهوا هذا الحوار بهدوء ويقولوا لأهل الكتاب آمنا بالذي انزل ألينا واليكم وإلهنا وألهكم واحد أي التركيز على المشترك بيننا وبينهم وترك المفارقات التي بيننا وبينهم إذا لم يقتنع الطرف الأخر {.... قُولُوا آمَنّا بِالّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } العنكبوت : ٤٦

ولكن يستمر التعاون في جميع الأمور التي فيها منفعة البشرية جمعاء {.... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..... } المائدة : ٢ بل إن الحوار مع جميع الشعوب والديانات مطلب ديني على الأقل من اجل التعارف وإزالة مشاعر الكراهية ونقل صورة الإسلام المشرقة الوضاءة الصحيحة، وعن طريق هذا الحوار الهادئ يمكننا إن نوصل رسالتنا إلى العالمين التي كلفنا بها الله سبحانه وتعالى واستمرارية التعاون في الأهداف المشتركة بين الجميع في معالجة الفقر والقضاء على الجهل والإمراض ومحاربة الظلم والعدوان وحقوق الإنسان والإخطار التي تهدد البيئة وجعل الإنسان محورا أساسيا في الحوار فلا يبقى مقتصرا على القضايا الفكرية والعقدية. ويجب إن يستحضر كل محاور من المسلمين هذه الآية الكريمة { وَإِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} سبأ : ٢٤ أي إن يكون الحوار

من دون فرض نتيجة مسبقة أو إملاء ثوابت على الآخرين فالحوار يجب إن يكون مفتوحا ومستمرا وخاصة فيما يخص المشتركات بين البشر ٠
ويجب إن يفوت الحوار فرص بعض الدوائر الإعلامية الموجهة والدينية المتعصبة إثارة الأحقاد والكراهية بين الشعوب ٠ لنكون خير امة أخرجت للناس هذه هي عالمية الإسلام أداء لأمانة العلم وتبليغا لرسالة الاسلام٠

جدوى مواصلة الحوار بين الأديان :

في ظل تعرض العالم لصراعات سياسية تعمل على تسييس الدين من اجل تحقيق أهداف سياسية محددة، فللحوار بين الأديان دور كبير في دعم العلاقات الإنسانية ومواجهة التعصب الديني الذي يقود العالم إلى صراعات مدمرة والحوار مع الأديان الأخرى مؤصل في الدين الإسلامي في دعوة أهل الديانات السماوية الأخرى من خلال المشترك بينها وهي وحدانية الله سبحانه وتعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا .... } آل عمران : ٦٤ للان الحوار يوجد أرضية خصبة تتلاقح فيها التجارب ويتفادى الصراع الذي يدعو إليه المتعصبين من جميع الإطراف .
ولكن لابد إن ينطلق الحوار من قول الله سبحانه وتعالى{.... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.... } المائدة : ٢ لان ما يفسد الحوار الأهواء والإطماع والأحقاد التي تقود إلى التعصب الديني وتأصيل ثقافة الكراهية بين الأديان والتوظيف السياسي للدين بأي شكل من الإشكال .
فالحوار بين الأديان يهدف إلى التأكيد على القيم المشتركة بينها على رأسها الإيمان بالله والأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها الأديان والحفاظ على كرامة الإنسان والاعتراف بحقوقه ودفع الظلم عن المظلومين لان الحوار يغرس الاحترام المتبادل بين الأديان الذي يتيح

إمكانية التعايش بين شعوبها خصوصا بعدما أصاب المجتمع الدولي من كراهية متبادلة بعد أحداث ١١ سبتمبر قادت إلى تعصب وتطرف وعنف .

ولابد للحوار من إن يرسم معالم طريق واضحة تقوم على أسس من المساحات المشتركة وهي بالغة الأهمية لإنقاذ البشرية من الإخطار التي تهددها لان الآية القرآنية في الحوار مع أهل الكتاب ذات شقين { وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنّا بِالّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }العنكبوت : ٤٦ فالشق الأول مع غير الظالمين يكون معهم بالحوار بالحسنى بينما الظالمين منهم مثل الصقور والمتصهينيين لابد من توضيح مواقف ظلمهم وتفنيدها على الملأ لإيقافها بشتى الطرق تتحدد وفق الظروف والأحوال ضمن إستراتيجية جماعية وليس فردية.

واهم من هذا كله إنشاء تحالف الحق ضد الباطل وتكوين جبهة عالمية من المعتدلين والرافضين للظلم وهذا يحتم علينا التفريق بين المعتدين وغير المعتدين والسعي نحو تبرئة المقاومة المشروعة من إلصاق تهمة الإرهاب باعتبارها حقا مشروعا.

ومهما بلغت الاساءة للإسلام وتواصلت الهجمات الشرسة من قادة دينيون أو سياسيون ، فان لمواصلة الحوار جدوى في إظهار الحق وتفنيد مزاعمهم والرد عليها كي لا تضلل العامة من الناس وتصور الدين الإسلامي بأنه دين يدعو إلى الإرهاب لوقف تمدده وانتشاره .

هل تتحقق فكرة من الحوار إلى التحالف ؟ :

عقدت ندوة دولية حول (الحضارات والثقافات الإنسانية ، من الحوار إلى التحالف ، عقدتها المنظمة الدولي.ة للتربية والعلوم والثقافة (اسيسكو) بالتعاون مع وزارة الثقافة

والمحافظة على التراث التونسية تحت رعاية زين العابدين بن علي رئيس تونس في العاصمة التونسية .

الندوة هي نفله نوعيه للحوار والتحالف بين الحضارات والثقافات والتي تفتح آفاقاً جديدة للتعاون الدولي .

وانطلقت هذه الندوة من قرارين الأول قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (نوفمبر ١٩٩٨) بجعل عام ٢٠٠١م سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات ولكن كانت هذه السنة سنة مفصلية في تاريخ الأمم حالت دون جعل هذه السنة سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات بسبب ماحدث من ضرب أبراج نيويورك .

والثاني هو قرار مؤتمر القمة الإسلامي في دورته العاشرة (ماليزيا أكتوبر ٢٠٠٢) بشأن الإعلان العالمي للحوار بين الحضارات.

حوار الحضارات هو استلهالديانات.حضارة الإسلامية المبنية على قيم الحوار والتسامح والأخوة الإنسانية المؤدية إلى االديانات.لمي والتحالف مع جميع الديانات .

فالبشرية يهددها مخاطر شديدة تتجه نحو تعميق الهوة بين الشعوب نتيجة الغلو والتطرف والإرهاب التي تمارسه جماعات من الناس من مختلف الديانات والجماعات السياسية ابتعدت كل البعد عن القيم الحضارية المستمدة من روح الأديان والتي تدعو إلى تعميق روح التفاهم بين الشعوب والأمم وتعزيز التعايش السلمي بينها .

فالقاسم المشترك بين جميع الحضارات والثقافات القيم والمبادئ الإنسانية القائمة على الاحترام المتبادل وتوفر النوايا الحسنة.

والدين الإسلامي صاحب رسالة عالمية موجهه لجميع الشعوب دون إكراه أحد على الدخول إلى هذا الدين { مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلاَغُ ...} المائدة : ٩٩ { ... لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ...} البقرة : ٢٥٦ .

لكن لا يمكن إن يتحقق التحالف بين الحضارات إلا إذا تكاتفت الجهود لمواجهة الصدامات والصراعات التي تمارس باسم صدام الحضارات أو باسم صدام الأديان وتزرع الكراهية والنفور بين البشر .

ويجب إيقاف طابع التحيز ضد المقدسات الإسلامية وانتهاكات حقوق المسلمين وخاصة انتهاكات المقدس منها كالقرآن الكريم والرسوم المسيئة لنبي الإسلام.

ولايمكن بناء علاقات إنسانية متوازنة إلا بمواجهة النظريات الاستعلائية وهي مسؤولية أخلاقية مشتركة تستوجب اتخاذ تدابير عادلة ووضع استراتيجيات ملائمة من أجل إيجاد محيط يسمح ببناء علاقات إنسانية جيدة .

وإعلان تونس توصل إلى إنشاء صندوق عالمي للتضامن لمجابهة الفقر والتنمية البشرية وهو تحالف يقوم على التكافل والتضامن وإزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل ، ومعالجة الانعكاسات السلبية لآثار العولمة ، ونبذ كل أشكال المفاضلة والثنائيات التي تؤدي إلى صدام الحضارات وهو اختيار العقلاء وسبيل يسلكه الحكماء ومسؤولية إنسانية مشتركة يتحملها بصورة خاصة صانعوا القرار بمختلف درجاتهم والنخب الفكرية والثقافية والإعلامية في العالم كله من أجل المشاركة الجماعية في بناء السلام في الحاضر والمستقبل ولكن هل يتحقق ذلك ؟ أم أن الواقع أقوى من تلك الأصوات ؟

أين قيمة الحوارات في الخطابات السجالية ؟ :

لاشك أن الحوار الذي ترعاه الدولة على أكثر من محور وفي أكثر من اتجاه يهدف إلى تأسيس خطاباً متوازناً مفتوحاً يحمل في طياته سماحة الإسلام ووسطيته .

ومنطلقات مشروع الحوار هدفها الامتداد إلى جميع شرائح المجتمع باختلاف مشاربهم وتوجهاتهم المذهبية والفكرية .

والهدف من إقامة منتديات الحوار هو التعاون فيما يتفق عليه الجميع والتفاهم فيما أختلف حوله. وإذا لم يتمكن الجميع أو بعض الفئات من التفاهم حول المختلف فيه يكون الأمر النهائي متروكاً لله سبحانه وتعالى { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ..} الشورى : ١٠ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إنا زعيم في الجنة من ترك المراء وهو محق).

هذه هي القيمة الحقيقية التي يجب أن يجنيها المتحاورون والمجتمع ، وماعدا ذلك فان الحوار قد يتحول إلى حوار من أجل الحوار ، ويتجه نحو الهوى الفكري في تنميط جدلي عقيم لا يؤدي إلى توحيد الصف ولا إلى الكلمة ، بل يقود إلى التفرقة والتشرذم ، وتصبح الدعوة إلى الحوار دعوة تحت ويل السياط .

فقبل الانضمام إلى ساحة الحوار نحتاج إلى استتباع مواقف المصطفى صلى الله عليه وسلم من المخالف والتي تحلت فيها روح التسامح وهو أمر يعرفه جميع المنتمين إلى جميع المذاهب الإسلامية ، لكن لا تزال في الساحة خطابات سجالية تتصف بروح التحدي والتسلط وتتبنى ادعاء الحق المطلق وانها الممثلة الوحيدة للأمة والمعبرة عن ضميرها ووجدانها والتشكيك في انتماء المخالف لعقيدته ووطنه فتلك اطروحات مأزومة لا تؤمن إلا بسيادة الرأي الواحد وترفض الاعتراف بتعددية التوجهات والآراء ، فهي اطروحات تنتهك حرية المجتمع بسبب انتهاكها حرية المخالف سواء أكانت مذهبية أم فكرية أم ثقافية. فلماذا لا نأخذ العبرة من الجزائر والعراق التي يقتل فيها المسلم على الهوية تلك الاطروحات تقود إلى فتنة التي دائماً ماكان يحذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم أمته ومن استشرافها ومن استشرفها أخذته ، ووجهنا إلى السبيل لمواجهة الفتنة فقال الجالس

فيها خير من الواقف ، والواقف فيها خير من الساعي إليها . وأمر المسلم أن يلزم لسانه وبيته وإذا كان له غنم فليخرج ليرعها ، وحينما سئل عمن إذا لم يكن لديه غنم يرعها فقال يعمد إلى حجر ويتخلص من حد نصل سيفه ، وحينما سئل أيضاً عمن اكره واجبر على الفتنة فقال : خير لك أن تقتل فيبوء قاتلك بإثمه وإثمك وصدق الله سبحانه وتعالى { وَالفِتْنَةُ أَشَدّ مِنَ القَتْل } البقرة : ١٩١ .

ويجب أن تقتنع جميع الأطراف من أن الوسيلة الوحيدة في الحوار هي بسط الحجة من اجل إقناع الطرف الآخر لا إجباره، فان لم يقتنع، فقد تكون هناك فهو أخرى، ولا يوجد تيار يمثل الإسلام بالكلية.

والمنهج الإسلامي عند الاختلاف كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من يعش منكم فسير اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة.

وقد أتى ابن عمر رجلاً زمن فتنة ابن الزبير فقال له : يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتقيم عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ فقال يابن أخي بني الإسلام على خمس : الإيمان بالله ورسوله والصلاة الخمسة وصيافيه:ان وأداء الزكاة وحج البيت ، قال : ياأبا عبد الرحمن ألا تسمع ماذكر الله في كتابه { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الّتِي تَبْغِيحَتّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...} الحجرات : ٩ { وَقَاتِلُوهُمْ حَتّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ...} البقرة : ١٩٣ قال : فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه أو عذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة فقال أن الله حرم دم أخي .

وقد نظم شوقي بيتاً من الشعر لرئيس تحرير صحيفة الجهاد ليكون شعار جريدته يقول فيه :

قف دون رأيك في الحياة مجاهد أن الحياة عقيدة وجهاد

فالجهاد أن نقف ضد إجبار المخالف لنا بإتباع آراءنا فقد يحتمل أن يكون رأي المخالف الصواب، ويحتمل أن يكون رأينا الخطأ.

الأمن الفكري والاعتدال يحميان من التشدد المؤدي إلى التطرف والعنف

الأمن والتفاعل الفكري يفصل بينهما وبين الحجر والتطرف الفكري خيط رفيع جداً.

فالأمن الفكري يحمي من الوقوع في مأزق التبعية والاستلاب الحضاري . ولكي نحقق الأمن الفكري لابد من الحفاظ على الهوية الفكرية ، والخصوصية الثقافية ، وهي مسألة حتمية ومسلمة لايمكن مناقشتها .

وتعريف الأمن الفكري : بأنه انسجام بين مانؤمن به ومانتطلع إليه .

بينما أهمية الأمن الفكري : يتحقق حينما يكون هناك صلح بين مانؤمن به الجماعة وماتطالب بتأديته . وعندما تنسجم السياسات التنموية مع الثوابت . وهو مسألة تهم المجتمع مثلما تهم الدولة ، وإحساس المجتمع بان منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع ليس في موضع تهديد من فكر واحد سواء من خلال غزو فكري منظم أو سياسات مفروضة على المجتمع .

إذ يعد هاجساً أمنياً لكل مجتمع ، يحمى عقول المجتمعات ويحفظها من الوقوع في الفوضى والولوغ في اتون الانسلاخ الأخلاقي الممزق للحياء الفطري والشرعي .

ومسؤولية الأمن الفكري ينبغي أن يحفظ عنصرين هما عنصر الفكر التعليمي وعنصر الأمن الإعلامي حتى لاتقع في مزالق التغريب التي تطمس الهوية الإسلامية ، فأمن العقول لا يقل أهمية عن أمن الأرواح والأنفس .

وينبغي علينا أيضاً إلا نغفل اسلمة الأمن الفكري ، فالإسلام هو دين السلام { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران : ٨٥ .

ويتحقق الأمن الفكري عندما نعرف أين نحن من خلال الإجابة على بعض التساؤلات خاصة وان التقنية المستخدمة في نقل المعرفة محايدة وهي آله وليست مفاهيم، ولكن استغلال هذه التقنية الحديثة في الغزو الفكري والثقافي لها تأثير على خصوصياتنا الثقافية والحضارية.

ولكن ماهو الفرق مابين التحديث والعصرنه وبين لها.يب ؟ وهل يمكن تحديث المجتمع دون تغريبه ؟

فالأفكار المتطرفة لا شكل لها ولا وجهه محدده لها . فالتطرف يمكن أن يكون يميناً أو يساراً. يمكن أن يمؤسسات،اً أو أفراداً ويمكن أن يصدر من مؤسسات ، يمكن أن يكون سلوك جماهير ، يمكن أن يكون على شكل كتاب ، أو مقال أو خطبة ويمكن أن يقدم في سياسات وقوانين .

إذا انحرف الفكر واضطربت المفاهيم فسينحرف السبيل وينقلب العمل إلى عكس المطلوب ، فالغاية في الإسلام لاتبرر الوسيلة أبداً . وإنما الغاية الشريفة تكون بوسائل نبيلة ومشروعة .

أن الاستلاب الحضاري لايولد تبعية فقط انه يبذر جرثومة الصراع الاجتماعي العنيف ، الذي يقسم المجتمع إلى تيارات متناحرة تقود في النهاية إلى تقاتل أو تشرذم أو تمزيق للكيانات السياسية والبنى الاجتماعية .

أن الدين كمنظومة فكرية، يبقى مغروساً في عمق الذاكرة الجمعية للأمم والشعوب مهماً ضعف ارتباط الناس به من حيث السلوك والممارسة.

التطرف يستند إلى مفاهيم خاطئة :

حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من الدخول في الدين بعنف وشدة ومبالغة وتكليف النفس فوق طاقتها حتى لاتمل النفس وتنقطع عن الواجبات أو لاتصل إلى مبتغاها وهو الاعتدال فعن أنس رضي الله عنه قال :قال صلى الله عليه وسلم (أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) (١) .

ويتغذى الإرهاب والتطرف والعنف ولا شك من الإرهاب الصهيوني والأمريكي الذي يمارس أشنع أنواع الاحتلال في فلسطين والعراق وأفغانستان وشن حرباً شامله ضد الإسلام كدين وحضارة ، وضد المسلمين كشعوب مستضعفه . ولكن بعض القائمين بهذه الأعمال وكثير من الناس يبررها لهم استناداً إلى مفاهيم خاطئة .

١ – السياق التاريخي لإحكام الجهاد يفهم منه بوضوح أن الجهاد لايكون داخل المجتمع وإنما شرع بعد أن يتميز المجتمع المسلم بدولة تدافع عن نفسها وذلك لحمايتها وتمكينها من القيام بواجبها في حمل رسالة الإسلام إلى العالم .

وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}" الحج : ٣٨ عند اشتداد أذى الكفار في مكة للمؤمنين ، وقد أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنة من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت هذه الآية (نُهى أفصح نهى عن الخيانة والغدر) .

٢ – غاية القتال في الإسلام لتحقيق غايتين أولاهما : الدفاع عن المسلمين والأخرى من أجل الدفاع عن حرية الناس في الإيمان بالإسلام أو البقاء على ما عليه وهي ماسميت بالفتنة في الآية الكريمة { وقاتلوهم حتى لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله } الأنفال : ٣٩ . وهذا لايكون إلا ضد عدو خارجي . أما الانحراف الداخلي يقابل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة والتغيير باليد لا يعني حمل السلاح ومقيد بصاحب السلطان في سلطانه كالأب في بيته والحاكم في نطاق المجتمع كله ، ولايتصور في جميع

ذلك كله استعمال القتل . فهو ليس تغيير للمنكر، وإنما هو قتل لصاحب المنكر ودفاع عن الباطل ومن أجل نصرة الظالم.

وقال النووي (وأما الخروج على الحكام فحرام بإجماع المسلمين وان كانوا فسقه ظالمين) (٢) وطبيعي أن منع الخروج المسلح لايعني الخنوع ، بل يجب استعمال كل الوسائل الأخرى لإنكار المنكر وتغييره .

وهناك أحاديث كثيرة تحث على الصبر على أذى الحكام فعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنكم ستلقون بعدي أثره ، فاصبروا حتى تلقوني غداً على الحوض " (٣) وزاد في البخاري وأموراً تنكرونها (فاصبروا) على الجور والظلم .

وهذا لاتعارض بينه وبين الأحاديث الآمربحق:نهي عن المنكر لأن ما هنا فيما إذ لزم منه سفك دم أو آثاره فتنه وفيه الأمر بالصبر على الشدائد وتحمل المكاره .

عصمة الدماء وحرمة الاعتداء عليها إلا بحق :

في خطبة الود(٦).ل صلى الله عليه وسلم " أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا " (٤) وقال صلى الله عليه وسلم " لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، الثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك الجماعة " (٥)

بل واستشعر الرسول صلى الله عليه وسلم عظمة هذه العصمة وجعلها أعظم من حرمة الكعبة فقال " ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده ، لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك . ماله ودمه) (٦) . بل قال صلى الله عليه وسلم (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم) (٧).

واعتبر الإسلام القتل والاعتداء على حق الحياة ذاتها وعلى النفس البشرية في عمومها وعلى هذه القاعدة كفل الله) حرمه النفس { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} المائدة : ٣٢ .

ويرى جمهور الفقهاء إن أساس العصمة للمسلم الإسلام وللمعاهد الأمان (٨). أن حق الإنسان في الحياة مصان بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه ، وقد أكد الإسلام الحنيف احترام الشخصية الإنسانية عامة وكفل لها حق الحياة فحقن دماء الناس جميعاً كأمه وكفل لها الحياة بغير نفس أو فساد في الأرض يعدل قتل الناس جميعاً { مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } المائدة : ٣٢ { وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ } الإسراء : ٣٣ .

وينهى الإسلام التمييز بين البشر على أساس ديني والنبي صلى الله عليه وسلم قال : "من آذى ذمياً فقد آذا(٩).وقال " من آذى ذمياً فأنا خصيمه يوم القيامة ومن كنت خصيمه خصمته " أي من كنت خصمه أمام الله انصفني الله منه . وقال صلى الله عليه وسلم " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً " (٩) .

وقد نهى الإسلام أن يدفعهم بغضهم لأحد إلى ظلمه أو التعدي عليه { وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } المائدة : ٨ .

حكم البغاة :

فلا صلاح في جماعة لاتعمل على قطع دابر الجريمة بل تعمل على التغاضي عنها ، ومن التغاضي عنها الرأفة بالمجرم ، والتماس المعاذير له دون سنه معتبرة تقتضيها .

فان المصلحة تقتضيه يقول ابن تيميه (أباح الله من قتل النفوس مايحتاج إليه في صلاح الخلق) (١٠) .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم فقال (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) وقال صلى الله عليه وسلم (لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد) لأنهم ربطوا بين الخطأ والإثم ثم جعلو الإثم معصية ، ثم جعلوا المعصية كفراً ، ثم بنوا على ذلك استباحة الدم والمال .

واستباح الإسلام دم الباغي المصر على ظلمه لان جرمه عظيم ، يؤدي إلى إشعال الفتنه .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (من أصبح آمناً في سربه معافي في بدانة ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " ومن المسلم في الشريعة قطع أبواب التهاون في إلغاء العقوبة أو التوسط في إلغائها كما ورد في غضب الرسول صلى الله عليه وسلم على من شفع في حد من حدود الله بعد مابلغ السلطان . وأكد على ذلك بقوله (وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) حفظاً للأمن والأمان حتى مجرد التقليل من شأنه .

آثار العنف على المجتمع :

ولاشك أن آثار تلك التفجيرات في الرياض سلبية ومدمره للغاية وقد رأينا آثار تلك التوجهات في بلد مثل الجزائر فمنذ عام ١٩٩٢م عاشت هذه البلاد موجات من العنف الأسود تحت دعاوي وذرائع ودوافع متباينة لم تحقق على أرض الواقع سوى انهيار الأمن وترويع الآمنين وتدمير الاقتصاد وصناعة حاله من الفوضى والاهتزاز لنسيجها الاجتماعي بعد أن حصدت أعمال العنف وفق بيانات جمعيه (ضحايا الإرهاب) أكثر من ١٠٠ الف قتيل و ٤٠٠ ألف جريح ، ونصف مليون مصدوم نفسياً وهجره مايقرب من نصف مليون آخري إضافة إلى بقاء ٧ ملايين تحت خط الفقر وما يقرب من ثلاثة ملايين عاطل بعد أن بلغت الخسائر المادية أكثر من عشرين مليار دولار . وكانت النتيجة في المحصلة الأخيرة ضعف الدولة الجزائرية حتى أصبحت في مهب الاختراق الغربي والصهيوني. (١١)

ولاشك أن هذه الموجه من التفجيرات التي روعت الآمنين تمثل عنصر ضغط جديد على المملكة وتمثل ورقة في يد من يمارسون الابتزاز والضغوط في الغرب .

أن سبب مانحن فيه اليوم هو بتر الفكر الفلسفي وتجريمه وتكفيره على مدار قرون طويلة . والتدين بدون بصيرة أو فكر عقلاني اعمي ، قد يؤدي إلى أبشع أنواع التعصب

والتطرف وان كان مقصده نبيل هو الحرص على نقاء العقيدة من ضروب الشرك الظاهر والخفية ومن البدع والمنكرات والعودة بكل جوانب حياتهم الدينية إلى أصولها في الكتاب والسنة ، وهي دعوة حقه وأس في كل إصلاح .

أن التشدد في التصور وبساطة النظر إلى الواقع والانصراف عن فقه المقاصد وفقه المصادر مع ضعف التأهيل لمثل هذه المهمة فشوا فكر التشدد والتكفير واستخدام القوة في غير موضعها مما كان له بالغ القدر.

أن الدعوة العودة بالدين إلى أصوله كلمة حق وأصل ركين إلا انه قد خالطها أحياناً عند بعض الدعاة تشدد وغلو بلغا حد تكفيرأصلاً.ين واستباحة دمائهم بفتاوى مستنده إلى نصوص مبتسرة لم يشهد لها جمهور الفقهاء قديماً ولا حديثاً. وتعاملت مع النصوص الدينية وإصدار الأحكام التي وسعت كثيراً من دائرة المحظور في الشريعة على حساب دائرة المباح الواسعة أصلاً . وإنها اعتمدت على النص لكونها أضافت مصادر غير نصيه في التشريع. وهو ماضيق مساحة الحرية الإنسانية وأضفى على الإسلام صبغة تاريخية غير قادرة على التوائم مع التقدم الحضاري والمستحدثات الإنسانية السائدة في عالم اليوم .

وقد تتأسس عليها مناهج متشددة في التغيير تسرع إلى تكفير المخالف وهدر دمه وسائر حقوقه وهو ما أضر بالدعوة أيما إضرار وجعل بأس المسلمين بينهم كما زج بالأمة الإسلامية في معارك استعدت عليهم الأمم ، ولم يجنى الإسلام منها وأهله غير تشويه الصورة والسمعة والحصار والاحتلال لم يفد منه غير أعداء الإسلام والإسلام بريء من جهل أصدقائه.

الإستراتيجية الأمنية والفكرية في محاربة الإرهاب:

سؤال دائماً ما يتردد في الأوساط الإقليمية والدولية عن سبب نجاح المملكة في محاصرة الإرهاب وملاحقة الإرهاب.عليه وإحباط العديد من العمليات الإرهابية قبل وقوعها ؟ بل أصبحت التجربة السعودية من أنجح التجارب العربية وأصبحت مؤهلة لتكون القاعدة الأساسية للقضاء على الإرهاب.

استخدمت المملكة سياسة العصا والجزرة في مكافحة الإرهاب أي من خلال المواجهة الأمنية والتقويم الديني للشباب المغرر به فكريا فحاولت المملكة تقويم سلوك ٥٠٠ شاب في السجن قبل إطلاق سراحهم ومتابعتهم بعد ذلك ولم يعود إلى السجن إلا تسعة أشخاص منهم فقط بسبب استمرار أفكارهم المشوشة .

وكانت المملكة من أول الدول محاربة للإرهاب منذ زمن بعيد وقبل أحداث ١١ سبتمبر وهي من طليعة الدول التي حذرت من الإرهاب ومن مخاطر تناميه ويصبح ظاهرة كونيه تتطلب تحركاً واعياً من المجتمع الدولي وفق إستراتيجية منظمة.

وكانت دائماً ما تطالب بمواجهة الإرهاب في إطار من الشرعية الدولية التي تستهدف وضع أسس و واضحة يلتزم بها المجتمع الدولي.

وسبق أن اقترح خادم الحرمين الشريفين إنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب وإيجاد الحلول العملية لهذه الظاهرة والعملبالإسلام. الجهود الدولية لمحاربة تلك الآفة ومعالجة أسبابها.

وكانت أهم وسائل محاربة الإرهاب فتح باب الحوار بين الشعوب على اختلاف أديانها ومللها حتى لا تلتصق وصمة الإرهاب بالإسلام .

فالإرهاب يعتبر أحد التحديات العالمية التي تجاوزت الحدود والقوميات والثقافات الذي يتحتم معالجة الظاهرة من جميع جوانبها وجذورها والدوافع المؤدية إليها وما يتطلبه ذلك من توحيد الجهود الدولية وتكثيفها لمكافحة هذه الظاهرة .

فمرجوا الإرهاب باسم الدين عملاء أو جهلاء يسيرون في غفلة وراء الفكر التفجيري المدمر لأمن الوطن.
فإستراتيجية إعادة تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الشباب للعودة إلى وسطية الإسلام إستراتيجية تحتاج إلى جهود مضنيه من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة وعدم فسح المجال أمام استقطاب شباب جدد وتركهم فريسة سهله لأصحاب الفكر المتطرف وجعلهم ينخرطون في بناء مجتمعهم وتحقيق تنمية اقتصادية يحارب فراغهم النفسي والفكري والوجداني

مواجه التشدد بالاعتدال والحوار :

أن الاعتدال في التفكير والعمل والسلوك الفردي الجماعي ضرورة علمية وعملية. فالاعتدال في الحرية ضرورة فلا كبت ولا فوضى . فالكبت تطرف يلغي أعلى وأحلى حق من حقوق الإنسان ، والفوضى تطرف يهدم النظام المدني العام الذي لايمارس الحرية إلا من خلاله .

والاعتدال في الأمر والنهي ضرورة للحفاظ على حرمة الإنسان وما جاء الدين كله إلا لصيانتها . وليس يهدم الكلي من أجل الجزئي .

والاعتدال في النظرة إلى الآخرين ضرورة شرعية وهم ليسوا سواء حتى ينظر إليهم نظرة واحده.. من وسطيه هذه الأمة أنها شاهده على الناس وهذه الشهادة لابد أن تكون شهادة عدل واعتدال.

والمعتدل هو من لايمتلك الحقيقة المطلقة ويقبل بنسبيه الحقيقة الاجتماعية وغير أحادي التفكير ويقبل بالتعددية ، ولا يرى مايطرحه من أفكار ورؤى بأنها مقدسه ، ويحترم آراء الآخرين ومن ثم فهو لايملك الوصاية عليهم . إذا فالإرهاب يبدأ من العقل، والتطرف قبل أن يكون سلوكاً مدمراً هو فكر لكنه عدواني يشحن به العقل، ومرض لكنه يصيب النفس وينشط ويخبو تبعاً لتطور البيئة المجتمعية الحاضنة كالفيروسات تظل كامنة فإذا وجدت مناخاً ملائماً نشطت. فالتربية التي تقوم على الحوار والتفاهم لا الطاعة والخنوع ، وتعليماً منفتحاً على العصر لا على تمجيد الذات ، وتاريخاً يذكر السلبيات لا المآثر وحدها ، وخطاباً دينيا يدعو بالحسنى لا على الآخرين بالفناء ، وإعلاماً يحترم عقول الناس لايضللهم ويمنيهم بالأوهام.

وبانهيار قيم التسامح واستشراء التطرف، وتساقط حجج الاعتدال مراهنة على النتائج المأمونة والاتساق المتوازنة.

والتطرف إفراز من إفرازات الواقع ، يعبر عن نفسه في صوره رفض ما تسكن إليه غالبية المجتمع ، فهو حوار بين المتطرفين والمجتمع . يظهر حينما تنعدم لغة مشتركة بين المتطرفين والمجتمع أو إذا وجدت حجج يتسلح بها المتطرفون لكي يؤلبوا المجتمع ويصبح الوضع خطيرا ، ويتوفر في المجتمع نصاب يغذي وينمي فئة المتطرفين ويرجح أطروحتهم .

الهوامش:د أدوات فعاله لمواجهته برضي المجتمع وتأييده ومناهج كفيله بوأده وحرمانه من حججه .

الهوامش :

١ – حديث عليه.واه الإمام أحمد.

٢ – النووي في شرح صحيح مسلم ٣٥/٨ .
٣ – رواه الإمام أحمد في مسنده .
٤ – رواه الشيخان .
٥ – متفق عليه .
٦ – رواه ابن ماجه .
٧ – رواه الترمذي .
٨ – أبو بكر مسعود الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ١٤٠٢ ، ص ٢٣٦ .
٩ – رواه البخاري .
١٠ – ابن تيميه، أبو العباس أحمد عبد الحليوالتكفير: الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكاتب العربي، ص ١٣٢.
١١ – مجلة المجتمع ، عدد ١٥٧٧ في ٢٠٠٣/١١/١٥م ، ص ٩ .

الاعتدال والرفق وسطيه ترفض التطرف والعنف والتكفير :

أن ظهور بعض المنحرفين المغالين الذين خرجوا عن قيم الإسلام وخاصة في مهد الإسلام ساعين إلى الفتنة والإرهاب مخالفين القيم الذاتية التي تعنى الانتماء والهوية والدين والحضارة.

والإنسان يعيش ضمن معادلتين معا البيولوجية والنفسية والاجتماعية كقاسم مشترك بين البشر { ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا } الحجرات : ١٣ من أجل التعارف والتكامل والتنافس لا من أجل التدافع والتقاتل كما سبقنا الأمم من قبل خلال القرون الستة الأولى .

وما يقوم به هؤلاء المنحرفين ، وهؤلاء لاينطلقون من إسلام ولكن من فتنة عالمية ووجهتهم هذه الوجه التدميرية ليعطوا أعداء الإسلام الفرصة فوضى.ا هيمنتهم على دولها الإسلامية وما من أمة استقامة على منهج الاعتدال إلا نجحت ، وما من أمة تجافت عن سبيله إلا خابت أو جسدت وتحجرت باسم المحافظة ، ومنهم من خبط في طريق الغلو باسم الغيرة على الدين ، تحقيقاً للتوازن الاجتماعي في مواجهة المتساهلين { و مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } البقرة : ٧٨ .

فالاعتدال هو الحق والعدل سواء في السلوك الفردي أو الجماعي فالاعتدال في الدين وفي الحرية وفي كل أمر من أمور الحياة ضرورة فلا كبت ولا فوضى . فالكبت تطرف يلغى أغلى قيم الدين وأحل حق من حقوق الإنسان والفوضى تطرف يهدم الدين والنظام المدني العام.

والوسطية هي: وسط بين نقيصتين بين الإفراط والتفريط في جميع الأمور وهي فضيلة فالشجاعة بين الجبن والتهور، والكرم بين البخل والتبذير، والاستقرار بين الدكتاتورية والفوضى.

ولقد غالى المتطرفون في جانبين رئيسيين هما الولاء والبراءة وملة إبراهيم وبعدهم عن الرفق واللين .

الولاء والبراءة وملة إبراهيم:

الولاء والبراءة وملة إبراهيم هي ليست كما يعتبرها أصحاب الحرورية كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سئل عنهم قال يخرج من هذه الأمة ولم يقل قوم ووصفهم بان تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لايجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمروقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقه هل علق بها من الدم شيء) رواه البخاري ١٧٦٧ .

وهذه الفئة تجعل من الولاء والبراء وملة إبراهيم هي إظهار العداء والبغض للكفار واعتبارها هي ملة إبراهيم التي لايرغب عنها إلا من سفه نفسه .

وملة إبراهيم هي ملة توحيد الله وهي الإسلام { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران : ٩٥{ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام : ١٦١ . والمقصود من الآيتين السابقتين ملة إبراهيم هي الإسلام وتوحيد الله وترك الشرك، وليس في أيهما ذكر المولاة والمعاداة.

وملة الرسل كلهم على كثرة عددهم واحدة، ترفض القتل والتهجير لمن يختلف معها في الدين بينما ملة الأقوام المقابلة على تعددها فهم ملة واحدة هي ملة القتل والتهجير لمن يخالفهم في الاعتقاد، والإيمان بالأفكار.

وقد سبق أن دعى إبراهيم أباه للإسلام { يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. }مريم : ٤٣ أجابه أبوه { قال أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } مريم : ٤٦ أجابه إبراهيم { ... سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ... } مريم : ٤٧ هذا هو منهج الأنبياء والمرسلين مقابل منهج الملة الأخرى الكافرة ، والسلام هو رد الأنبياء جميعاً وأداتهم في التغيير فهما خطابان متباينان الأولى ملة الكفر { لأرجمنك } والثاني ملة الإسلام { سَلَامٌ عَلَيْكَ } .

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الحوار مع الآخر هي دعوة السواء أي ما أعطيه لنفس أعطيه لك { ... تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...}آل عمران : ٦٤ . وهذه الكلمة هي لا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله . ومن ساواك بنفسك فقد أنصفك . ولكن المنهج الإسلامي يرفض أن تعطى لنفسك حق القتل والتهجير لمن يخالفك في الرأي أو يرفض كلمة السواء وتكتفي بأن ترد {... اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران : ٦٤هذه هي ملة إبراهيم ملة السلام لا ملة البغض والكره والقتل.

وهذا ماحرمه الأنبياء عليهم السلام على أنفسهم وعلى إتباعهم وعلى العالم إلى يوم القيامة .

فملة الأنبياء ملة اللاكراه وملة الأقوام هي ملة الإكراه لان ملة الأنبياء متماشية مع سنة الله في النفس الإنسانية التي خلقها الله ضد الإكراه .

فملة الأنبياء لاتظهر المعاداة ولا العداوة ولا البغضاء { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة : ١٣٠]

ومن لم يتبع ملة إبراهيم يكون قد ظلم نفسه بسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد وأي سفه أعظم من هذا الذي ظلم به نفسه وألغى عقله وأنكر إنسانيته .

ولكن ما المقصود بالبراءة والعداوة والبغضاء في الآية الكريمة { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} الممتحنة : ٤ .

أوضح ذلك ابن كثير في تفسيره مارواه الأمام أحمد عن حذيفة يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا : واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة واحد عشر ، قال فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرها قال " أن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنه قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه " .

والآيات نزلت أصلاً في حاطب بن أبي بلتعة حينما بعث سارة مولاه بنى هاشم وانه أعطاها عشرة دراهم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأدركاها بالجحفة .

والمقصود في الآية البراءة والعداوة والبغضاء من المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين والذين شرع الله عداوتهم ونهى أن يتخذوا أولياء .

والسبب في ذلك { يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ } الممتحنة :١ هذا سبب عداوتكم وعدم موالاتهم. { إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي.... } الممتحنة : ١أي وقت المعركة محرم موالاة الأعداء الذين أخرجوكم من دياركم بل امتدح الله سبحانه وتعالى من يقسط إليهم .

{ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الممتحنة : ٨ .

بل ورد في الحديث الصحيح " المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا "

وتقتصر البراءة والعداوة والبغضاء للذين يناصبون العداوة للمسلمين ويقاتلونهم ويخرجونهم من أراضيهم كاليهود في فلسطين . بينما إظهار البراءة والعداوة والبغضاء لمن لم يعاد المسلمين فيعتبر مخطئ ومعارض لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم.

لو كانت البراءة وإبداء العداوة والبغضاء لكل كافر لما أباح الله سبحانه وتعالى الزواج من الكتابيات المحصنات { .... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... } المائدة : ٥ والزواج قائم على المودة والمحبة والإحسان وبذلك تعتبر البراءة وإبداء العداوة والبغضاء مخصصة لفئة معينة من الكفار الذين يظهرون العداوة للمسلمين ويحاربونهم ويخرجونهم من ديارهم لا غيرهم .

أما قول الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } المائدة : ٥١ . وقد اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ومن أشهراها قيل نزلت في عبد الله بن أبي مسلول بعد معركة بدر عندما نقض العهد يهود بني قينقاع وفي رواية ابن جورير قال جاء عبده بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أن لي موالى من يهود كثير عددهم واني ابرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي " ياأبا الخباب مابخلت به من ولاية يهود على عباده بن الصامت فهو لك دونه " قال قد قبلت بأنزل الله عز وجل الآية .

والمقصود بالولاء أي يتأولون في مودتهم موالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم إياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك .

كما نهى الله سبحانه وتعالى موالاة ومحبة المستهزئين بدين الله منهم { وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ} المائدة : ٥٣

الحدود الفاصلة مابين الرقابة الذاتية ورقابة السلطة :

(حسن المعرفة بالواقع بين طرفي التشدد والانحلال)

هناك أشكال يشكل على المتحمسين من الشباب الملتزمين في الحكم على كثير من الأمور تجعلهم في حيرة من أمرهم وتسب عديدة تقودهم إلى عدم الفهم الصحيح لهذا الدين المتين الذي عجز عن مقارعته أعتي عتاة الكفر .

فالمسلم إذا لم يتمكن من التعرف على روح وغاية هذا الدين المتين فانه يضل ويقفز إلى الجانب الآخر التطرف والغلو من حيث لا يدري وقد حذر من ذلك رسولنا الكريم في أحاديث عديدة .

فالأمر بالمعروف واجب على كل مسلم ومسلمة مقتدر { وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}البقرة : ١١٠، وفي الحديث " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

فارتكاب المنكر إذا لم يجاهر به صاحبه فأثمه على نفسه ويغيره عن طريق المحاسبة والرقابة الذاتية التي غرسها الإسلام في نفس المؤمن كفيله بإذن الله أن تقيمه ، ولكن هناك أناس يمتد منكرهم إلى الإشهار به أي يتعدى حدود الفرد { ... إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ...} يونس : ٢٣ ويمتد إلى الجماعة فهنا يجب إيقاف هذا المنكر حفاظاً على المجتمع عن طريق السلطة الشرعية وإقامة الحد عليه . فكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أن الله يدع بالسلطان ما لا يدع بالقرآن ".

لكن هناك أمور كثيرة تشكل على فهم بعض الناس هل هي منكر أم غير منكر خصوصاً في الأمور الظنية والمختلف حولها فنحن نحتاج إلى وقفة بل وقفات خصوصاً في عصر العولمة الذي يحتاج إلى نقل الصورة الصحيحة عن سماحة ديننا الإسلامي ومتانته حتى لاندعه في مرمى الشكوك والتهم من قبل غير المسلمين نتيجة نقل صوره بمفاهيم غير دقيقة وغير صحيحة عبر الفضائيات إلى جميع أنحاء العالم من بعض المتحمسين بحجة الدفاع عن دينهم أو بحجة سد الذرائع وغيرها من المفاهيم . خصوصاً فيما يتعلق بالفتاوى التي يجب أن يراعى فيها فقه المتغيرات والأقليات وغيرها تتماشى مع سماحة الإسلام ووسطيته وعالميته .

فهناك قيود كثيرة توارثتها الأجيال هي ليست من الدين في شيء فبمجرد التهاون بها يطلق عليها منكراً وحينما تعرض على المرجعية الإسلامية نجدها أما من الأمور المختلف عليها أو من الأمور التي يمكن أن يجتهد فيها المرء بحسب الحال نتيجة المتغيرات المتجددة غير العصور باختلاف الأزمنة والأمكنة . وهناك مواقف كثيرة على عدم إتباع الهوى

والقيود المتوارثة ووجوب الركون إلى الحق فحينما أحل الله الزواج من الكتابيات المحصنات استنكر بعض الصحابة الزواج من الكفار فنزل قول الله سبحانه وتعالى {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِ } المائدة : ٥ وكذلك في الحديث " من جاوز غسل اليدين في ثلاث مرات فهو متعد وظالم " هذا بخلاف حرص الإسلام على إتقان العمل كما في حديث (ويل للإعقاب من النار) .

هذا ماجعل البعض يعتبر صغائر الذنوب كبائر والكبائر كفراً مثل الخوارج فقد تجاوزوا الحدود التي رسمها لهم الإسلام ونبذوا عنه اليسر والسماحة والوسطية التي يتصف بها وجعلوه محدداً ومقيداً بحسب مفاهيمهم وهواهم لا بمفاهيم ومبادئ الدين الإسلامي السمحة الذي يمكنه أن يحتوي الجميع بحسب قدراتهم وأحوالهم ومكانهم وزمانهم دون تضييق أو تنفير وبأحكام مسبقة .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول " كل أمتي معافي إلا المجاهرين " فالرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال طهرني يارسول الله فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم التأكد أولاً من أنه صحيح العقل ثم أصر عليه الرجل بطلب التطهير من الزنى فلم يتركه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تأكد منه من ممارسة ذلك الفعل بسؤاله عليه الصلاة والسلام هل قبلت ؟ هل فأخذت هل .. إلى آخر الحديث ويجيب الرجل في كل مرة بتأكيد فعله الزنى .

ورجل آخر جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري قال يارسول الله ارتكبت ذنباً فقال له صلى معنا فبعد الصلاة قال ارتكبت ذنباً يارسول الله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم هلا صليت معنا فقال نعم فقال صلى الله عليه وسلم فان الصلاة تغسل الذنوب ولم يسأله صلى الله عليه وسلم عن نوع الذنب .

هذا هو الإسلام فمن بعض الأمثلة التي في وقتنا الحاضر يعتبر البعض كشف وجه المرأى مثلاً سفور أو تبرجاً رغم أن التبرج غير ذلك أوضحه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه إذ قال " صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " رواه مسلم .

ولو أن الوجه محرم كشفه البته لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم تغطيته في الحج والعمرة وهو أمر من الأمور المختلف عليها منذ زمن الصحابة بحسب قول ابن تيمية.

ومقصود التبرج والسفور ما قاله الزمخشري كانت نساء أهل الجاهلية جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها ، ولكن يدلن من ورائهن فتبقى أي أعناقهن وصدورهن مكشوفات فأمرن بان يدلها من قدامهن حتى يغطينها كما في قوله تعالى {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ } النور : ٣١ .

والأمور كثيرة التي هي قيود اجتماعية توارثتها الأجيال وأدخلتالتكفير:ئرة الشرع فهناك فئة من الناس تخضع الواقع للمبادئ وتقيس الغائب على الشاهد ومن ثم تركن بكل سهولة إلى الشجب والتزييغ والتفسييق والتكفير متجاهله قاعدة ارتكاب أخف الضررين والنزول إلى أدنى الشرين والموازنة بين المصالح والمفاسد التي تلائم أحوال المسلمين لكي لا تدخل في دائرة مغلقة بدلاً من أن تعتمد على أساس العلم الشرعي الواسع بما فيه من الأدلة النصية والقواعد الكلية والمقاصد الشرعية مع حسن المعرفة بالواقع بين طرفي التشدد والانحلال .

دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قائمة على الرفق واللين وعدم التكفير :

حتى في قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي نزلت بسببه الآية بعدم موالاة الأعداء وقت الحرب فان الرسول صلى الله عليه وسلم رفق به واستمع إليه حينما قال للرسول صلى الله عليه وسلم لاتعجل على أنى كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فأتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضي بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لقد صدقكم " قال عمر يارسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق قال " انه شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن

يكون قد اطلع على أهل بدر فقال أعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم " رواه البخاري ومسلم . ولو كان هذا في زماننا لاعتبر خائناً عوقب بأشد العقوبات .

وموقف آخر في عيادة النبي صلى الله عليه وسلم لرأس النفاق في حديث أنس بن مالك قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : لو أتيت عبد الله بن أبي قال : فانطلق إليه وركب حماراً ، وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخه ، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال : إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك . قال : فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك ، قال : فغضب لعبد الله رجل من قومه ، فشتما قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال : فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال ، قال فبلغنا أنها نزلت فيهم { وان طائفتان ومن المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما } رواية البخاري .

فانقسم الصحابة منهم من لم يرضى بشتم المنافق للرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من لم يرضى بشتم المنافق مع سوء أدبه استجابة لقول الله { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } الانعام : ١٧ .

حتى وصل الأمر إلى التقاتل ولم يكفر الرسول صلى الله عليه وسلم من دافع عن عبد الله بن أبي ولم يعتبرها موالاة للمشركين على المؤمنين.

ومن رفق الرسول صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال ياعائشة أن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله قلت أو لم تسمع ماقالوا قال قلت وعليكم " رواه البخاري .

ولم يكفر الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي الخويصره التميمي الذي قال في غزوة حنين اعدل يارسول الله فقال ويلك من يعدل إذا لم أعدل قال عمر بن الخطاب دعني اضرب عنقه قال دعه " رواه البخاري .

تقرير راند ودعم الاعتدال :

أصدرت مؤسسة راند الأمريكية للأبحاث والدراسات تقريرا في مارس ٢٠٠٧ تحت عنوان بناء شبكات مسلمة وركز هجومه على المؤسسات الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي وفي مقدمتها الأزهر واعتبرها بؤرا أساسية للتطرف والإرهاب .

ولماذا تحولت أمريكا من الحرب العسكرية إلى حرب الأفكار ؟ ، وهل تحولت إلى الحرب الفكرية بعدما فشلت في الحرب العسكرية ؟ ، ولماذا تصر الولايات المتحدة على صياغة منطقتنا والتدخل في شؤنها ؟ ، وهل هو إصرار على كسب المعركة بشكل جوهري لاسترداد هيبتها العالمية التي فقدتها ؟ وهي تشعر أن الجماعات المتشددة هي التي تنتج الأفكار المعادية لها ويجب أن تحاربها في ميدان أخر بجانب الميدان العسكري .

وحدد التقرير ما يسميه بالتيار الأصولي الذي يقاوم التحديث والتمدن إي التيار الذي يحذر فكرة المواجهة الدينية مع الغرب تحت عنوان الحرب الصليبية . وخرج التقرير بنتيجة أن على أمريكا أن تدعم الاعتدال في العالم الإسلامي وليس فقط الدعم بل تتجه إلى بناء شبكات اعتدال وتكون صارمة في تحديد من تدعم ومن تحارب.

وحدد التقرير معايير الاعتدال مثل الموقف من المرأة والموقف من الأقليات غير المسلمة والموقف من العنف (الجهاد) والموقف من فكرة تطبيق الشريعة .

ومركز راند هو احد ١٥٠٠ مركز ومعهد في أمريكا وهي لا تمتلك قرارا ولكنها تمتلك ضغطا ، وهي جزء من تفاعلات صنع القرار في أمريكا .

هذه المراكز لا تكف عن التفكير والبحث عن الحلول وتقديم التصورات إمام صانع القرار والرأي العام من منظورهم الأمريكي وإنقاذ الموقف الصعب الذي تعيشه أمريكا في الشرق الأوسط .

فإذا كان لأمريكا مصالحها ، فللمسلمين مصالح أيضا ، فالاعتدال في العالم الإسلامي سواء تقاطع أو اختلف مع تقرير مؤسسة راند فان من واجبنا أن ندعم الاعتدال النابع من ديننا وليس من اجل إرضاء أمريكا أو غيرها بل من اجل تصحيح الصورة التي شوهها المتشددين من المسلمين واستغلها أعداء الإسلام لترسيخ الصورة المشوهة عن الإسلام .

فالتطرف والتشدد خطره وضرره اشد وانكى على شعوب العالم الإسلامي وعلى عالمية الرسالة .

فاليمينيون حاربوا المسلمين وشوهوا صورة دينهم بالمتطرفين منهم لوقف مد وانتشار هذا الدين العظيم وللولايات المتحدة أجندة فكما استغلت الجماعات الجهادية في تحرير أفغانستان في وقف المد الروسي في الماضي فهي تستغل في الوقت الحاضر الجماعات المتطرفة في صراع المسلمين بعضهم ببعض من اجل توقف التنمية وسيادة الفوضى والتفكك مثلما يحدث في العراق ولبنان والصومال والسودان من اجل استمرار هيمنتها والبقاء في المنطقة لمواجهة قوى جديدة قد تظهر في المستقبل تسيطر على منابع البترول وتتحكم في إمداداته.

فتقرير راند يجب الا يقودنا إلى اغتيال الاعتدال بحجة انه رؤية أمريكية حتى وان تقاطع والتقى مع الرؤية الأمريكية ولكن لكل طرف مبتغاة . فدعم الاعتدال مواجهة تراث عريض من الجمود ومصالح بنيت على هذا الجمود بل جعلت من هذا الجمود هو الإسلام الحق.

يجب إلا نجعل من الاعتدال ضحية بحجة انه يتقاطع مع تقرير راوند. ويجب أن يكون خيارنا هو دعم الاعتدال لنعيالمسلح:فوفنا والقدرة على التوحد والصمود إمام التحديات الداخلية والخارجية من خلال دعم تقارير موضوعية ومستقلة تخدم الأمة وتكون مصدرا ومرجعا يرجع إليها أصحاب القرار .

من أجل أن نجنب الشباب الانخراط في العنف المسلح :

الانخراط في الإرهاب تغرير وانجرا وراء مفاهيم مبسترة وأهداف سوداويه لا وضوح فيها تتجه نحو العنف الفوضوي يصعب التنبؤ به زمانا أو مكانا إضافة إلى صعوبة مواجهته الاستباقية لأنهم من أبناء جلدتنا ويعيشون بين أظهرنا وفي بيوتنا دون أن نشعر بمراميهم ولكن السؤال الأهم ماهية القناعان التي أوصلتهم إلى أقصى مدى وهي قبول الانتحار مقابل تحقيق أهداف ايدولوجية سوداوية ذات نتائج رمزية وشعاراتية في نفس الوقت ؟ وفي الشرع لا يجوز للإنسان أن يعرض نفسه للقتل لأي سبب من الأسباب كان ففي الأحاديث الشريفة من قتل دون عرضه وماله ونفسه فهو شهيد.

فكيف أباحوا لأنفسهم سفك دماء المستأمنين والآمنين ويصفونها بأنها غزوة مباركة على معقل من معاقل الصليبية بل أعطوها أبعاداً أسطورية لجذب شباب آخرين مندفعين للانضمام إليهم فمعظم هؤلاء هم من الشباب والمراهقين المندفعين المغرر بهم وفق إيديولوجيات انطلقوا منها وتأثروا بها وهي ماتسمى بكتب الفكر العنفي مثل كتاب أبو عبد الرحمن الأثري (الحق واليقين في عداوة الطغاة والمرتدين) وهي موسوعة نقليه للمسائل التقليدية في الفكر التكفيري والحاكمية والولاء والبراء والتحاكم لهيئة الأمم وله رسالة أخرى (القول المحتد في من لم يكفر المرتد) من أمثال هذه الكتب حاول الإيديولوجيون والمنظرون الانطلاقة وشحن أذهان هؤلاء الشباب للتغرير بهم ومن أجل الانجذاب إلى مواقفهم التكفيرية ودعم العمل المسلح واستغلال وضعية هؤلاء الفتيان المحبطين والمتحمسين بسبب الأوضاع في العراق وفلسطين إلى التورط في أعمال تسيء إلى دينهم وأوطانهم وأنفسهم دون تفكير أو قد تكون نتيجة تهديد بالقتل بعد الانضمام أو بسبب صغر سنهم لايستطيعون التصرف والخروج من هذا المأزق الذي انجروا إليه وأصبح فكرهم مشوشاً ومنقاداً لكن هناك أسباب جعلت هؤلاء الفتيان من الشباب يندفعون وراء سياقات إيديولوجية بسبب أنهم غير محصنين تفكيرياً وليس فكرياً لأن هؤلاء الفتية من الصعب أن يكونوا في تلك المرحلة من العمر قد استوعبوا الفكر الصحيح ولكن

تفكيرياً هي المشكلة والمعضلة التي نفتقدها في تعليمنا منذ الصغر فالتعليم التلقيني المعتمد على الحفظ هو السائد فهو أسهم في اندفاع الفتيان بكل سهولة في الانجرار وراء الأفكار التي تؤثر فيهم دون اختيار أو تفكير لأنهم لم يتعودوا عليه منذ نعومة أظفارهم ولم يتعلموا أصول التفكير ليتمكنوا من التمحيص والاختيار الصحيح . وقد حثنا الله سبحانه وتعالى على أن يقودنا تفكيرنا إلى الإيمان به{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } سبأ : ٤٦ . { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } البقرة: ٢٦٦ {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ } الأنعام: ٥٠.

ونهانا أن نتبع الآباء انقيادياً دون تفكير بل أوجب علينا أن نفكر لكي نختار الهدى والحق حتى لا نضل {قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } الأنبياء : ٥٣ { قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } لقمان : ٢١ {إِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } الزخرف : ٢٣ . { وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } الأعراف : ٢٨ {أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُون} الأعراف ١٧٣ . أي أن تكون لنا استقلالية في التفكير وفي الاختيار . فتدريب الطلاب على مهارات التفكير تعزز لديهم القدرة على مواجهة كل التيارات الجارفة والهدامة من خلال التفكير السليم الذي يحميهم من أن يستغلوا أو يغرر بهم فسبب الانخراط في العنف هي تبعية وضيق في التفكير لأن التفكير يمكن الشاب من القدرة على حل ومواجهة المشكلات ولن يجعله فريسة سهلة للإحباط واللجوء للعنف والقوة كوسيلة لحل المشكلات التي تواجهه بدلاً من التفكير في حلها بطرق سلمية .

فمعرفة المنهج التفكيري الصحيح يساعده على اتخاذ القرارات الصحيحة . بل يجب أن نغرس في نفوس الطلاب تجديد التفكير المؤدي إلى الابتكار وان يتمرد الطالب على نفسه وأفكاره خير من أن يتمرد على الآخرين وأفكارهم.

وقد أكد لنا الرسول صلى الله عليه وسلم التمسك بروح الجماعة والنهي عن الخروج عنها والتسبب في فتنة التي هي أشد من القتل والتي تؤدي إلى تمزق شمل الأمة فعن معاوية بن سفيان حينما قدم مكة وبعد صلاة الظهر قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن أهل الكتابيين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملع – يعني الأهواء – كلها في النار إلا واحدة – وهي الجماعة – وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه لايبقى منه عرق ولامفصل إلا دخله " فقال معاوية والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به . وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحي كلاهما عن المغيرة .

ويقول ابن عباس رضي الله عنه للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب وأهل الجماعة وان تفرقت ديارهم وابدأنهم وأهل معصيته أهل فرقة وان وجيزة.ديارهم وابدأنهم .

فسلف الأمة كان يتمتع بهامش واسع من التسامح والانفتاح والتعايش مع الآخرين ولولا تلك الصفات لما انتشرت رقعة الإسلام في فترات وجيزة .

وان لا نترك الأمر لفئة من المسلمين المتطرفين تتحكم بمستقبل أمة بأكملها تعيق اندماجها العالمي ويعيق نشر دينها الحنيف وتعيق تقدمها.

قراءة في أسباب العنف وضرورة تجديد الخطاب الديني:

أن نتيجة مرور الأمة الإسلامية بأزمات نتج عنها شعور بالهزيمة والخنوع واليأس، وزاد من تفاقم هذا الشعور، قلة حيلة الأمم المتحدة في القيام بأي دور من أدوارها التي أنشئت من اجلها في رد الحقوق أو في منع تكرار حصول ماسي جديدة للعالم الإسلامي ، ولا حتى في حقها في الاستنكار العلني لما حصل ويحصل من مجازر علنية إمام مرأى من العالم اجمع ،

ولا حتى من جمعيات حقوق الإنسان ٠ صاحب هذا الشعور أيضا ضعف أو موت الحل السياسي لحل أزمات العالم الإسلامي ٠

الأمر الذي جعل الأمة تنتظر من ينقذها من ورطتها ويعيد إليها كرامتها ، وإلحاق الأذى بأعداء الأمة الإسلامية دون النظر إلى العواقب التي تعود على العالم الإسلامي سواء أكانت ايجابية أو سلبية ،ويكفيها أن تتشفى بالمعتدي ،وان كان ذلك وقتيا ليعيد الأمل إليها دون معرفة العواقب والنتائج مهما كانت٠

فظهرت جماعات اتجهت نحو تأصيل مرجعية دينية تتخذها سندا لكسب عواطف اكبر قاعدة شعبية ممكنة تنطلق منها من اجل تجنيد الشباب المتحمس من المسلمين ٠ وتعتمد مرجعيتها هذه على القراءة الضيقة للنصوص ، وتعتمد أيضا على النصوص الفرعية التي هي على حساب النصوص الأصلية أو في نسخها بالكامل كنسخ آية السيف في سورة التوبة لأكثر من مائة أية أخرى في القران تدعو إلى الصفح والعفو والسلم إلا في حالة الاعتداء أو في الدفاع عن النفس أو في نصرة المظلومين (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) بحسب القدرة وإذن ولي الأمر ٠ وقراءة أية السيف قراءة ضيقة ، وجعل السياق التاريخي المقيد سياق مطلق ٠

نحن بحاجة إلى تجديد الخطاب الديني لتوضيح الفرق بين الأصول والفروع وبين المطلق والمقيد ، وبين القراءة الضيقة والواسعة للنصوص ، وإبراز الاختلاف بين الفقهاء القائم على أشده منذ زمن بعيد حول مجموعة من المسائل الفقهية الخلافية ٠ وجعل النص فضاء مفتوحا لمختلف القراءات بدلا من غلقه معرفيا من اجل فتح استمرارية باب الاجتهاد ، وتجديد الفقه بما يتناسب مع المتغيرات الظرفية في هذا الزمن ٠ وان ننتهج منهج الوسطية الذي رسمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا ٠ دون تغليب أحدهما على الأخر ٠ كما تفعل هذه الجماعات بتغليب الموت على الحياة٠

والنظر إلى الهدف الأسمى من خلق الإنسان وهو الاستخلاف في الأرض وعمارتها والتنافس فيها من أجل التدافع لإحقاق الحق والعدل والميزان التي أمرنا الله بها والتي من اجلها أرسل الأنبياء والمرسلين ٠

تفكيك مفاصل إرهاب شبكة الانترنت (محاصرة أهم منبع من منابع الإرهاب):

الإرهاب غريب على المملكة وعمره الزمني لا يتجاوز العقد من الزمن وهو بدأ بالخبر

وإذا كان الإرهاب يحتاج إلى مواجهة أمنية مشددة ومكثفة من اجل تضييق وارباك استراتيجيات الارهاب٠

فان رجال الأمن تحملوا المسؤولية الكاملة بكل جدارة واستباقية لزود عن امن هذا الوطن ولا شك في أن للمجتمع مسؤولية موازية لمسؤوليات رجال الأمن ولا تقل عنها أهمية من اجل تفكيك مفاصل الإرهاب ومحاصرته ٠

وارى أن أهم مفصل من المفاصل التي تغذي الإرهاب بشكل مباشر ومؤثر إلا وهي شبكة العنكبوت (الانترنت) التي أضحت من أهم وسائل الاتصال بين الإرهابيين ولديها القدرة على بث سمومها وإيديولوجياتها التنظيرية لكسب عطف وحماس الشباب الصغير في السن والتغرير بهم مستغلة جهلهم بأصول الدين وما تبثه الفضائيات من استباحة دماء المسلمين من قبل قوات الاحتلال الأمريكية والإسرائيلية على السواء في فلسطين وفي العراق وأفغانستان من قصف وتدميروتقتيل وتعذيب ٠

وفي المقابل فان معظم علمائنا ودعاتنا لايحسنون ايجادة استعمال هذه الوسيلة العصرية التي يستخدمها الإرهابيون في الاتصال بهؤلاء الشباب والتغرير بهم

وبالتالي فإنها تصبح ضرورة ملحة على علمائنا وشيوخنا ودعاتنا تعلم وإتقان استعمال استخدام هذه الوسيلة للتمكن من اختراق هذه الشبكة من اجل تبيين وتوضيح تنظير وايدولوجيا المتشددين والرد عليها بل أن هذه هي إحدى حكم ابتعاث الرسل عليهم السلام (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم

يؤمنون) (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) بل أن الله سبحانه وتعالى لعن الذين يكتمون تبيان الحق (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

فالأفكار والرؤى والتنظير التي يبثها المتشددون عبر شبكة الانترنت لابد من تفصيلها وتبيانها لتعصم الشباب من الضلال الفكري ٠ فالشباب يضل بالإجمال المضل نتيجة غموضه واختصاره وإبهامه خصوصا فيما يتعلق بمفاهيم أساسية كضوابط الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوضيح مفاهيم كثيرة مثل قول الله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب) كل هذه مفاهيم مجملة مضلة تنشأ عنها فوضى وفتنة وانحرافات ٠

فالتفصيل يعصم من الشطط والغلو والضلال ، فقول الله سبحنه وتعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) ليس المفهوم من الآية معاداتهم ولو كان كذلك لما قال الله سبحانه وتعالى في أية أخرى (ولتجدنهم أقربهم مودة للذين امنوا اللذين قالوا إنا نصارى) ولو رضوا عن ديننا لدخلوا جميعهم الإسلام ، ولكن يمكن التوافق والتعايش السلمي في بقية مجريات الحياة ٠

وكذلك في مفهوم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب) فمعاني هذا الحديث كثيرة لا يفهمها إلا الراسخون في العلم فالرسول صلى الله عليه وسلم مات وهو راهن درعه عند يهودي ، فالمقصود بالحديث تفسيره بحديث أخر (لا يجتمعان دينان في جزيرة العرب) أي ان الغلبة لا تكون إلا للإسلام في جزيرة العرب ، وإلا يمكن اليهود والنصارى من الاستيطان وإقامة دولة في جزيرة العرب ولكن يمكن ان يتواجدوا كمستأمنين ومعاهدين كما في صدر الاسلام٠

وبهذا التفصيل والإيضاح يمكن محاصرة منابع الإرهاب والتطرف ضمن جهود متضافرة٠

حكم قتال المارقين ومن قتل على أيديهم:

روى الزبير بن بكار في الموفقيات عن علي رضي الله عنه أنه أوصى حين ضربه ابن ملجم في وصيته (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بما يكون من اختلاف أمته بعده وامرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين) ٠ وعن ابن سعيد مرفوعا (انه يخرج من ضئضئي هذا – أي من ابن ملجم – قوم يتلون كتاب الله رطبا لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود)٠

وعن أبي در نحوه وزاد هم شر الخلق والخليقة وعن علي نحوه وزاد فاقتلوهم فان في قتلهم اجر لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وعن انس نحوه وزاد طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه من قاتلهم كان أولى بالله منهم٠

وهذه الفئة المارقة لاتنقطع كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال (يخرج ناس من المشرق يقرؤون القران لايجاوز تراق كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون أخرهم يخرج مع المسيح
الدجال)٠

وحكم من قتل الحروريين أو المارقين فهو شهيد كما في الحديث الذي رواه ابن عمر من قتله الحرورية فهو شهيد٠

إما حكمهم بعد قتلهم إذا لم يرجعوا عن ضلالتهم و عن غيهم فعن الحسن قال (لما قتل علي الحرورية قالو من هؤلاء ياامير المؤمنين أكفار هم قال عن الكفر فروا قيل فمنافقون قال ان المنافقين ليذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا قيل فما هم قال قوم إصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا)

إما المتعاطفون أو المتحفظون على استباحتهم دماء المسلمين والمستأمنين خوفا من الفتنة نخشى ان يصيبهم ماصاب معتزلة علي ومعاوية بعد انزوائهم في حروراء في بضعة عشر الف فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس ليناشدهم العودة إلى خليفتهم فيم نقضوا فقالوا نخاف ان ندخل في الفتنة قال ابن عباس فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل فرجع بعضهم إلى الطاعة ٠ فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتالهم ، فان الإنكار على أعمالهم الضالة والشنيعة واجب كل بحسب استطاعته ومركزه فباليد للسلطة ونحوهم ، وباللسان للخطباء في المساجد والدعاة سبيلهم في جميع وسائل الإعلام ، وللمدرسين والاساتذة التبيين والتوضيح لطلابهم في المدارس والجامعات وللمثقفين بأقلامهم كل حسب استطاعته للقضاء على هذه الفتنة ومحاصرة هذا الفكر الضال بكل السبل المتاحة من اجل توطيد الأمن والاستقرار في المملكة ٠

الصورة المستحدثة الباطلة باسم الجهاد

ظهرت في العصور الاخيرةمن هذا الزمن صور مستحدثة باطلة باسم الجهاد تنطوي على مخالفات شرعية كالقتل على الجنسية وبسبب لون البشرة أو القتل على المذهب وقتل من لايجوز قتله من المسلمين وغير المسلمين .

من تلك الصور الإسراف بالتحجج بمسألة التترس وتوسيع دائرة القتل واستحلال أموال المعصومين وتخريب الممتلكات وهي كلها تتعارض مع قول الله سبحانه وتعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .

وهذا ما ادخل الجماعات الجهادية في صراع وصدام مع الحكومات المحلية والعالم الغربي معتمدين في ذلك على قول الله سبحانه وتعالى (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) والآية هنا تحكي واقع بعض أهل الكتاب في تعاملهم مع المسلمين للحذر منهم لا للاعتداء عليهم . والجهاد في الفقه الإسلامي فريضة نافذة إلى يوم القيامة وشرعه الله لقتال المعتدين وهو ذروة سنام الإسلام ، ولكن الأصل في الإسلام هو السلم والدعوة إليه مع تجنب الصدام وكل ما يدعو إلى الصراع مع الأخر حقنا للدماء وتحقيقا للمصالح المشتركة التي هي مصالح معتبرة .

فالمتطرفين يستخدمون آيات من القران الكريم لتبرير قتل المدنيين ويغذون أفكار إتباعهم بمشاهدة أشرطة فيديو تتضمن تعذيب المسلمين وقتلهم منسوخة من مواقع الانترنت ، ويشاهدون الإخبار وما يحدث في الدول الإسلامية يشعرون بضرورة إحياء فريضة الجهاد ،

وأصبحت أيسر السبل تصيد الآمنين من الأجانب بخطفهم وقتلهم . بل ان الجهاد أصبح عند فئة معينة أفضل الجهاد قتل الشيعة أولا والأمريكيين ثانيا وثالثا في إي مكان في العالم يهدد فيه الإسلام . بل أصبحوا يقومون بعمليات انتحارية حتى ولو أدى ذلك إلى قتل مسلمين .

اختلطت مفاهيم فقه الجهاد وسيست لصالح جماعات محددة إما انتقاما لمذهب محدد أو من أشخاص أو لأشخاص محددين . فأصبح الجهاد من جهاد مقدس إلى صناعة متطرفين باسم الجهاد والدين وليس دفاع عن الوطن والعرض والدم.

الغاية العظمى من الجهاد :

الجهاد هو أكثر أبواب الفقه غموضا والتباسا وأوثقها صلة بالاعتبارات السياسية التاريخية الظرفية ، ومع ان الفقهاء ذهبوا إلى ان الجهاد عمل دفاعي عن الأمة والعقيدة وليس مسؤولية هجومية لنشر الدين بالقوة ، إلا ان الثقافة المشتركة السائدة تشير عكس هذا التصور وتكريس المقاربة العدائية كمصادر أصلية تحكم علاقة المسلمين بغير المسلمين.

ان النظر الجزئي لنصوص الشريعة بعيدا عن مقاصدها الكلية أو الاستدلال الناقص لبعض الأدلة الأصولية دون مراعاة التوابع والعوارض المؤثرة على تنزيل الحكم على الوقائع قد يثمر عن شطط عن الوصول للحكم الصحيح وبعدا عن الظفر بالحق ، كمعرفة العوارض المؤثرة على دليل الحكم بالنسخ والتخصيص والتقييد وغيرها .

فلا يجوز التمسك بدليل من أدلة الشرعة وبناء الإحكام عليه من جهة الاستقلال دون جمع الأدلة الأخرى المتعلقة به والمؤثرة فيه أو ينظر إليه أو بمعزل عن مقاصد الشريعة الكلية (انظر المستصفي ٣٧١/٣ تحقيق لحمزة حافظ) والعلة التي تبيح القتال هي المقاتلة لا الكفر ، وهو القول الراجح الذي عليه أكثر العلماء ، وهو يتماشى مع مقاصد الشريعة

وقواعدها الكلية ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل علة المنع في قتل المرأة والصبي والرهبان والمزارعين لأنهم غير مقاتلين ففي قول الرسول صلى الله عليه وسلم قال (ما بال هذه قتلت وهي لا تقاتل) .

إما قول الرسول صلى الله عليه وسلم (بعثت بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده وجعل رزقي تحت رمحي) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) فهناك فئات تقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل أقاتل من قاتلني بل هي دعوة إلى قتال الكفار حتى يسلموا حسب ظاهر نص الحديث .

وللإمام الغزالي في شرحه يقول (ومع ان السيف قد يكون رحمة من الله في تأديب المعتدين وقمع الطغاة ، إلا إنني لم أستطيع ان اخذ من هذا الحديث الصورة النبيلة الرقيقة التي ترسم في فؤادك عندما تقرا قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ان الحديث لو كان صادقا ما يحمل إلا في وضعه الصحيح ومكانه اللائق به ومعرفة الوضع اللائق لأثر ما إنما يكون بعد التفقه الكامل في كتاب الله وحياة نبيه وحقيقة سيرته وجوهر سنته ، فان جعل توحيد الله غاية للجهاد بحيث لا تهدا الحرب حتى يسلم الناس معنى باطل وحكم لم يتقرر في شرائع الإسلام بل هو مخالف لنفس القران الصريح في معاملة أهل الكتاب ذلك ان المعتدين منهم مما جحدوا وآذوا يكتفي عند هزيمتهم بفرض بعض المغارم المالية عليهم مع بقائهم على عقائدهم وغير أهل الكتاب من النحل الأرضية المنحلة يعاملون المعاملة نفسها).

وقد كانت هذه سياسة عمر بن الخطاب مع المجوس تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، إما عبدة الأصنام في الجزيرة العربية فقد ظلوا قرابة عشرين سنة يعاملون على قاعدة (لكم دينكم ولي دين) بل منحوا حق الارتداد عن الإسلام إذا لم يعجبهم البقاء فيه فلم تزد هذه المرونة إلا ضراوة وبدا أنهم يتحينون الفرص للغدر بالدين الذي وهبهم

الحياة فنزلت على اثر ذلك سورة براءة بوضع السيف في عنق من لم يتب منهم في فترة لم تتجاوز الشهور ومع قوم معينين عز لومهم على العلاج ورفضوا كل مهادنة فكيف يكون السيف والحالة هذه شارة رسالة ؟ (انظر كتاب هذا ديننا للغزالي) .

وعلة القتال في الإسلام هي القتال فيكون ضد المقاتلين وليس ضد الكفار حيث نهى الإسلام عن قتل من لا يقاتل أو لا يقدر على القتال وأمر في القتال بعدم التعرض للرهبان والنساء والأطفال والعاجزين عن القتال والفلاحين.

والتخيير بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال فهناك أمر أغفلته جماعات كثيرة وهو اصل من أصول الإسلام إلا وهي المعاهدات مثلما عاهد الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة ولم يلزمهم بدفع جزية أو الإسلام أو قتال بل هناك شواهد في التاريخ الإسلامي على إسقاط الجزية عن غير المسلمين .

فالجهاد شرع من اجل رفع الظلم الواقع على المسلمين كما في قوله تعالى (إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) أم المقصود من الآية التالية (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) المقصود بالفتنة هنا الاضطهاد الديني لإبعاد الناس عن دينهم مع المقدرة على قتالهم كما في قوله تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا) أي بالقران كما في قول ابن عباس فسمي الله عز وجل إقامة الحجة بالقران جهادا كبيرا .

ونهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين ان يعتدوا قبل ان يعتدي عليهم (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .

إما أية السيف (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة واتو الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) ويقول السيد قطب في هذه الآية في ظلاله ان فحوى وسياق أية السيف هي في صدد قتال المشركين المعاهدين الناقضين لعهدهم وحسب .

فاعتبار أية السيف أية لكل مشرك إطلاقا تحميل لها بما لا يتحمله هذا السياق والفحوى وكذلك في اعتبارها ناسخة لآيات عديدة مثل أية (لا إكراه في الدين) وأية (ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن) بجانب الآيات الأخرى التي تدعو إلى الحث على البر والإقساط لمن لا يقاتل المسلمين ولا يخرجهم من ديارهم .

ويقول ابن حزم (من استجار خلاف ذلك يؤول إلى إبطال الشريعة كلها لأنه لا يفرق بين دعوات من النسخ في أية ما أو حديث ما وبين دعوى غير النسخ في أية أخرى وحديث أخر فعلى هذا لا يصح شئ من القران والسنة وهذا خروج عن الإسلام وكل ما يثبت بيقين فلا يبطل بظنون ولا يجوز ان يسقط طاعة أمر امرنا به الله ورسوله إلا بيقين نسخ لا شك فيه).

فكيف نضمن كتبنا ومناهجنا قتال الكفار على المطلق حتى يدخلوا في الإسلام أمر مخالف لمقاصد الشريعة الغراء وترسيخ في أذهان العامة والطلاب إشكالية مقاتلة المشركين متى ما حانت الفرصة عندما يصبحوا شبابا باعتبار ان مقاتلة الكفار فريضة إسلامية وهي فرصة مناسبة لانضمامهم إلى الجماعات الجهادية أو التكفيرية أو الإرهابية وهي ليست من العقيدة الصحيحة وإنما هي من العقيدة الفاسدة.

فتضمين الكتب والمناهج مثل هذه الأفكار تحتاج إلى عرضها على هيئات كبار العلماء حتى لا تتسبب في إشكاليات فكرية لدى الطلاب والعامة تنعكس على سلامة المجتمعات المسلمة.